سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi@alhadi.org

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي عشر

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني:

موت معاوية.. والبيعة ليزيد..

الفصل الأول:

معاوية يوصي، ويموت..

مرض معاوية:

قالوا:

لما عاد معاوية من مكة، بعد أن فرض على الناس البيعة ليزيد بولاية العهد، مدعياً أن الحسين «عليه السلام» قد بايع ـ وهو لم يبايع ـ.. وصل إلى الأبواء، فأصابته اللقوة في وجهه، ثم مضى إلى الشام وقد اشتد مرضه. وكان كل خوفه مما فعله بحجر بن عدي وأصحابه، وعمرو بن الحمق، ودفعه بحق علي بن أبي طالب(١).

ثم صار يوصي ولده يزيد بما يريد.. وبعد ذلك تركه يزيد، وذهب إلى حوارين في طلب الصيد، فمات في غيابه، وذلك في شهر رجب سنة ستين للهجرة النبوية الشريفة(٢).

غير أننا نشك في أن يكون ابتداء مرضه بالأبواء، وهو عائد من مكة، فإنه قد ذهب إليها سنة ست وخمسين، وموته كان في سنة ستين،

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٤٤ و ٣٤٦ و ٣٤٨.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٥٢. وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٦١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٥٢ و ١٥٣.

فمن البعيد أن يستمر مرضه أربع سنوات.

وربما يكون قد شفي من اللقوة، ثم عاوده المرض واستمر إلى أن توفي. لاسيما مع تصريح الحسين «عليه السلام» بأن علة معاوية قد طالت[١].

إلا أن يكون المقصود بطول مرضه، طوله إلى عدة أشهر في سنة موته.

فقد صرح الطبري: بأن مرض معاوية كان في سنة ستين، وحينئذٍ خاطب يزيد بوصاياه[٢].

وفي جميع الأحوال نقول:

لا يعنينا من وصايا معاوية في كتابنا هذا سوى ما يرتبط منها بالإمام الحسين «عليه السلام».. ولذا فإننا سوف نقتصر على هذا الجانب، فنقول:

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٣ و ١٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥ و ٦ والبداية والنهاية ج٨ ص١١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٢٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٣ و ٢٤ و (ط الأعلمي) ج٣ ص١٨.

كتاب العهد ليزيد:

يبدو من ملاحظة النصوص: أن هناك وصايا متعددة، وربما كانت في أوقات متباعدة. أو لعل بعضها كان بالسر، وبعضها بالعلن..

وقد تقدم كتاب معاوية الذي كتبه بخط يده، ويأمر فيه ولده: «أن يحفظ هذا الحي من قريش خاصة، وأن يبعد قاتلي الأحبة. وأن يقدم بني أمية وآل عبد شمس على بني هاشم. وأن يقدم آل المظلوم المقتول أمير المؤمنين عثمان بن عفان على آل أبي تراب وذريته.

فمن قرئ عليه هذا الكتاب، وقبله حق قبوله، وبادر إلى طاعة أميره يزيد بن معاوية، فمرحباً به وأهلاً. ومن تأبى عليه وامتنع، فضرب الرقاب أبداً حتى يرجع الحق إلى أهله إلخ..»[١].

الوصايا الشفوية:

ومن الوصايا الشفوية نذكر أولاً قول ابن أعثم، ونلحق بنصوصه ما ورد في المصادر المتوافقة معه، خصوصاً فيما يرتبط بالإمام الحسين «عليه السلام»، فنقول:

قال معاوية ليزيد: «إني أخاف عليك من هذه الأمة أن تنازعك في هذا الأمر الذي قد رفعت لك قواعده، وخصوصاً أربعة نفر من قريش، ومنهم عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وشبيه أبيه الحسين بن علي.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٥٧ و ٣٤٨.

فأما عبد الرحمن بن أبي بكر، فإنه إذا صنع أصحابه شيئاً صنع مثلهم، وإن لم يصنعوا أمسك، وهو رجل همه النساء، ولذة الدنيا، فذره يا بني وما يريد، ولا تأخذ عليه في شيء من أمره، فلقد علمت ما لأبيه من الفضل على هذه الأمة، وقد يرعى ذمام الوالد في ولده.

وأما عبد الله بن عمر، فإنه رجل صدق قد توحش من الناس، وآنس إلى العبادة، ورضي بالوحدة، فترك الدنيا، وتخلى منها، فهو لا يأخذ منها شيئاً، وإنما تجارته من هذه الدنيا كتجارة أبيه عمر بن الخطاب، فأقرئه مني السلام، وتعاهده بالعطاء الوفير أفضل تعاهد.

وأما عبد الله بن الزبير فما أخوفني أنك تلقى منه عتباً! فإنه صاحب خلل في القول، وزلل في الرأي، وضعف في النظر، مفرط في الأمور مقصر في الحقوق.

وإنه سيجثو لك كما يجثو الأسد في عرينه، ويراوغك رواغ الثعلب، فإذا أمكنه منك فرصة لعب بك كيف شاء.

فكن له يا بني كذلك، واجزه صاعاً بصاع، واحذه حذو النعل، إلا أن يدخل لك في الصلح والبيعة، وبتوبة فأقمه على ما يريد.

وأما الحسين بن علي فأوه أوه يا يزيد! ماذا أقول لك فيه!

فاحذر أن لا يتعرض لك، ومد له حبلاً طويلاً، وذره يضرب في الأرض حيث شاء، ولا تؤذه، ولكن ارعد له وابرق، وإياك والمكاشفة له في محاربة سل سيف، أو محاربة طعن رمح، ثم أعطه ووقره وبجله، فإن حال أحد من أهل بيته فوسع عليهم وأرضهم فإنهم أهل

بيت لا يرضيهم إلا الرضى، ولا يسعهم إلا المنزلة الرفيعة.

وإياك يا بني أن تلقى الله بدمه فتكون من الهالكين، فإن ابن عباس حدثني، فقال: إني حضرت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في السياق، وقد ضم الحسين بن علي إلى صدره وهو يقول: هذا من أطائب أرومتي، وأنوار عترتي، وخيار ذريتي، لا بارك الله فيمن لا يحفظه بعدي!

قال ابن عباس: ثم أغمي على النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ساعة ثم أفاق وقال: يا حسين! إن لي ولقاتلك يوم القيامة مقاماً بين يدي ربي وخصومة، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصيماً لمن قتلك يوم القيامة.

يا بني! هذا حديث ابن عباس، وأنا أحدثك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: أتاني جبريل يوماً فخبرني وقال: يا محمد! إن أمتك ستقتل ابنك حسيناً، وقاتله لعين هذه الأمة.

ولقد لعن النبي «صلى الله عليه وآله» يا بني قاتل الحسين مراراً، فانظر لنفسك. ثم انظر أن لا يتعرض له بأذية، فحقه والله يا بني عظيم، ولقد رأيتني كيف كنت أحتمله في حياتي، وأضع له رقبتي، وهو يواجهني بالكلام الذي يمضني ويؤلم قلبي، فلا أجيبه ولا أقدر له على حيلة، فإنه بقية أهل الأرض في يومه هذا، وقد أعذر من أنذر.

قال: ثم أقبل [على] الضحاك ومسلم بن عقبة، فقال لهما معاوية: اشهدا على مقالتي هذه، فو الله إن فعل بي الحسين كل ما يسوءني

لاحتملته أبداً، ولم يكن الله يسألني عن دمه، أفهمت عني ما أوصيتك به يا يزيد؟!

فقال: فهمت يا أمير المؤمنين(١).

وقال في نص آخر:

فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك.

وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسةً، وحقاً عظيماً.

وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ليس له همة إلا في النساء واللهو.

وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً(٢).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٤٩ ـ ٣٥١.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج٨ ص١١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٢٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٨ و ١٩ وتجارب الأمم ج٢ ص٣٩ و (ط دار سروش سنة ١٤٢٢هـ ق) ج٢ ص٣٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٤ ـ ١٧٧ وراجع مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٧ و ٨٨ و (ط الأعلمي) ج٣ ص٢٣٩ و ٢٤٠ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص١٣٤ و ١٣٥ وراجع: الفخرى في الآداب السلطانية ص١٠٢

ويقول في نص آخر عن الحسين «عليه السلام»:

وأما الحسين بن علي، فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، [وفي نص آخر: أرجو أن يكفيكه الله، فإنه قتل أباه، وخذل أخاه]، وإن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابة من محمد «صلى الله عليه وآله»، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه، فاصفح عنه، فإنه لو أني صاحبه عفوت عنه[1].

وفي نص آخر: عن الصادق، عن أبيه، عن جده «عليهم السلام» يقول: «لما حضر معاوية الوفاة، دعا ابنه يزيد فأجلسه بين يديه، فقال

و ١٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٣٢٣ ومقتل أبي مخنف ص٧ و ٨ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥ و ٦ والأخبار الطوال ص٢٢٥ و ٢٢٦ وأنساب الأشراف ج٥ ص١٤٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٠ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٨٧ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٦٥ و ٣٦٦.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٦ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص١٣٤ و ١٣٥ والفخرى في الآداب السلطانية ص١٠٢ و ١٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٣٢٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٨ و ١٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٦٦ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٨٨ وراجع: العقد الفريد ج٤ ص٨٧ و ٣٧٢ و ٣٧٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٤ ـ ١٧٧.

له: يا بني، إني قد ذللت لك الرقاب الصعاب».

إلى أن قال عن الإمام الحسين «عليه السلام»: «ولا تؤاخذه بفعله..»(١).

وحسب نص ابن سعد وغيره:

لما احتضر معاوية دعا يزيد بن معاوية، فأوصاه بما أوصاه به، وقال له: انظر حسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه أحب الناس إلى الناس، فصل رحمه، وارفق به، يصلح لك أمره، فإن يك منه شيء، فإني أرجو أن يكفيكه الله، بمن قتل أباه، وخذل أخاه(٢).

وفي نص آخر: «والرابع: الحسين بن علي «عليه السلام» فإن

---

(١) الأمالي للصدوق ص٢١٥ و ٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١١ و ٣١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٠ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٨٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٦ وتهذيب الكمال للمزي ج٦ ص٤١٤ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» لابن عساكر ص٢٩١ وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» من طبقات ابن سعد ص٥٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٦ وج٣٣ ص٦٦٩.

الناس تدعوه حتى يخرج عليك، فإن ظفرت به فاحفظ قرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واعلم ما يلي: إن أباه خير من أبيك، وجده خير من جدك، وأمه خير من أمك. وللمرء ما بقلبك. وهذه وصيتي إليك والسلام»(١).

يزيد لم يحضر موت أبيه:

تؤكد المصادر المختلفة، ـ بل قيل هو موضع إجماع ـ: أن يزيد لم يحضر موت أبيه، بل تركه على فراش المرض، وذهب إلى حوارين في طلب الصيد(٢).

ومعنى هذا: أن ما يذكر في بعض المصادر من تفاصيل تؤكد حضور يزيد حين موت أبيه، وأنه سمع من أبيه وصاياه، وكان

(١) ثمرات الأعواد ج١ ص٦٥.

(٢) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٥٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص٢٣١ وأنساب الأشراف ج٤ ص١٥٤ و ١٥٦ وسنن الدارمي ج١ ص١٢٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و ٣٣٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٤٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص٦ و ٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٦٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٥٢ و ١٥٣ ونهاية الأرب (ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ج٢٠ ص٣٧٠ و ٣٧١ وراجع: البيان والتبيين ج٢ ص١١٥ و (ط المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٣٤٥هـ) ص٢٨٠ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص١٣٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤١٩

يخاطب بها يزيد مباشرة فيجيبه[١].. موضع شك وريب.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن الطبري وغيره يصرحون: بأن معاوية أحضر الضحاك بن قيس، ومسلم بن عقبة، فأمرهما أن يؤديا وصيته ليزيد[٢].

عبد الرحمان بن أبي بكر:

وقد ورد في وصية معاوية ليزيد ذكر لعبد الرحمان بن أبي

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٤٤ ـ ٣٥١ وفيه ص٣٥٢: أنه قد خرج إلى حوارين لأجل الصيد قبل موت أبيه بيوم واحد.

وراجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٦ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٤ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٢٩٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٦ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩١ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٦ وج٣٣ ص٦٦٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ و ٣٢٤ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٨ و ١٩ والأخبار الطوال ص٢٢٥ و ٢٢٦ وأنساب الأشراف ج٥ ص١٤٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٢٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٦٦ والعقد الفريد ج٤ ص٨٧ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص١٣٥.

بكر[١]، مع أن عبد الرحمان مات قبل معاوية[٢]..

إما سنة ٥٣[٣]، أو في سنة ٥٨ للهجرة[١].

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص٦ والبداية والنهاية ج٨ ص١١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٢٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٣ و (ط الأعلمي) ج٣ ص١٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٦٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٥ والأخبار الطوال ص٢٢٢ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٠ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٨٨.

(٢) تذكرة الخواص (ط النجف) ص١٣٥ ونهاية الأرب (ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ج٢٠ ص٣٦٦ والكامل في التاريخ ج٤ ص٦. وقد ذكر عبد الرحمان أيضاً في حوادث سنة ست وخمسين كما في الكامل في التاريخ. وراجع: تهذيب التهذيب ج٦ ص١٣٣ وأنساب الأشراف ج٥ ص١٤٤ و ١٤٥ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٦٤ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٢١٣ والنصائح الكافية ص٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٥ ص٣١.

(٣) راجع: الثقات لابن حبان ج٣ ص٢٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٥ ص٢٨ و ٣١ و ٤٢ و ٤٣ وأسد الغابة ج٣ ص٣٠٦ والمعارف لابن قتيبة ص١٧٤ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج١ ص٦٢٢ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٧٢ وتقريب التهذيب ج١ ص٥٦٢ وتهذيب التهذيب ج٦ ص١٣٣ و ١٣٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٠٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٢٦٦ و ٢٦٧ والوافي

وقال ابن سعد: مات سنة قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد(٢).

وقيل: مات سنة خمس وخمسين(٣).

وقال العسقلاني: قال ابن سعد، وغير واحد: مات سنة ثلاث وخمسين، وقال يحيى بن بكر: سنة أربع، وقال أبو نعيم: سنة ثلاث، وقيل: خمس. وقيل: ست. وقال أبو زرعة الدمشقي: مات سنة قدم

بالوفيات ج١٨ ص٩٥ ومرآة الجنان ج١ ص١٠٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٩٧ وشذرات الذهب ج١ ص٥٩ وطبقات خليفة بن خياط ص٤٨ ووفيات الأعيان ج٣ ص٧٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٤٢ و ٣٥٩.

(١) راجع الفتوح لابن أعثم ج٤ هامش ص٣٤٩ والتاريخ الكبير للبخاري ج٥ ص٢٤٢ والثقات لابن حبان ج٣ ص٢٤٩ ومشاهير علماء الأمصار ص٣٤ و ٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٥ ص٢٩ والإصابة ج٤ ص٢٧٦ وتهذيب التهذيب ج٦ ص١٣٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٠٢ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٨٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٩٥.

(٢) راجع: الإصابة (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٤ ص٢٧٦ والفتوح لابن أعثم ج٤ هامش ص٣٣٦ و ٣٤٩ وتهذيب التهذيب ج٦ ص١٣٤ وعن تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص٢٩٨.

(٣) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٤٠٢ و (ط دار الجيل) ج٢ ص٨٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٥ ص٣١ .

معاوية المدينة ليأخذ البيعة ليزيد. وماتت عائشة بعده بسنة سنة تسع وخمسين. وقال ابن حبان: مات سنة ثمان. وقال البخاري: مات قبل عائشة وبعد سعد إلخ..(١).

والنتيجة هي: أن موت عبد الرحمان بن أبي بكر كان قبل أن يوصي معاوية لولده بسبع سنوات، أو بسنتين. فكيف يكون معاوية قد ذكره في وصيته ليزيد؟!

ويجاب:

أولاً: إن بعض النصوص لم تذكر عبد الرحمان بن أبي بكر، واقتصرت على ابن عمر وابن الزبير، والحسين «عليه السلام»(٢).

ثانياً: لعل المؤرخين غلطوا في تحديد تواريخ هذه الوصايا، فهي لم تكن في آخر أيام معاوية، فبعضها يمكن أن يكون قد حصل قبل حج معاوية سنة خمسين، أو قبل أو بعد عمرته سنة ست وخمسين.

---

(١) الإصابة ج٢ ص٤٠٨ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٤ ص٢٧٦.

(٢) الأمالي للصدوق ص٢١٥ و ٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و ٣٣٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ و ٢٣٩ والبيان والتبيين ج٢ ص١١٦ و (ط المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٣٤٥هـ) ص٢٨٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٢٣ و ١٢٤ والعقد الفريد ج٣ ص٣٤٩ و (ط أخرى) ص٣٧٢ وراجع: ربيع الأبرار ج٥ ص١٨٥.

ثالثاً: سيأتي تحت عنوان: «عبد الرحمان بن أبي بكر في عهد يزيد» أننا نرجح بقاء هذا الرجل حياً إلى ما بعد وفاة معاوية، فانتظر.

رابعاً: لعل مرض معاوية قد تكرر، فكان يوصي ولده في كل مرة خوفاً من أن يموت قبل أن يبلغه بما في نفسه.

وقد يشهد لذلك: أن هناك من يقول: إنه قد مرض وهو في طريق عودته من عمرته التي اعتمرها سنة ست وخمسين، حيث أصابته اللقوة بالأبواء بين مكة والمدينة، حين نظر ليلاً في بئرها(١).

ومصادر أخرى تصرح: بأنه إنما مرض مرض موته سنة ستين، كما تقدم. مع استبعاد أن يستمر مرضه أربع سنوات ـ أي من سنة ست وخمسين إلى سنة ستين ـ، من دون أن يشير إلى ذلك أحد من المؤرخين، باستثناء النص الذي يقول: إنه لما أرسل يزيد إلى عامله بالمدينة يخبره بموت معاوية دعا الوليد الحسين «عليه السلام»، فلما دخل عليه قال له الإمام «عليه السلام»: «هَلْ أتاكُمْ مِنْ مُعاوِيَة كائِنَةٌ خَبَر، فَإِنَّهُ كانَ عَليلاً وَقَدْ طالَتْ عِلَّتُهُ، فَكَيْفَ حالُهُ الآنَ»؟! فأخبره الوليد بموته(٢).

ويؤيد ذلك أيضاً: اختلاف نصوص الوصايا، حتى إن بعض هذه الاختلافات تصل إلى حد التناقض.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص٢١٤ و ٢١٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٥٦ وأنساب الأشراف ج٥ ص٢٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٣.

وتباعد أزمان صدورها يؤدي إلى هذا الاختلاف، كما هو ظاهر.

وقفة مع الوصايا:

لا نريد استقصاء النصوص التي سجلت أقوال معاوية في وصاياه، بل نريد فقط تقديم نماذج مما يرتبط بالإمام الحسين «عليه السلام»، فنجد:

١ ـ أن الكتاب الذي كتبه معاوية يطلب فيه من يزيد تقديم بني أمية على بني هاشم، وآل عثمان على آل أبي تراب وذريته.. قد أمره فيه بأن يقتل من امتنع من بيعة يزيد، حتى يرجع الحق إلى أهله، ولم يستثن من ذلك الحسين ولا غيره..

ولكنه يأمره في وصيته الشفوية: بأن لا يتعرض للحسين ولا يؤذيه، ولا يلقى الله بدمه، ويذكر له عظمة الحسين، وثناء النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، ولعن قاتله مراراً.

وفي نص شفهي آخر يناقض ذلك، حيث يقول: «أرجو أن يكفيكه الله، بمن قتل أباه وخذل أخاه».

وفي نص آخر: «أرجو أن يكفيكه الله، فإنه قتل أباه وخذل أخاه».

ومن يعظم الحسين «عليه السلام» هذا التعظيم، ويسرد النصوص الدالة على لعن النبي «صلى الله عليه وآله» لقاتله «عليه السلام» لا يرجو له القتل على يد من قتل أباه، أو لا يرجو له القتل من الله تعالى.

٢ ـ إن هذا الإختلاف يبرر للباحث العارف بأساليب معاوية وسياساته أن يقول: إن معاوية كان يمارس سياسته في وصاياه

باتجاهين:

الأول: الوصية الخاصة التي يريد لها أن تسلك طريق التنفيذ، من دون أي تسويف أو تردد. وهي التي يسر بها لولده خفية عن سائر الناس. وهي تنص على حتمية قتل كل من لم يبايع، ولو كان الحسين بن علي «عليهما السلام». ولكنه يريد أن يتم ذلك بسرية تامة، ومن دون أن يشعر به أحد.

الثاني: ما يقوله لابنه أمام الناس، بهدف المكر بهم، بإيهامهم أنه وفيٌّ للرسول «صلى الله عليه وآله»، محب لذريته، في حين انه يبغي له الغوائل، ويرصد حركته.. لأنه يعلم: أن إعلان العداء للحسين «عليه السلام»، والتسبب بقتله يعريه من آخر خيط ديني يحاول أن يتستر به على خياناته للدين وأهله. حيث يراعي فيه حال العامة، وما ينسجم مع ذائقتهم، ويوافق مسارهم. فكان يوصي ولده بالعفو والحلم عن الحسين «عليه السلام»، كما أنه يظهر نفسه وولده أمام العامة بصورة الإنسان المظلوم، والصابر الذي لا يؤاخذ الحسين «عليه السلام» بإساءاته مهما كثرت، ويغفر له ذنبه، مهما عظم.

فإذا تمكن من قتل الحسين «عليه السلام»، ولو بدس السم إليه، ثم انكشف الأمر، فإنه يقتل من دسه لهذه المهمة، ويتخذ ذلك ذريعة لكسب الثناء، والحمد والدعاء. كما يكون قد أبقى في الأذهان الشبهة حول تعديات الحسين «عليه السلام»، وجرأته وظلمه. كما يزعم.

وهذا يمهد السبيل لأن يعتبر الناس: أن الحسين «عليه السلام»

في أي تحرك يقوم به هو المذنب، والمعتدي، والمستحق للعقوبة، ولو كانت هي القتل.. وبذلك يتم التخفيف عن جرم يزيد إن افتضح أمره، أو تبرئته منه لدى الكثيرين من السذَّج وقاصري النظر.

ويؤيد هذا: أن معاوية كان يسعى في حرب صفين لقتل الحسن والحسين وعلي «عليهم السلام»، ومحمد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر وغيرهم من بني هاشم، ثم صار يلعنهم في الصلاة، وعلى المنابر. وأمر الخطباء بذلك أيضاً. فعم اللعن لهم «عليهم السلام» جميع بلاد الإسلام.

الحسين هو الحاكم:

ولكن يزيد إما لم يفهم ما يرمي إليه معاوية، أو لم يرد أن يفهم.

أما الحسين «عليه السلام» فلم يكن يريد أن يكون عدوه هو الذي يحدد له كيفية ومكان وزمان وسائر ظروف مقتله، بل كان «عليه السلام» هو الذي يريد أن يكون الذي يختار ذلك كله، لأنه يريد أن يستثمره في صالح الدين والأمة كما سنبينه.

فاحذر أن لا يتعرض لك:

وقد حذر معاوية ولده يزيد من أن يتسبب في تعرض الحسين «عليه السلام» له. وحتَّم عليه أن لا يثيره، بل يفسح له في المجال.

ولكن العبارة التي استعملها للدلالة على ما يريد هي ـ كما تقدم في الرواية الأولى ـ قوله: «فاحذر أن لا يتعرض لك، ومد له حبلاً طويلاً، وذره يضرب في الأرض حيث شاء، ولكن أرعد له وأبرق،

وإياك والمكاشفة له في محاربة سلَّ سيف».

فأقحم كلمة «لا» قبل كلمة «يتعرض»، وهذا يشبه ما ورد في قوله تعالى لإبليس: **(مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)**. كما سنرى.

ومقصود معاوية هنا: هو تحذير ابنه من أن يفعل ما يوجب تعرض وتصدي الحسين «عليه السلام» له، أي أن عليه أن لا يعطي مبرراً وذريعة وحجة للحسين «عليه السلام»، توجب خروجه عن حالة عدم التعرض، ليدخل في حالة التعرض والتصدي ليزيد..

فكأنه يفترض: أن هناك حاجزاً يمنع الحسين «عليه السلام» من القيام والتصدي، فمعاوية يحذر يزيد من المساس بهذا الحاجز، بل يوجب عليه السعي لإبقاء هذه الحالة على ما هي عليه، وينتج عن ذلك التحذير من المساس بالحالة التي اتخذها الحسين لنفسه، «وهي حالة عدم القيام والتصدي».

ما منعك أن لا تسجد:

وبعد.. فهناك آيتان شريفتان في كتاب الله تعالى لا نرتاب في أنه لا تنافي بينهما، وهما:

ألف: قوله تعالى لإبليس: **(مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)**(١).

فكأنه سبحانه أراد أن يقول لإبليس: إنك حين أصدرت لك أمري بالسجود لآدم كانت لك حالة قائمة ومستمرة، وهي عدم سجودك، فما

---

(١) الآية ١٢ من سورة الأعراف.

الذي منعك من إزالتها وتبديلها بالسجود، الذي أوجبته عليك؟! أي «ما منعك أن تبدل عدم السجود بالسجود». وكلمة منع تتعدى بنفسها كقولك: منعه الأمر، وتتعدى بالحرف كقولك: منعه من الأمر، وعن الأمر، وكلمة «أن» في قوله: **(أَنْ تَسْجُدَ)** تبقى ناصبة لكلمة تسجد، ولا ضير في ذلك. كما أنه لا حاجة إلى تقدير فعل الإزالة، لأن هذا الفعل موجود وحاضر في مضمون الجملة حسبما بيناه. ولماذا لم يؤثر أمري لك بالسجود أي تحول في داخل ذاتك، يدعوك إلى نقض هذه الحالة وتبديلها.

وهذا يشعر بأن المانع موجود في عمق ذاته..

ب: قوله تعالى: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)**(١) فيراد بها السؤال عن سبب مخالفة الأمر، وعن المانع من صدور الفعل المأمور به.. لأن المانع من السجود قد يكون في داخل ذاته، وقد يكون أمراً عارضاً له من خارج ذاته. فكأنه تعالى يسأله عن هذا المانع الذي حال بينه وبين الفعل.

أما في آية سورة الأعراف، فيسأل عن سبب عدم تغير حالته، بل بقيت على ما كانت عليه قبل الأمر وبعده.

فظهر مما قلناه: أنه لا تنافي بين قوله تعالى: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ)** وبين قوله: **(مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)** بل الآيتان منسجمتان تمام

---

(١) الآية ٧٥ من سورة ص.

الإنسجام.

ويمكن تأييد هذا المعنى: بأنه تعالى قد عقب قوله في سورة ص: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ)** بسؤال آخر يقول: **(أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)**؟! أي أن المانع عن صدور فعل منه قد يكون أمراً داخلياً، كامناً في عمق الذات كالاستكبار، وقد يكون أمراً عارضاً وخارجاً عن الذات، كالعلو، أو وجود من أمسكه ومنعه، أو الخوف من عدو يتهدده، بحيث لولا التهديد لكان راغباً في السجود.

فيحتاج إلى تحديد المانع بالتصريح عنه وتسميته.

ولكنه في آية سورة الأعراف لم يحتج إلى طرح سؤال آخر، بل اكتفى بالسؤال عن سبب عدم تغير حالته، التي بقيت على ما كانت عليه، ولذا كان الجواب من إبليس: أن السبب في بقائها على ما كانت عليه: أن لدىه معادلة موهومة اعتمد عليها، وهي دعواه: أنه خير من آدم، لأنه مخلوق من نار، وآدم مخلوق من طين. فالأمر الصادر ـ بنظره «لعنه الله» ـ لا يغير من هذه المعادلة، ولا يبطلها، ولذا بقيت حالته على ما كانت عليه..

وواضح: أن هذه المعادلة التي استند إبليس إليها تنتهي إلى التكبر الذي يحتاج إلى الكسر والتحقير، والتصغير، وإعادة إبليس إلى حجمه الطبيعي، ولذا عقب ذلك بقوله: **(قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)**[١].

---

(١) الآية ١٣ من سورة الأعراف.

وبعبارة أخرى: إن كل واحدة من الآيتين ناظرة لجهة تختلف عن الجهة التي تنظر إليها الآية الأخرى. ففي آية: **(مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)** يكون السؤال عن سبب عدم تغيير حالته عن الوتيرة التي كانت عليها، بالرغم من صدور الأمر الإلهي له بالسجود، حيث لم يكن قد سجد لآدم في الزمان السابق، ولا يزال على تلك الحال إلى هذه اللحظة. فلماذا بقيت حالته على ما هي عليه؟! ولماذا لم يتأثر بالأمر الإلهي الصادر له؟! مع أن صدور الأمر في أي وقت، وفي أي حال يكفي في دعوتك إلى تغيير الحال التي تكون عليها. فإن كلمة «إذ» هنا يراد بها بيان الوقت الذي حصل فيه الأمر، وعصيانه، ليلتمس السامع حصول التمرد منذ تلك اللحظة.

فأجاب إبليس: بأن السبب هو: أنه يرى نفسه خيراً من آدم، أي أن اقتناعه بأنه الأفضل هو الذي جعله يحافظ على حالته السابقة، ولا ينقضها بشيء جديد.

أما الآية الأخرى: **(مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ)** فالسؤال فيها عن سبب عدم حصول سجوده خارجاً، هل هو الخوف من ضرر يلحق به؟! أو السبب هو أن أحداً أمسكه ومنعه قسراً أو جبراً، مع رغبته هو بالسجود؟! أو السبب هو عدم الرغبة لأجل الكسل، أو عدم الرغبة لأنه يرى نفسه أفضل من آدم؟! فالمطلوب هو معرفة سبب عدم صدور الفعل خارجاً، هل هو من داخل ذاته، أو من خارج ذاته؟!

معاوية يتوسل ويتبرك:

قال ابن الأثير، والطبري، والنص للأول: إن معاوية «لما حضرته الوفاة، قال: إن رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كساني قميصاً فحفظته، وقلّم أظفاره يوماً فأخذت قلامته، فجعلتها في قارورة، فإذا مت فألبسوني ذلك القميص، واسحقوا تلك القلامة، وذروها في عيني وفمي، فعسى الله أن يرحمني ببركتها»(١).

وعند الخوارزمي: «كنت بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم، وهو يقلم أظفاره، فأخذت القلامة، وأخذت بمشقص من شعره على الصفاه. وجعلتها في قارورة، هي عندي، فاجعلوا أظفاره وشعره في فمي وأذني»(٢).

ونقول:

هنا عدة أمور يحسن لفت النظر إليها، وهي:

١ ـ يظهر النص المتقدم معاوية في صورة الرجل المعتقد بالنبوة، وببركات النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الحد الذي يرجو رحمة الله ببركة شعره، وببركة قميص كساه إياه، وقلامة أظفاره.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٤ ص٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ و ٣٢٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٤١ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٥١ و ٣٥٢ وليس فيه ذكر للقميص.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٧.

مع أنه قد حارب وصيه، وقتل خيار، وكبار، وأبرار أصحابه، مثل: عمار بن ياسر، وذي الشهادتين، وعمرو بن الحمق، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وحجر بن عدي، وعشرات من أمثالهم، بالإضافة إلى عشرات الألوف من المسلمين والمؤمنين..

ثم دس السم للإمام الحسن «عليه السلام»، ريحانة الرسول، وسيد شباب أهل الجنة.

كما أنه لم يزل يسعى في قتل ذريته وأهل بيته «صلى الله عليه وآله»، وقد سن لعنهم، ولعن علي «عليه السلام» على منابر المسلمين.. إلى غير ذلك من الموبقات المخزيات التي لا مجال لتتبعها..

٢ ـ إن قول معاوية: فعسى الله أن يرحمني ببركتها، يدل على أمرين:

أولهما: أنه يجعل هذه الأمور وسيلة للحصول على رحمة الله تبارك وتعالى.

الثاني: أنه يلتمس بها الحصول على البركة، التي تعني النماء والزيادة في الخير، وفي كل ما يحبه الإنسان، ويوجب سروره وسعادته، ودفع البلاء عنه.

فما يحاول البعض أن يدعيه من عدم جواز التوسل أو التبرك، غير صحيح.

٣ ـ إن ما زعمه معاوية من أنه أخذ من شعر النبي «صلى الله

عليه وآله» وهو على الصفا بمشقص (وهو المقراض) كان معه لم نفهم له معنى، فهل كان «صلى الله عليه وآله» يسمح لأي كان من الناس أن يأتي بمقراض، ويجز ما يشاء من شعره، حتى لو كان على الصفا، حيث يرى الناس رسول الله بصورة واضحة، ويحاولون الوصول إليه، والتبرك به؟!

وإذا أراد معاوية أن يجز بمشقص من شعر النبي، فسوف يتسابقون لممارسة نفس هذا الفعل، وهل يبقى على النبي شعر والحالة هذه؟!

وماذا سيفعل من لم يحصل على شيء من شعره «صلى الله عليه وآله»؟!

الفصل الثاني:

يأتمرون بك ليقتلوك..

يزيد: اقتل من لم يبايع:

تقدم: أن معاوية مات في شهر رجب سنة ستين، كما قالوا[1]،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٤٢ و (ط دار صادر) ج٧ ص٤٠٦ و ٤٠٧ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤١٨ و ١٤٩ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٥٥ وج٥ ص١٥٥ والمحبر ص٢١ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٤ وج٢٨ ص١٧٩ وج٣٥ ص١٧٦ و ٣٢٠ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج٢ ص٢٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٣٦٩ و ٣٧٣ وج١٤ ص٢٠٦ وج٥٩ ص٥٨ و ٦٠ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ وج٦٩ ص١٣٦ و ١٥٣ وأسد الغابة ج٤ ص٣٨٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٦١ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٦ ص١٢٢ وتقريب التهذيب ج٢ ص١٩٥ وتهذيب التهذيب ج١٠ ص١٨٧ وإسعاف المبطأ ص١٠٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٢ وروضة الواعظين ص١٧١ ومثير الأحزان لابن نما ص١٣ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٢ و ١٤٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٩ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤١ والملهوف ص٩٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين

وتولى بعده يزيد، فكتب إلى واليه في المدينة، الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يخبره بموت أبيه، ويأمره بأخذ البيعة له من أهل المدينة. وخصوصاً من الحسين بن علي «عليه السلام».

ومما جاء في كتابه هذا، حسب نص ابن أعثم قوله عن أبيه معاوية:

وقد كان عهد إليّ عهداً، وجعلني له خليفة من بعده، وأوصاني أن أحدث [أحارب خ.ل[1]] آل أبي تراب بآل أبي سفيان، لأنهم أنصار الحق، وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة. والسلام.

ج١٧ ص١٧٣ ولواعج الأشجان ص٢٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٩٧ وتحفة الأحوذي ج٩ ص١٩٧ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٩ والمعجم الكبير ج١٩ ص٣٠٥ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٣٨١ والدرجات الرفيعة ص٤٢٦ وتاريخ خليفة بن خياط ص١٧٥ و ١٧٦ و ٥٤٧ ـ ٥٤٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص٣٠٥ وج٣ ص٣٧٣ ومشاهير علماء الأمصار ص٨٥ و ٨٦ وتاريخ بغداد ج١ ص٢٢٤ والتعديل والتجريح للباجي ج٢ ص٧٨٦ وتاريخ المختصر الدول ص١١٠ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٨٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣١٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٦٥ وج٨ ص١٥٢ و ١٧٥ و ٢٤٨ و ٢٥٩ وصبح الأعشى ج٣ ص٢٦٦ وتاريخ الخلفاء ص٢١٦ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٥٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٤ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٧٧.

(١) كذا في نسخة دار الفكر.

قال: ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة:

أما بعد.. فخذ الحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه.

وأرسل الكتاب مع زريق (ابن أبي زريق) مولى معاوية(١).

قال: فلما ورد كتاب يزيد على الوليد بن عتبة وقرأه، قال: إنّا لله وإنا إليه راجعون، يا ويح الوليد بن عتبة من أدخله في هذه الإمارة، ما لي وللحسين ابن فاطمة!

قال: ثم بعث إلى مروان بن الحكم، فأراه الكتاب، فقرأه واسترجع، ثم قال: يرحم الله أمير المؤمنين معاوية!

فقال الوليد: أشر علي برأيك في هؤلاء القوم كيف ترى أن أصنع؟!

فقال مروان: ابعث إليهم في هذه الساعة، فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قدِّمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم، فأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم ما لا قبل لك به، وما لا يقوم له، إلا عبد الله بن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص١٧ ولواعج الأشجان ص٢٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧.

عمر، فإني لا أراه ينازع في هذا الأمر أحداً، إلا أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفواً، فذر عنك ابن عمر، وابعث إلى الحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، فادعهم إلى البيعة.

مع أني أعلم: أن الحسين بن علي خاصة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبداً، ولا يرى له عليه طاعة، ووالله أن لو كنت في موضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبته كائناً في ذلك ما كان.

قال: فأطرق الوليد بن عتبة إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه، وقال: يا ليت الوليد لم يولد، ولم يكن شيئاً مذكوراً!

قال: ثم دمعت عيناه.

فقال له عدو الله مروان: أوه أيها الأمير! لا تجزع مما قلت لك، فإن آل أبي تراب هم الأعداء في قديم الدهر لم يزالوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين فحاربوه.

وبعد.. فإني لست آمن أيها الأمير! أنك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة، أن تسقط منزلتك عند أمير المؤمنين يزيد.

فقال له الوليد بن عتبة: مهلاً! ويحك يا مروان عن كلامك هذا! وأحسن القول في ابن فاطمة، فإنه بقية ولد النبيين(١).

وقال الدينوري: إن مروان قال للوليد: «أما عبد الله بن عمر،

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٠ و ١١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٩.

وعبد الرحمان بن أبي بكر فلا تخافن ناحيتهما»[١].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

عبد الرحمان بن أبي بكر في عهد يزيد:

تقدم: أن عبد الرحمان بن أبي بكر ـ كما يقولون ـ قد توفي قبل موت معاوية، وأن الأقوال قد اختلفت في سنة وفاته. فلا معنى لذكره في وصايا معاوية ليزيد، إذا كان معاوية قد أطلق وصاياه هذه قبيل وفاته.

وقد حاولنا دفع هذا الإشكال باحتمال أن يكون معاوية قد أوصى أكثر من مرة، وكان بعضها في سنوات سابقة، حيث كان معاوية قد أسن، وكان يمرض، فيوصي ولده بما أراد.

ولكن ها هو عبد الرحمان بن أبي بكر يتوالى ذكره في غير وصية معاوية في العديد من المصادر، وقد ورد ذكره هنا في رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة، وعلى لسان مروان بن الحكم، في أمر البيعة ليزيد..

وهذا يدعو إلى التريث في الحكم بصحة ما يزعمونه من موت عبد الرحمان بن أبي بكر قبل موت معاوية.. لاسيما مع عدم وضوح

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٢٧.

هذا الأمر، لترددهم في سنة موته بين عدة سنوات.

بل إن هذه النصوص التي تتحدث عن حياته إلى ما بعد موت معاوية قد وردت على لسان مروان، والوليد بن عتبة، ويزيد بن معاوية، الأمر الذي يجعلنا نرجح بقاءه إلى ما بعد موت معاوية.

من هو والي المدينة؟!:

في أكثر المصادر: أن والي المدينة ـ حين تولى يزيد بعد موت أبيه ـ هو الوليد بن عتبة.

لكن بعض المصادر تذكر: أن الوالي كان حينئذٍ خالد بن الحكم(١)، ولا ندري على أي شيء اعتمد هذا القائل، وإن كان قد وهم في ذكره خالداً، فلماذا وقع في هذا الوهم؟!

وفي الأمالي للصدوق ذكر اسم عتبة بدل الوليد بن عتبة، فلعل كلمتي «الوليد بن» قد سقطتا سهواً، من الناسخ، أو من الراوي(٢).

وقول ابن سعد: إن الوالي هو الوليد بن عقبة بن أبي سفيان، فهو من تصحيف الراوي، أو الكاتب، لتشابه كلمتي عقبة وعتبة في رسم الخط.

---

(١) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص٤٢.

(٢) الأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦١.

متى مات معاوية؟!

تقدم قولهم: إن معاوية مات سنة ستين في شهر رجب.

ولكننا نحب التذكير: بأن هذا قد يكون غير دقيق، إلا بناء على ما فعله عمر بن الخطاب من تغيير رأس السنة الهجرية من أول ربيع الأول إلى أول شهر محرم..

مع أن النبي قد جعل نفس هجرته مبدأً للتاريخ، وهو إنما خرج من مكة في أول شهر ربيع الأول، ودخل المدينة في الثامن منه..

وصار «صلى الله عليه وآله» يؤرخ كتبه، وعهوده، وسواها بيوم هجرته، وجرى الناس على هذا، فلما كان في أيام عمر أراد أن يغير هذا التاريخ، فلم يرض علي «عليه السلام»، فاكتفى بإرجاعه إلى أول محرم، الذي كان مبدأ السنة في الجاهلية.

فبناء على ما فعله عمر بن الخطاب، إذا كان معاوية قد مات، وتولى يزيد في شهر رجب من سنة ستين، فيكون استشهاد الحسين «عليه السلام» في اليوم العاشر من محرم سنة إحدى وستين..

مع أن الرواية عن النبي «صلى الله عليه وآله» تقول: «يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري»[1].

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٩٠ عن الطبري، ولم يطعن في سنده إلا في سعد بن طريف، وليس ذلك إلا لتشيعه حسبما صرحوا به.

وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٩٨ وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص١٨٥ و (ط مجمع إحياء

ومن المعلوم: أن رأس السنة هو أولها. وهذا يعني: أن معاوية قد مات سنة ٥٩ هـ . بناء على ما صنعه رسول الله «صلى الله عليه وآله». ثم استشهد الحسين «عليه السلام» على رأس سنة ستين من هجرته «صلى الله عليه وآله». كما هو صريح الحديث الشريف عنه.

ولكن ما يؤسف له هنا: أن يكون عدم وضوح هذا الأمر سبباً في الخدشة في صحة الحديث النبوي الشريف، وتضييع ما أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يؤديه للناس من خلال هذه الأخبار الغيبية.

أذن الفأرة:

تقدم عن ابن أعثم وغيره: أن يزيد «لعنه الله» قد أرفق كتابه للوليد بن عتبة بكتاب آخر في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة، يأمره

الثقافة الإسلامية سنة ١٤١٤هـ) ص٢٧١ وفي هوامشه عن مصادر أخرى، وتاريخ بغداد ج١ ص١٤٢ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٧هـ) ج١ ص١٥٢ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٥٨ والإلمام ج٥ ص٢٩٩ وكنز العمال (ط حيدر آباد) ج١٣ ص١١٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٢٨ وميزان الإعتدال ج١ ص٢١٢ عن الطبراني، والخطيب، وابن عساكر، ومنتخب كنز العمال (هامش مسند أحمد) ج٥ ص١١١ ومقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج١ ص١٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٣٥٤ وج٢٧ ص٢٤٩ و ٢٥٠ و ٤٥٤ عن بعض ما تقدم، وعن مفتاح النجا (مخطوط) ص١٣٦ وغيره. وراجع: المصنف للصنعاني ج١١ ص٣٧٣ و ٣٧٥ والإتحاف ص٦٥.

فيه بأخذ الحسين «عليه السلام»، وابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر أخذاً عنيفاً، فمن أبى منهم البيعة، فليضرب عنقه، وليبعث إليه برأسه..

ولكن نص الطبري، وأبي حنيفة الدينوري لكتاب أذن الفأرة، لا يتوافق مع نص ابن أعثم، فقد ذكر الطبري مثلاً: ابن عمر، وابن الزبير، والإمام الحسين «عليه السلام» فقط، ولم يذكر عبد الرحمان بن أبي بكر(١).

والسبب في كتابة هذا الكتاب على حدة: هو إفهام الوليد: أن يزيد جاد فيما يقول، فلا يظنن أنه يعلن بالتهديد والوعيد بهدف التخويف، دون أن يتجاوزه إلى التنفيذ..

كما أن خطورة حدث كهذا، والخوف من عواقبه قد يدعو الوليد

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ ـ ٣٣٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ و ٢٥٠ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٤ والأخبار الطوال ص٢٢٧ والبيان والتبيين ج٢ ص١١٦ و (ط المطبعة التجارية الكبرى سنة ١٣٤٥هـ) ص٢٨٠ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٢٣ ـ ١٢٤ و ١٥٧ والعقد الفريد ج٣ ص٣٤٩ و (ط أخرى) ص٣٧٢ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٥٥ ج٥ ص٢٩٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣ وراجع: ربيع الأبرار ج٥ ص١٨٥ والأمالي للصدوق ص٢١٥ و ٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٠.

إلى التثبُّت والمراجعة فيه مرة بعد أخرى..

إصرار يزيد على قتل الحسين ×:

والذي يراجع النصوص يجد: أن يزيد «لعنه الله» كان يصر على الوليد بن عتبة بأن يبعث إليه برأس الحسين «عليه السلام».

وله كتاب يطلب فيه من الوليد: أن يأخذ له البيعة من الناس، وليكن أول من يبدأ به الحسين بن علي(١).

وعند ابن قتيبة: «وليكن أول من يبايعك من قومنا وأهلنا: الحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر. ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرها، وجزية رقبتهم، وطلاق نسائهم إلخ..»(٢).

---

(١) تهذيب الكمال ج٦ ص٤١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٦ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩١ و ٢٩٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٦ وج٣٣ ص٦٦٩ ومختصر تاريخ دمشق ج٧ ص١٣٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٢ ص٣٧٦.

(٢) الإمامة والسياسة (ط سنة ١٣٢٨ هـ بمصر) ج١ ص١٦٨ و (تحقيق الزيني) ج١ ص١٧٥ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٢٢٥.

وفي نص آخر: أمره أن يأخذ الحسين بالبيعة، ولا يرخص له في التأخر عن ذلك(١).

وحسب نص آخر: أمره أن يأخذ البيعة من هؤلاء الأربعة (الحسين «عليه السلام»، وابن الزبير، وابن عمر، وابن أبي بكر) أخذاً ضيقاً، ليست فيه رخصة، فمن تأبى عليك فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه(٢).

وعند اليعقوبي: إذا أتاك كتابي فأحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير(٣).

ونذكر أخيراً ما ذكره ابن طاووس: من أن يزيد كتب إلى الوليد:

(١) الإرشاد للمفيد ص٢٠٠ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٣٢ وروضة الواعظين ص١٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٩٥ ولواعج الأشجان ص٢٣ و ٢٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٢ ص٣٧٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٤ و ١٧٥ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٠ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٣٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٥ و (ط دار صادر) ج٢ ص٢٤١.

يأمره بأخذ البيعة له على أهلها (المدينة)، وخاصة الحسين بن علي، ويقول له: إن أبى عليك فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه(١).

وحين دخل الحسين «عليه السلام» على الوليد بن عتبة، وجرى الكلام بينه وبين مروان، ورفض «عليه السلام» البيعة، كتب الوليد إلى يزيد «لعنه الله» يخبره بالأمر، فجاءه الجواب من يزيد: يأمره بأخذ البيعة من أهل المدينة مرة ثانية، وقال له: «وليكن مع جوابك إلي رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر إلخ..(٢).

ومن خلال العرض السابق نفهم:

أولاً: إن يزيد قد أرسل عدة رسائل إلى المدينة، وهي ثلاث رسائل على الأقل: اثنتان منها، أرسلهما مع الرسول الأول: إحداهما في صحيفة مثل أذن الفأرة، ولعل الذي حملهما هو عبد الله بن عمرو

---

(١) الملهوف ص٩٦ و (ط أنوار الهدى سنة ١٤١٧هـ) ص١٦ ومثير الأحزان لابن نما ص٢٣ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٦٩هـ) ص١٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٧٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٨ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٥ والأمالي للصدوق ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦١.

بن أويس العامري[١]. وثمة كتاب آخر أرسله إليه مع زريق مولى معاوية. كما في رواية ابن عساكر.

ولعل اختلاف النصوص المتقدمة يشير إلى أن الرسائل قد تجاوزت الثلاث ربما إلى ضعفها أو أزيد، مما يعني: أن يزيد كان يتابع رسائله إلى المدينة، لشدة حرصه على حسم أمر المدينة لصالحه في أسرع وقت.

إلا أن يدعى: أن اختلاف نصوص الرسائل يرجع إلى المؤلفين الذين كان فيهم من يرغب في تلطيف اللهجة خدمة ليزيد والبيت الأموي، أو لأنه لا يريد أن يجهر بما يراه إساءة للإمام الحسين «عليه السلام»، أو لأنه يريد أن لا يثير الحساسيات ويلهب المشاعر، أو لغير ذلك من أغراض..

لعل بعض الرسائل قد وصل إلى الوليد بعد خروج الحسين «عليه السلام» إلى مكة.

ويشهد لذلك: قوله في ذيل رواية الأمالي: «فبلغ ذلك الحسين «عليه السلام»، فهمّ بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق». فإن هذا يناسب أن يكون ذلك قد بلغ الحسين حين كان «عليه السلام»

---

(١) راجع: تهذيب الكمال ج٦ ص٤١٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩١ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٦ وج٣٣ ص٦٦٩.

في مكة.

ثانياً: تدل هذه النصوص على أن يزيد كان مصمماً على قتل الحسين منذ اللحظة الأولى، فلا وقع لما يحاول البعض أن يدعيه من أن ابن زياد هو الذي ارتكب هذه الجريمة، وأن يزيد لم يكن يريد سوى الحصول على البيعة، وأنه قد لام ابن زياد، وأظهر الإنزعاج مما جرى..

وهناك شواهد كثيرة تدل على حرص يزيد على قتل الحسين «عليه السلام»، سيأتي بعضها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى..

ثالثاً: ومما يدل على تعدد رسائل يزيد إلى واليه بالمدينة:

ما رواه الصدوق «رحمه الله» عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده: من أن والي المدينة لما سمع رفض الإمام الحسين «عليه السلام» البيعة ليزيد، كتب إلى يزيد يطلب منه أن يعلمه برأيه.. فلما ورد الكتاب على يزيد بادر إلى الكتابة إليه: بأن يرسل إليه برأس الحسين «عليه السلام».

فبلغ ذلك الحسين «عليه السلام»، فهم بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق(١).

وذكر ابن أعثم والخوارزمي، ما هو قريب من هذا النص الذي

---

(١) الأمالي للصدوق ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦١.

رواه الصدوق «رحمه الله»، وزاد عليه الوعد الذي وعده الوليد بأن يجعل له أعنة الخيل، والجائزة، والحظ الأوفر(١).

الوقت لا يسع المراسلات:

وقد حاول بعض الإخوة أن يقول: إن الوقت ما بين موت معاوية، وبين خروج الحسين من المدينة إلى مكة لا يتسع لتعدد المراسلات، فإنهم يقولون: إن معاوية مات في النصف من شهر رجب سنة ستين(٢)، أو لثمان بقين من رجب(١)، وقد تحرك الحسين

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٥ وتسلية المجالس وزينة المجالس ج٢ ص١٥٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٠ ومثير الأحزان ص١٣ ولواعج الأشجان ص٢٣ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٦ وج٥٩ ص٥٨ و ٦٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٤١ وأسد الغابة ج٤ ص٣٨٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٤ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٥٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٥٢ و ١٧٥ و ٢٤٨ وصبح الأعشى ج٣ ص٢٦٦ والأنس الجليل ج١ ص٢٦٣ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٤ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩١ والدر النظيم ص٥٤٠ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٦ وج٣٣ ص٦٦٩ وروضة الواعظين ص١٧١ والإرشاد ج٢ ص٣٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، ج١٧ ص١٧٣ والثقات لابن حبان ج٣ ص٣٧٣ ومشاهير

«عليه السلام» نحو مكة لليلتين بقيتا من شهر رجب، أي بعد يومين أو ثلاثة من وصول أول رسالة من يزيد إلى الوليد، ووصل «عليه السلام» إلى مكة في الثالث من شهر شعبان(٢).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ إن القول: بأن المشهور أن الحسين «عليه السلام» قد خرج بعد يومين أو ثلاثة من وصول الرسالة الأولى ليزيد، لم نتحقق من صدقيته، ولعله مجرد استنباط لا يمكن الإعتماد عليه، لاسيما مع عطف كلمة «أو ثلاثة» على كلمة «بعد يومين».

وقد يتضح صحة قولنا هذا من خلال ما يلي.

٢ ـ إن القول: بأن معاوية قد مات في النصف من شهر رجب غير مسلم، فإن اليعقوبي يقول: «ملك يزيد بن معاوية ـ وأمه ميسون بنت بحدل الكعبي ـ في مستهل رجب سنة ستين هجرية، وكان

علماء الأمصار ص٨٦.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٠ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤١٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص٣٠٥ والتعديل والتجريح للباجي ج٢ ص٧٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص٦٠ و ٢٣٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٥٢.

(٢) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢ ص٣٩٦ و ٣٩٧.

غائباً[١].

كما أن الطبري يقول: «ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين»[٢].

وقال ابن الأثير: «ثم مات بدمشق لهلال رجب، وقيل: النصف منه، وقيل: لثمان بقيت منه»[٣].

وقيل: إنه مات لأربع خلون من رجب[٤].

ومن الواضح: أن ما يقرب من شهر يكفي لإرسال رسول من يزيد، ثم دعوة الإمام الحسين «عليه السلام» للبيعة ورفضه، ثم كتاب الوليد ليزيد يسأله رأيه، وعودة الجواب إليه.. حتى لو وصل الجواب للوليد بعد خروج الحسين «عليه السلام» إلى مكة.

٣ ـ يضاف إلى ما تقدم: أننا لا نستبعد أن يكون يزيد قد أرسل

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤١ وراجع: حياة الحيوان الكبرى ج١ ص٩١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٠ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٦ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٧ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢.

(٣) الكامل في التاريخ ج٤ ص٦.

(٤) مجمع الزوائد ج٩ ص١٩٧ والمعجم الكبير ج١٩ ص٣٠٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٤١٩ وتاريخ بغداد ج١ ص٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص٥٨ و ٢٣٨ و ٢٣٩ وتهذيب الكمال ج٢٨ ص١٧٩ وتهذيب التهذيب ج١٠ ص١٨٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٣.

إلى الوليد بن عتبة رسائل متتالية عديدة، يلح فيها عليه أن يقتل الحسين «عليه السلام»، فلم يفعل.. ولعل هذا يفسر لنا اختلاف نصوص رسائله إلى عامله، ففي بعضها أنه أمره بإرسال رأسه إليه، وفي بعضها يأمره بالتشدد عليه، دون أن يصرح بالقتل، كما أن هناك اختلافات أخرى بينها، وكل ذلك يؤكد هذا الإحتمال الأخير..

حجج مروان لقتل الحسين ×!!:

وقد صرحت النصوص: بأن الوليد بن عتبة كان يأبى أن يقدم على قتل الحسين «عليه السلام»، وكلماته المختلفة صريحة في ذلك.. كما أنه بالرغم من إصرار مروان عليه بقتل الحسين، وتكراره هذا الطلب عدة مرات، فإنه بقي على موقفه الرافض.

وتتلخص حجج مروان بما يلي:

أولاً: إن عليه أن يأخذهم بالبيعة قبل أن يعلموا بموت معاوية، لأنهم إن علموا بموته، وثب كل امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف، ودعا إلى نفسه(١).

---

(١) راجع: تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٣٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٠ و ٢٥١ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٤ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٧ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٠ والأخبار الطوال ص٢٢٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٧٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات)

ثانياً: ادعى: أن آل أبي تراب هم الأعداء في قديم الدهر، لم يزالوا.

وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان.

ثم ساروا إلى أمير المؤمنين (يعني معاوية بزعمه) فحاربوه[1].

ثالثاً: قول مروان للوليد: لست آمن أنك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة، أن تسقط منزلتك عند أمير المؤمنين يزيد[2].

رابعاً: إن هؤلاء النفر إن بايعوا لم يختلف أحد من أهل الإسلام على يزيد، ولا بد أن يعجل عليهم قبل أن يفشو الخبر، فيمتنعوا[3].

وهي حجج واهية، وقد كذبتها الوقايع، ويكذبها المنطق السليم.

وذلك لما يلي:

١ ـ إنهم بعد أن علموا بموت معاوية كانوا هم الخائفين والمضطهدين، الباحثين عن مكان آمن لأنفسهم. كما أن الحسين «عليه

ج٣٣ ص٦٥٣ وأنساب الأشراف ج٥ ص٣٠٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٧٧ و ٧٧٨ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٨ ص٢٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٥.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٠.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) راجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٧٥ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٢٢٦.

السلام» لم يدع الناس إلى نفسه، طيلة شهر شعبان إلى أن سار إلى العراق يوم التروية من شهر ذي الحجة.

وحين خرج إلى العراق إنما خرج خوفاً من أن يغتاله الذين دسهم يزيد لهذا الغرض، لأنه «عليه السلام» لا يريد أن يقتل في الحرم.

كما أنه حين سار إلى العراق لم يقل للناس: إني أريد أن أستولي على الحكم، بل قال لهم: إن الله شاء أن يراني قتيلاً. وقال عن نسائه: إن الله شاء أن يراهن سبايا.

كما أن عبد الله بن الزبير، وكذلك ابن عمر، وعبد الرحمان بن أبي بكر لم يحركوا ساكناً، ولم يتحركوا لطلب الملك..

٢ ـ ما ادعاه مروان، من أن عداوة بني هاشم لبني أمية قديمة، لا يبرر ظلمهم، وقتلهم، وسلب حقوقهم، لاسيما وأنه لم يصدر من هؤلاء المظلومين بعد أي موقف عدائي، أو أي تصرف تفوح منه رائحة التحدي. إلا عداوة القيم والفضائل للموبقات والرذائل.

٣ ـ والأهم من هذا أو ذاك: أن يزيد وبني أمية هم المعتدون الغاصبون لمقام الخلافة، لاسيما وأن معاوية قد تعهد بألا يعهد لأحد، بل يكون الأمر من بعده للحسن ثم الحسين.. كما تقدم، وسيأتي أيضاً.

٤ ـ أما فيما يرتبط بادعاء مروان أن آل أبي تراب هم قتلة عثمان، فالأمر كان على عكس ذلك، فقد كان علي «عليه السلام» يجهد لإصلاح الأمور بين عثمان، وبين الثائرين عليه، وكان عثمان يعطي العهود والمواثيق، ثم ينقض ذلك.

وهم يقولون: إن علياً «عليه السلام» أرسل ولديه للمنع من قتل عثمان، لكن عثمان نفسه رفض قبول ذلك.

٥ ـ وأما مسير آل أبي تراب لحرب معاوية، فلأن معاوية خارج على إمام زمانه، باغ عليه.. وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» ببغيه حين قال عن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية، وقد قتله جيش معاوية في حرب صفين.

٦ ـ وأما الحديث عن سقوط منزلة الوليد بن عتبة لدى يزيد إن لم يعاجل الحسين «عليه السلام» خاصة، فمن المعلوم: أن المعيار هو أن لا تسقط منزلة الإنسان عند الله..

كما أن من المسلمات: أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٧ ـ أما فيما يرتبط بإجماع أهل الإسلام على البيعة ليزيد إن بايعه الحسين «عليه السلام»، أو غيره، فيقال فيه: أنه لا يجب على الحسين «عليه السلام»، ولا على غيره أن يساعد في تحصيل إجماع أهل الإسلام على البيعة ليزيد، لاسيما إذا كانت البيعة غير مشروعة، لما كان عليه حال يزيد من الفسق والفجور.

ولأنها بيعة تقوم على الإبتزاز لحق الآخرين، كما اعترف به معاوية.

ولأنها قائمة على الخيانة للعهود، ونقض المواثيق، ونكث الأيمان..

على أن عدم المساعدة على تحقيق إجماع أهل الإسلام، وإفساح المجال للحسين للإمتناع، وعدم تمكينهم من ظلمه وإجباره.. لا يبرر

الأمر بقتله، ثم إرسال رأسه ليزيد كما هو واضح.

موقف الوليد بن عتبة:

تقدم: أن الوليد بن عتبة لم يستجب لطلب يزيد المتكرر، ولا لإلحاح مروان عليه بقتل الحسين. بل إنه حين تسلم كتاب يزيد الذي يأمره فيه بقتل الحسين، قال: «يا ويح الوليد بن عتبة.. من أدخله في هذه الأمارة؟! ما لي وللحسين بن فاطمة»؟!(١).

وحين أشار عليه مروان بقتل الحسين، قال: يا سبحان الله، أقتل الحسين بن علي، وابن الزبير»(٢).

وفي نص: سبحان الله! أقتل حسيناً إن قال لا أبايع(٣).

وعند ابن أعثم والخوارزمي: إن الوليد قال لمروان: «يا ليت الوليد لم يولد، ولم يكن شيئاً مذكوراً. قال: ثم دمعت عيناه..».

إلى أن قال لمروان: «مهلاً، ويحك يا مروان عن كلامك هذا،

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٩ و ١٨٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص١٧ وتاريخ خليفة بن خياط ص١٧٧ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢ ص٣٨٢ وأنساب الأشراف ج٥ ص٣١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٧٠.

(٣) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥.

وأحسن القول في ابن فاطمة، فإنه بقية ولد النبيين»[١].

وفي نص آخر: «فقال الوليد: ليتني لم أك شيئاً مذكوراً»[٢].

وحين أرسل الوليد إلى الحسين «عليه السلام»، يطلب منه أن يأتيه، وعاد إليه الرسول: بأن الحسين قد أجاب، قال مروان: غدر ـ والله ـ الحسين.

فقال الوليد: مهلاً، فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئاً، ثم لا يفعل[٣].

وفي نص آخر: أنه قال له: «ما كنت لأقطع أرحامهما»[٤].

ونذكّر أخيراً بقول الوليد لما ورد عليه كتاب يزيد: «لا والله، لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها»[٥].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٩ و ١٨٠.

(٢) الملهوف ص٩٧ و (ط أنوار الهدى سنة ١٤١٧هـ) ص١٧ ومثير الأحزان ص٢٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٤ ولواعج الأشجان ص٢٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤١ وموسوعة الإمام الحسين ج٢ ص٣٩١.

(٥) الفتوخ لابن أعثم ج٥ ص١٧ و ١٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١

ولما ظن الوليد أن الإمام «عليه السلام» خرج من المدينة قال: «الحمد لله الذي لم يطالبني الله عز وجل بدمه»(١).

وقال لمروان: إنك اخترت لي فيها هلاك ديني. والله، ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس، وغربت عنه من مال الدنيا، وملكها، وأني قتلت حسيناً.. سبحان الله، أقتل حسيناً إن قال: لا أبايع؟! والله، إني لأظن امرءاً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة»(٢).

وفي نص آخر ذكر نفس المعاني التي في النص السابق، لكنه ذكر أنه أشار عليه بهلاك دينه ودنياه(٣).

ص١٨٥.

(١) المصدران السابقان.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٥ و ١٦ والأخبار الطوال ص٢٢٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٦ وأنساب الأشراف ج٥ ص٣٠٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٥ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٨١ و ٧٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٦٦ وغير ذلك.

(٣) الملهوف ص٩٨ و (ط أنوار الهدى ـ قم سنة ١٤١٧هـ) ص١٧ ومثير الأحزان ص٢٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٤ والفتوح لابن أعثم ج٥

ونقول:

نحتاج إلى إلقاء نظرة على هذا الموقف للوليد بن عتبة، فهل الدافع له إلى اتخاذه:

١ ـ أنه كان يتحاشى الصدام مع الحسين «عليه السلام»، خوفاً من الحسين «عليه السلام»، ومن بني هاشم، لأنه يعلم أنه «عليه السلام» لا يهاب في الحق أحداً. وقد رأى بعضاً من شجاعة الحسين «عليه السلام» حين نازعه في أرض كانت له «عليه السلام». فتناول عمامة الوليد عن رأسه، فجذبها.

فقال مروان محرضاً الوليد: ما رأيت كاليوم جرأة رجل على أميره!

قال الوليد: ليس ذلك بك، ولكنك حسدتني على حلمي عنه الخ..(١).

وحين كتب معاوية إلى الوليد يأمره بأن يرسل إليه الحسين «عليه السلام» لكي يبلسه، أرسل إلى الحسين «عليه السلام»، فأقرأه كتاب

ص١٤ ومقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج١ ص١٨٤ ولواعج الأشجان ص٢٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٨٢.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢١٠ ومختصر تاريخ دمشق ج٢٦ ص٣٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٣٢ وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٣ و ٢٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٦٦.

معاوية، وقال له: «أما والله إنه لا بد لك من السمع والطاعة.

فوثب الحسين، فأخذ عمامته فاجترها إليه، وجعل الوليد يطلقها عنه كوراً كوراً، ويقول: ما أردنا أن نبلغ كل هذا منك يا أبا عبد الله..

فلما خلصوه من الحسين «عليه السلام» قال: ما هجنا بأبي عبد الله إلا أسداً»(١).

نعم.. وهذه الشجاعة هي التي ترعب قلوب الظالمين والمعتدين. ولكنهم يحاولون التستر على هذا الرعب بانتفاخات خادعة، وادعاءات زائفة، فتجد أشرَّهم وأضرَّهم يلبس لبوس الحمل الوديع، ويتظاهر بالحلم، أو يدعي الورع والتقى، حين يواجه مظلوماً مكلوماً، يختار طريق ذات الشوكة في الدفع عن نفسه، وعن أهله، ودينه..

وهذا ما نفهمه من حال الوليد بن عتبة، حيث لم يجرأ على مواجهة الإمام الحسين «عليه السلام» حين وجد فيه أسداً هصوراً، وأبياً وكمياً جسوراً، يكره الظلم والظالمين. ويحب المستضعفين وأهل الدين.

٢ ـ أم أن السبب هو خشيته من حدوث مواجهة في المدينة بين

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢٠٩ وج١٤ ص٢٠٧ ومختصر تاريخ دمشق ج٢٦ ص٣٣٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٧ وج٣٣ ص٦٦٩ .

الحزب الأموي والهاشميين ومن يرى رأيهم، وقد ينضم إليهم جماعات طامحة أو طامعة، وقد يلحق الوليد من هذه الفتنة ضرر كبير وخطير حتى على حياته؟!

٣ ـ أو أن سبب خوفه هو تهيبه الإقدام على قتل أقدس رجل على وجه الأرض، وهو سليل الرسول، مع علمه بموقعه من هذا الدين. وقد سجل القرآن الثناء عليه في كثير من آياته وسوره، مثل سورة هل أتى، وآية المباهلة، وآية المودة، وآية التطهير، وغيرها؟!

هذا عدا عن ما ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حقه «صلوات الله وسلامه عليه».

فلم يرد أن يكون الرجل الذي تصب عليه الأمة لعناتها، كلما ذكر الحسين «عليه السلام» إلى يوم القيامة.

٤ ـ أو أن سبب ذلك: هو حساب العواقب التي ستترتب على جريمة كهذه. وأنها لن تكون لصالح الحكم الأموي بلا ريب، فلم يرد أن يسهم في تقويض الحكم الأموي إلى غير رجعة..

٥ ـ أو أن سبب ذلك: أنه كان لديه بعض الإنصاف، والاحترام والإكبار لأهل الفضل، والعلم، والتقوى، والاستقامة على جادة الصواب، والهدى، والفلاح.

والذي نراه: أن جميع ما ذكر، ما عدا السبب الأخير يمكن أن يكون بمفرداته، أو بمجموعه سبباً لهذا الموقف منه. وداعياً إلى صدور تلك التصريحات عنه.

لماذا استثناء السبب الأخير؟!:

هناك أمور عديدة تدعونا لإساءة الظن بالوليد، والتزام جانب الحذر من إعطائه الأوسمة التي لا يستحقها.

ومن هذه الأمور نذكر:

ألف: منازعته المتكررة للإمام الحسين «عليه السلام» لانتزاع أراضي كانت للإمام المطهر المعصوم.

ب: ما تقدم من أن معاوية كتب إلى الوليد بأن يرسل إليه الحسين «عليه السلام» مع شرطي لكي يبلسه. فقال حينئذ للحسين «عليه السلام»: أما والله إنه لا بد لك من السمع والطاعة الخ..

ج: يذكر ابن عساكر بعض المناسبات ويقول: «وقد كان الوليد أغلظ للحسين، فأَخَذَ الحسين «عليه السلام» بِعِمامَتِهِ فَنَزَعَها مِنْ رَأْسِهِ، فقال الوليد: إن هجنا بأبي عبد الله إلاّ أسداً!

فقال له مروان ـ أو بعض جلسائه ـ: اقتله!

قال الوليد: إنّ ذلك لدم مضنون في بني عبد مناف.

فلمّا صار الوليد إلى منزله قالت له امرأته أسماء بنت عبد الرحمن بن

الحارث بن هشام: أسببت حسيناً؟!

قال: هو بدأ فسبّني.

قالت: وإن سبّك حسين تسبّه؟! وإن سبّ أباك تسبّ أباه؟!

قال: لا»(١).

د: إن الإمام الحسين يقول لرجاله الذين جاؤوا إلى منزل الوليد حين استدعاه، وأوقفهم «عليه السلام» على الباب: «إن الوليد استدعاني في هذا الوقت. ولست آمن من أن يكلفني فيه أمراً لا أجيب إليه. وهو غير مأمون»(٢).

هـ: وحين منع الوليد العراقيين الذين قدموا المدينة من الوصول إلى الإمام قال له «عليه السلام»: «يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربه، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقي ما جهلته أنت وعمك؟!

فقال الوليد: ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلا تخطر بها فتخطر بك الخ..».

وهذا تهديد له بالقتل. لا يصدر من محب، ولا من ذي دين.

و: إنه حين استشهد الإمام الحسين «عليه السلام» أتي برأسه إلى

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص٢٠٠ و (ط سنة ١٤١٤هـ) ص٢٩٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ و ٢٦٠٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٥ و ٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٧ وج٣٣ ص٦٦٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٢٠٠ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٣٢ وروضة الواعظين ص١٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٣ ولواعج الأشجان ص٢٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧.

عمرو بن سعيد بن العاص (المعروف بالأشدق). وكان يزيد قد عزل الوليد، واستعمل الأشدق حين بلغه أنه لم يكن حاسماً في تنفيذ أوامره بقتل الحسين.

فقال الأشدق للوليد: قم فتكلم.

فقام فقال: «إن هذا عفا الله عنا وعنه، حرنا بين أن يقتلنا ظالماً، ونقتله معذورين في قتله، فصرنا إلى التي كرهنا، مضطرين إليها، غير مختارين لها. وتالله لوددنا أننا اشترينا له العافية. ولو أمكن ذلك بأغلى الثمن، وإن عجل قوم بملامنا ليصيرُن إلى عذر منا[1].

وهذا كلام حاقد وخبيث.

أولاً: لأنه اتهم فيه الحسين «عليه السلام»: بأنه كان يريد قتل بني أمية ظالماً لهم، والحال أن الحسين لم يكن يريد قتل أحد، بل كان يريد الإصلاح في أمة جده، فقتلوه لأجل ذلك..

ثانياً: إن بني أمية، ما كانوا معذروين في قتل الحسين «عليه السلام»، لأنهم هم الذين نقضوا العهد والشرط، ونكثوا الأيمان بعد توكيدها، بأن لا يعهد معاوية لأحد، بل يكون الأمر بعده للحسن، ثم للحسين «عليهما السلام».

ثالثاً: لم تكن هناك ضرورة لقتل الحسين، فقد كانت هناك

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢١١ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٣٤.

خيارات أخرى غير القتل، ولكنهم أرادوا إذلال الحسين، كما قال: «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد».

رابعاً: إن أحداً لم يصادر اختيار بني أمية، ولم يقهرهم على ارتكاب هذا الجرم الشنيع، بل كانوا مختارين فيه.

خامساً: إن الوليد قد كذب حين حلف بالله أنهم كانوا يودون لو اشتروا للحسين العافية، ولو بإغلاء الثمن. فقد عرفت أن يزيد بمجرد موت أبيه كتب إلى الوليد أكثر من مرة يأمره بقتل الحسين «عليه السلام».. هذا عدا ما سنذكره، من أوامر أصدرها إلى عبيد الله بن زياد بهذا الخصوص.

وبذلك يتضح: أن الوليد قد كذّب، ودلّس الحقائق التي كان هو المعني بها مباشرة، ودان الحسين «عليه السلام»، وبرَّأ يزيد، وألقى الشبهات في الأذهان.

الوليد يقر على نفسه:

ولدينا شاهد من الوليد بن عتبة نفسه يدلنا على أنه كان يحاذر من قتل الحسين «عليه السلام» لسببين:

الأول: هيجان أمة الإسلام ضد قاتله، وضد قومه. وهو أمر لا يطيق أحد مواجهته وصده.

الثاني: إن هذا الحدث الهائل سيبقى في ذاكرة الأمة إلى يوم القيامة، ولا ينسى أبداً.

فقد قال محمد بن أبي طالب: «واتصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة بأن الحسين «عليه السلام» توجه إلى العراق، فكتب إلى ابن زياد:

أما بعد.. فإن الحسين قد توجه إلى العراق وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله، فاحذر يا ابن زياد أن تأتي إليه بسوء فتهيج على نفسك وقومك أمراً في هذه الدنيا لا يصده شيء، ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدنيا.

قال: فلم يلتفت ابن زياد إلى كتاب الوليد»(١).

وقد نسب هذا الكتاب إلى مروان أيضاً(٢).

ولكنها نسبة لا يمكن تصديقها، فإن اللؤم الذي أظهره مروان، والحرص على قتل الإمام الحسين «عليه السلام» ربما لم يكن يقل عن حرص يزيد «لعنه الله» على قتله «عليه السلام»، وهذا لا ينسجم مع مفاد هذا الكتاب.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٨ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٧٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٢١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٢ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٤٢ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦١٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٢.

لا يغدر الحسين ×:

وقول الوليد لمروان: «مهلاً، فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئاً ثم لا يفعل» يدل على معرفته بسمات الرجال، وقدرته على توقع ما يصدر منهم من مواقف، بالاستناد إلى ما يعرفه من طبائعهم، وخصائصهم الفكرية، والإيمانية، وبيئتهم التي نشأوا فيها. وقد برأ الحسين من تهمة الغدر، والتراجع عن أقواله، لأنه يعلم: أنه من أهل بيت النبوة، المطهرين من كل رجس، الجامعين لكل صفات الفضل والكمال، وسمات البهاء والجمال.

ابن فاطمة ÷ وابن علي ×:

وقد قال الوليد حين جاءه أمر يزيد له بقتل الحسين «عليه السلام»: «ما لي وللحسين بن فاطمة»؟!

وفي نص آخر قال: «لا يراني الله قاتل الحسين بن علي. وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله الخ..». ولعله كرر هذا المعنى تارة بالصيغة الأولى، وأخرى بالصيغة الثانية.

ونلاحظ: أن نسبته إلى أمه فاطمة «عليها السلام» كان يكثر على لسان أعدائه، والمتحاملين عليه. ولذا نرى أنه «عليه السلام» حين أراد أن يردع جيش يزيد يوم عاشوراء عن التعرض لحرمه، وصار يكلمهم، قالوا له: ما تقول يا ابن فاطمة؟!

قال: أنا الذي أكلمكم، وتكلموني، والنساء ليس عليهن جناح الخ..

فأعداؤه كانوا يتعمدون تحاشي ذكر اسم علي «عليه السلام»،

ربما لشدة حقدهم على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد قال له جيش يزيد يوم عاشوراء: «**إنما نقاتلك بغضاً منا لأبيك**».

فبناء على ما تقدم نقول:

قد يمكن تصور أن يكون الوليد حين نسب الحسين «عليه السلام» إلى فاطمة «عليها السلام» كان في مجلسه من يخشى أن ينقل قوله إلى الذين يريد أن يداريهم، ويأمن شرهم.. أما حين قال كلمته الثانية فلعله قالها حين خلا له الجو، فليس هناك من يخاف منه.

ويشهد لما نقول:

تصريح الوليد: بأنه لا يقتل ابن علي. وابن بنت الرسول، ولو أعطاه يزيد الدنيا بحذافيرها.. فإنه لو كان هناك من يبلغ كلامه ليزيد لما تجرأ على هذا القول، وهو يعرف مدى رعونة يزيد في قراراته ومواقفه..

إلا أن يدعى: أن كلامه هذا حتى لو بلغ يزيد، فإن أقصى ما هناك أن يعزله عن عمله، ولاسيما إذا اعتذر إليه بأنه لا يريد أن يتولى هو مهمة قتل الحسين «عليه السلام». وأما أن يتولى ذلك غيره، فلا مانع لديه من ذلك..

الفصل الثالث:

اللقاء العاصف في منزل الوليد..

ظن يا أبا عبد الله:

وقالوا: إنه حين أرسل الوليد بن عتبة إلى الإمام الحسين «عليه السلام»، وعبد الله بن الزبير يدعوهما ـ وكان الوقت منتصف الليل[1] ـ قال ابن الزبير للحسين «عليه السلام»: ظن يا أبا عبد الله فيما أرسل إلينا.

فقال «عليه السلام»: لم يرسل إلينا إلا للبيعة.

قال: فما ترى؟!

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٦ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٥ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٤ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٥ والإرشاد ج٢ ص٣٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٧ وتاريخ المختصر الدول لابن العبري ص١١٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧ وروضة الواعظين ص١٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٦ وموسوعة الإمام الحسين ج٢ ص٣٨٥.

قال: آتيه. فإن أراد تلك البيعة امتنعت عليه[١].

وحسب نص الطبري: «فقال الحسين «عليه السلام»: قد ظننت. أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر.

فقال: وأنا ما أظن غيره[٢].

ولا ندري إن كان ابن الزبير صادقاً في ادِّعائه أنه قد ظن ذلك أيضاً.

وفي نص آخر: أنه لما بعث الوليد يدعوهم للحضور قال «عليه السلام» للجماعة: أظن أن طاغيتهم هلك، رأيت البارحة: أن منبر معاوية منكوس، وداره تشتعل بالنيران[٣].

---

(١) الإمامة والسياسة و (تحقيق الزيني) ج١ ص١٧٥ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٢٢٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥١ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص١٥ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٣٦ والأخبار الطوال ص٢٢٧ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٤ والدر النظيم ص٥٤١ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٥٣.

(٣) مثير الأحزان ص٢٣ و (ط المطبعة الحيدرية سنة ١٣٦٩هـ).

زاد ابن أعثم قوله: فأولت ذلك في نفسي أنه مات(١).

غدر والله الحسين:

وأضاف ابن أعثم إلى ما تقدم؛ قوله:

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا بن علي أن ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن دعيت إلى بيعة يزيد أبا عبد الله؟!

قال: أصنع أني لا أبايع له أبداً، لأن الأمر إنما كان لي من بعد أخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وحلف لأخي الحسن أن لا يجعل الخلافة لأحد من بعده من ولده، وأن يردها إليَّ إن كنت حياً.

فإن كان معاوية قد خرج من دنياه، ولم يفِ لي ولا لأخي الحسن بما كان ضمن، فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به.

أنظر أبا بكر، أنىَّ أبايع ليزيد، ويزيد رجل فاسق، معلن الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقية آل الرسول! لا والله لا يكون ذلك أبداً.

قال: فبينما هما كذلك في هذه المحاورة إذ رجع إليهما الرسول، فقال: أبا عبد الله! إن الأمير قاعد لكما خاصة تقوما إليه!

قال: فزبره الحسين بن علي ثم قال: انطلق إلى أميرك لا أم لك! فمن أحب أن يصير إليه منا فإنه صائر إليه، وأما أنا فإني أصير الساعة إن شاء الله تعالى.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨١.

قال: فرجع الرسول أيضاً إلى الوليد بن عتبة، فقال: أصلح الله الأمير! أما الحسين بن علي خاصة فقد أجاب، وها هو صائر إليك في إثري.

فقال مروان بن الحكم: غدر والله الحسين!

فقال الوليد: مهلاً! فليس مثل الحسين يغدر ولا يقول شيئاً ثم لا يفعل(١).

ونقول:

ليس هو الظن، بل اليقين:

إن عبد الله بن الزبير طلب من أبي عبد الله «عليه السلام» أن يخبره بما يظنه سبباً لدعوة الوليد لهما في تلك الساعة، وقال: ظُنَّ يا أبا عبد الله.. فأخبره «عليه السلام» بأن السبب هو طلب البيعة منهما، وفرضها عليهما..

وهذا يشير إلى حقيقة، هي: أن ابن الزبير كان لا يريد أن يعترف للحسين «عليه السلام» بأنه يملك علم الإمامة. ولعله كان في قرارة نفسه على يقين من ذلك، فيكون من مصاديق قوله تعالى: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ)**(٢).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٢ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٢.

(٢) الآية ١٤ من سورة النمل.

ونحن لا نتوقع غير هذا من ابن الزبير المعروف بلؤمه، وعداوته لعلي «عليه السلام» وذريته الطاهرة. حتى لقد جمع الحطب في أحد شعاب مكة، ووضع فيه بني هاشم، وأراد أن يحرقهم، فأنجاهم الله منه، وقطع الصلاة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعين جمعة، بحجة أن له «صلى الله عليه وآله» أهيل سوء يخاف أن يتلعوا أعناقهم.

وكان من قادة حرب الجمل التي كانت تهدف إلى قتل علي والحسنين «عليهم السلام» وشيعتهم ومحبيهم، فلا يتوقع من ابن الزبير غير تجاهل فضائل سيد شباب أهل الجنة «عليه السلام». فإنه ليس فقط لا يعتقد بإمامة الحسين «عليه السلام»، بل هو يتنكر لكل ما يمكن أن يعتبر فضيلة له «عليه السلام». بالرغم من أنه كان يعرف محبة النبي «صلى الله عليه وآله» للإمام الحسين «عليه السلام»، ويعرف أن العديد من الآيات قد نزلت في حقه، وحق أخيه، مثل آية المباهلة، وآية التطهير، وسورة هل أتى، وآية المودة، وغير ذلك..

ولا بد أن يكون قد سمع وعرف بالكرامات والفضائل التي كانت تظهر للحسين ولأخيه «عليهما السلام»، بالإضافة إلى العلم الذي يظهر منهما، ويصدر عنهما في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبعده.

فهو لا يريد أن يعترف للحسين «عليه السلام» بأنه يملك علم الإمامة الذي اختصه الله ورسوله به، فهو يريد أن يستفيد من هذا العلم، مع توصيفه له: بأنه مجرد ظنون وحدسيات، ولذا قال له: «ظَنَّ

يا أبا عبد الله». فلما أخبره «عليه السلام» بادر ابن الزبير إلى سؤاله عن موقفه وخطته.

وقد جاء جواب الإمام الحسين «عليه السلام» قاطعاً وحاسماً، وبالاستناد إلى الدليل القاطع، والبرهان الساطع..

فلما خوّفه ابن الزبير من كيد الوليد أجابه بذكر التفاصيل الدقيقة لما سيكون له من شأن مع الوليد بن عتبة، وبالخطة التي يريد أن يتبعها في دخوله عليه كما سيتضح.

الإمام يستند إلى الرؤيا:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن الإمام «عليه السلام» قد حدثهم عن الرؤيا التي تضمنت أنه رأى منبر معاوية منكوساً، وداره تشتعل ناراً.. وأنه «عليه السلام» قد أوَّل ذلك بهلاك معاوية.

وقد ورد في الروايات: أن نوم الإمام ويقظته واحدة، فعن الإمام الرضا «عليه السلام»: أنه قال للحسن بن علي الوشا: يا حسن، إن منامنا ويقظتنا واحدة(١).

---

(١) قرب الإسناد ص٢٠٢ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة ١٤١٣هـ) ص٣٤٨ ومدينة المعاجز ج٦ ص٤٥٣ وج٧ ص٩٩ وبحار الأنوار ج٤٩ ص٦٣ و ٨٧ وج٢٧ ص٣٠٢ وج٥٨ ص٢٣٩ وكشف الغمة (ط أولى) ج٣ ص١٣٧ و (ط دار الأضواء) ص٩٥ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٢٦ وج١٠ ص٢٠٠ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٥٨ .

وفي حديث عن أبي محمد العسكري «عليه السلام»: كلامنا في النوم مثل كلامنا في اليقظة(١).

وقد عبر «عليه السلام» رؤياه بهلاك معاوية، وقد ورد في الحديث الشريف عنهم «عليهم السلام»: «الرؤيا على ما تعبر»(٢).

الأمر كان لي:

أولاً: إن حال يزيد في فجوره وإعلانه بالفسق، وشربه الخمر، ولعبه بالكلاب، والقرود، والفهود، وغير ذلك كان ظاهراً لكل أحد.. ولم يكن الحسين «عليه السلام» بالذي يسكت على هذه الأحوال، ممن يدعي أنه خليفة الرسول، وحافظ دينه، مما يعني: أن الصدام معه واقع لا محالة، بملاحظة رعونة يزيد، وإجرامه..

ثانياً: إن هذا الإعتراض سوف يصادف لدى يزيد رغبة واندفاعاً

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج٢ ص٨٤٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٥٣٤ ومدينة المعاجز ج٧ ص٦٤٩ ـ ٦٥٠ وبحار الأنوار ج٥٠ ص٣٠٠ و ٣٠١ وراجع ج٣٠ ص١٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص١٧٥ وج١٠ ص١٩٩ وخلاصة الأقوال ص٣٨٦ والتحرير الطاووسي ص٤٦٤.

(٢) الكافي ج٨ ص٣٣٥ و ٣٣٦ وبحار الأنوار ج٥٨ ص١٦٤ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ ومرآة العقول ج٢٦ ص٤٩١ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٤٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٥٠٢ و (الإسلامية) ج٤ ص١٠٦٨ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٦٧.

قوياً لسفك دم الحسين، لسببين:

أولهما: إنه لا يحتمل اعتراض أحد عليه، ولاسيما إذا كان الأمر يتعلق بتصرفاته، وإشباع شهواته، وكان الهدف هو الحد منها، ومنعه من الإغراق في الانغماس فيها.

فإن ذلك معناه: أن يفقد يزيد مبرر وجوده بزعمه، وأن تضيع أحلامه، وتتبخر آماله في الحياة التي يريدها. ويسعى إليها.

الثاني: إن هذا يصادف من يزيد هوى واندفاعاً إلى سفك دم الحسين على وجه الخصوص، لأنه يبغض بقية آل الرسول «صلى الله عليه وآله»، كما أشار إليه الإمام الحسين «عليه السلام»..

ثالثاً: إن بيعة الحسين «عليه السلام» ليزيد تضييع للحق، وهدم لأعلامه الشامخة، وتقويض لدعائمه الراسخة، لاسيما، ما تحقق على يد أخيه الإمام الحسن «عليه السلام»، الذي انتزع إقراراً، وتعهداً، وأيماناً بالغة من معاوية بأن يكون الأمر من بعده للحسن ثم للحسين «عليهما السلام»، وبأنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده..

ولأجل ذلك لم يستطع معاوية أن يكره الإمام الحسين «عليه السلام» على البيعة ليزيد بولاية العهد.. ولم يكن من مصلحته التصعيد في الموقف معه «عليه السلام» إلى حد الصدام..

الحسين × لا يريد الصدام مع معاوية:

وكما أنه لم يكن من مصلحة معاوية أن يدفع بالأمور مع الإمام الحسين «عليه السلام» إلى حد الصدام. لم يكن الإمام الحسين «عليه

السلام» يريد الصدام مع معاوية، وذلك لما يلي:

١ ـ إن الحسين «عليه السلام» كان يعلم: أن معاوية قد وضع عليه العيون، الذين يخبرونه بكل كبيرة وصغيرة عنه.. وقد تقدمت الإشارة إلى موارد هذه الرقابة، في الجزء العاشر من هذا الكتاب.

يضاف إلى ذلك: ما كان يقوم به عمرو بن عثمان، ومروان بن الحكم وغيرهما من بني أمية من الرقابة عليه، والكتابة إلى معاوية بكل ما يوجب إثارة مخاوفه، ويدعوه إلى الإساءة إليه.. أي أن أي تحرك للإمام الحسين «عليه السلام» كان مرصوداً بكل تفاصيله..

٢ ـ إن أي تحرك ضد معاوية يحتاج إلى قدرات هائلة في المال والرجال والسلاح.. ولا تستطيع المدينة حتى لو انضم إليها سواها من بلاد الحجاز أن تفي بهذا الغرض، فكل تحرك يقتصر عليها في هذه الأمور الثلاثة لن ينتهي إلى نتيجة، بل سوف يخنق في مهده..

بل يكفي قطع الإمداد بالأموال والرجال عن هذا البلد أو ذاك، لكي يقضى على التحرك الذي ينطلق منه..

٣ ـ إن التحرك الصحيح والسليم هو الذي ينطلق من العراق في مقابل الشام، ففي العراق الأموال، والرجال، ولا يضيره أي حصار يفرض عليه، ولا يتأثر بقطع طرق الإمداد..

٤ ـ إن سياسة معاوية كانت تقوم على المكر، والغدر، مع التظاهر بالدين، والتقوى، ومحبة الرسول «صلى الله عليه وآله»، فلو أنه أحس بأن الحسين «عليه السلام» بصدد التحرك ضده، فإنه سوف

يعمل على التخلص منه، ولكن لا بصدام معلن، بل بدس السم إليه، كما فعل بالإمام الحسن «عليه السلام»، والأشتر، وعبد الرحمان بن خالد، وسواهم، أو بدس من يقتله غيلة وغدراً، فإن انكشف أمر القاتل، فإن معاوية نفسه سيبادر إلى القبض على ذلك القاتل، ثم يقتله أمام أعين الناس، وبذلك يكون قد أظهر نفسه بصورة الحريص على العمل بسنة العدل، والمتفاني بحب النبي وأهل بيته، ويؤكد بذلك موقعه، ومكانته في الناس.

٥ ـ لنفترض: أن الحسين «عليه السلام» أعلن الحرب على معاوية، وجمع جيشاً لحربه، ثم استشهد «عليه السلام» على يد جيش جهزه أو قاده معاوية نفسه، فإن معاوية سيكون قادراً على تشويه صورة الإمام الحسين «عليه السلام»، واتهامه بالشره إلى الحكم، وعدم التورع عن سفك دماء المسلمين في سبيل الحصول على السلطة..

٦ ـ إن الصدام مع معاوية سوف يعطي الفرصة لمعاوية ليجعل من الشرط الذي أعطاه للإمام الحسن «عليه السلام» وسيلة للتشنيع على الإمام الحسين «عليه السلام»، ودليلاً على أنه «عليه السلام» هو الذي ينكث العهود، ويخون المواثيق، وينقض الشروط.. ويصبح في موقع الباغي، والظالم، والموغل في دماء المسلمين بغير وجه حق..

وقد يدعي معاوية للناس: أنه بعد أن أخذ البيعة ليزيد بولاية العهد ندم، وصمم على تنحيته، والوفاء بشرطه للحسين «عليه السلام»، ولكن الحسين استعجل الأمر.

٧ ـ إن البيعة ليزيد، وعدم المطالبة بحقه الذي اعترف له به معاوية في الشروط التي أعطاها للإمام الحسن «عليه السلام». تعني المصادقة على خلافة الفاسق المعلن بفسقه، والشارب للخمر، واللاعب بالكلاب والفهود، والقاتل للأبرياء، والمبغض لبقية آل الرسول «صلى الله عليه وآله».

وإذا كان الخليفة يرى نفسه خليفة للرسول «صلى الله عليه وآله»، وفي موقعه، فذلك يعني: أن يستبيح يزيد الشريعة، ويتلاعب بها حسب أهوائه، ويسير في الناس بما يتوافق مع سيرته، كما سنوضحه حين الحديث، عن وصف الإمام الحسين «عليه السلام» ليزيد: بأنه فاسق فاجر، معلن بالفسق، شارب للخمر الخ..

الحسين × عند الوليد:

وقال الحسين «عليه السلام»: أنا لا بد لي من الدخول على الوليد، وأنظر ما يقول(١).

قال ابن أعثم: ثم أقبل الحسين على من بحضرته، فقال: قوموا إلى منازلكم، فإني صائر إلى هذا الرجل، فأنظر ما عنده وما يريد.

فقال له ابن الزبير: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»! إني خائف عليك أن يحبسوك عندهم، فلا يفارقونك أبداً

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ص١٧٥.

دون أن تبايع أو تقتل.

فقال الحسين: إني لست أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إلي وخدمي وأنصاري، وأهل الحق من شيعتي، ثم آمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسلولاً تحت ثيابه، ثم يصيروا بإزائي، فإذا أنا أومأت إليهم وقلت: يا آل الرسول ادخلوا! دخلوا وفعلوا ما أمرتهم به.

فأكون على الامتناع، ولا أعطي المقادة والمذلة من نفسي، فقد علمت والله أنه جاء من الأمر ما لا قوام به، ولكن قضاء الله ماض فيَّ، وهو الذي يفعل في بيت رسوله «عليه السلام» ما يشاء ويرضى.

قال: ثم صار الحسين بن علي إلى منزله، ثم دعا بماء، فلبس وتطهر بالماء، وقام فصلى ركعتين، ودعا ربه بما أحب في صلاته، فلما فرغ من ذلك أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته، فأعلمهم بشأنه، ثم قال: كونوا بباب هذا الرجل، فإني ماض إليه ومكلمه، فإن سمعتم أن صوتي قد علا، وسمعتم كلامي، وصحت بكم فادخلوا يا آل الرسول، واقتحموا من غير إذن، ثم اشهروا السيوف، ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم، ثم اقتلوا من يريد قتلي!

(وفي الإرشاد: فإن سمعتم صوتي قد علا فأدخلوا عليه لتمنعوه عني[1]).

---

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٣ وروضة الواعظين ص١٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٣ ولواعج الأشجان

(وعند ابن شهرآشوب: فإذا سمعتم الصيحة قد علت، والأصوات قد ارتفعت، فاهجموا إلى الدار، ولا تقتلوا أحداً، ولا تثيروا الفتنة[١]).

ثم خرج الحسين من منزله، وفي يده قضيب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو في ثلاثين رجلاً من أهل بيته، ومواليه وشيعته، حتى أوقفهم على باب الوليد بن عتبة، ثم قال: انظروا ماذا أوصيتكم، فلا تتعدوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء الله.

قال: ثم دخل الحسين على الوليد بن عتبة فسلم عليه، فرد عليه رداً حسناً، ثم أدناه وقربه.

قال: ومروان بن الحكم هناك جالس في مجلس الوليد، وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة، فأقبل الحسين على الوليد، فقال: أصلح الله الأمير! والصلاح خير من الفساد، والصلة خير من الخشناء والشحناء، وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمد لله الذي ألف بينكما.

قال: فلم يجيباه في هذا بشيء.

فقال الحسين: هل أتاكم من معاوية كائنة خبر، فإنه كان عليلاً وقد طالت علته، فكيف حاله الآن؟!

قال: فتأوه الوليد وتنفس الصعداء وقال: أبا عبد الله! آجرك الله في

ص٢٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٤.

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠ .

معاوية، فقد كان لك عم صدق، وقد ذاق الموت، وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعظم الله لك الأجر أيها الأمير، ولكن لماذا دعوتني؟!

فقال: دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه الناس.

فقال الحسين: إن مثلي لا يعطي بيعته سراً، وإنما أحب أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة. (وفي الطبري: فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية.

قال: أجل[١]).

ولكن إذا كان من الغد، ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم، فيكون أمرنا واحداً.

(وفي الأخبار الطوال: إن مثلي لا يعطي بيعته سراً، وأنا طوع يديك، فإذا جمعت الناس لذلك حضرت، وكنت واحداً منهم[٢]).

فقال له الوليد: أبا عبد الله! لقد قلت فأحسنت في القول، وأجبت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص١٨٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٥٣ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٤.

(٢) الأخبار الطوال ص٢٢٨.

جواب مثلك، وكذا ظني بك، فانصرف راشداً على بركة الله حتى تأتيني غداً مع الناس!

فقال مروان بن الحكم: أيها الأمير! إنه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبايع، فإنك لن تقدر منه ولا تقدر على مثلها، فاحبسه عندك ولا تدعه يخرج أو يبايع، وإلا فاضرب عنقه.

قال: فالتفت إليه الحسين وقال: ويلي عليك يا بن الزرقاء! أتأمر بضرب عنقي، كذبت والله(١)، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرم ضرب عنقي إن كنت صادقاً.

قال: ثم أقبل الحسين على الوليد بن عتبة.

وقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرَّمة معلن بالفسق، (ليس له هذه المنزلة، و) مثلي لا يبايع لمثله (مثله)، ولكن نصبح وتصبحون، وننتظر وتنتظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة.

قال: وسمع من بالباب الحسين، فهموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً، فأمرهم بالانصراف إلى

---

(١) في الطبري: كذبت والله، وأثمت. وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير: ولؤمت.

منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله. [في الطبري: فخرجوا معه حتى أتى إلى منزله].

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتى انفلت الحسين من يدك، أما والله لا تقدر على مثلها أبداً، ووالله ليخرجن عليك وعلى أمير المؤمنين، فاعلم ذلك.

فقال له الوليد بن عتبة: ويحك! أشرت علي بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وأني قتلت الحسين بن علي بن فاطمة الزهراء، والله ما أظن أحداً يلقى الله بقتل الحسين إلا وهو خفيف الميزان عند الله [يوم القيامة]، لا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

قال: فسكت مروان(١).

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٢ ـ ١٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٢ وذكر موجزاً عن ذلك في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥١ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٥ و ١٦ والإمامة والسياسة ج١ ص٢٢٦ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٣٦ والأخبار الطوال ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٢ و ٣٣ وروضة الواعظين ص١٨٩ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ و ٣٢٥ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠ والملهوف ص٩٧ ومثير الأحزان ص٢٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤١ وبغية

وعند ابن قتيبة: فقال له مروان مستهزئاً: إن كنت إنما تركت ذلك لذلك، فقد أصبت[١].

وفي الطبري وابن الأثير: يقول له هذا وهو غير الحامد له على رأيه[٢].

وروى الصدوق عن عبد الله بن منصور، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جده «عليهم السلام» قال: بعث عتبة (الصحيح: الوليد بن عتبة، والظاهر أنه سقط من الراوي) إلى الحسين بن علي «عليهما السلام»، فقال: إن أمير المؤمنين أمرك أن تبايع له.

فقال الحسين «عليه السلام»: يا عتبة، قد علمت أنا أهل بيت الكرامة، ومعدن الرسالة، وأعلام الحق الذي أودعه الله عز وجل قلوبنا، وأنطق به ألسنتنا، فنطقت بإذن الله عز وجل، ولقد سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان، وكيف أبايع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله «صلى

الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٥٧٢.

(١) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٧٦ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٢٢٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٥ ولواعج الأشجان ص٢٦ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨.

الله عليه وآله» هذا؟!(١).

وعند ابن شهرآشوب: أن الحسين «عليه السلام» لما دخل على الوليد قال له: ما كنت أبايع ليزيد.

فقال مروان: بايع لأمير المؤمنين.

فقال الحسين: كذبت ـ ويلك ـ على المؤمنين. من أمَّره عليهم؟!

فقام مروان وجرد سيفه، وقال: مر سيافك أن يضرب عنقه قبل أن يخرج من الدار، ودمه في عنقي، وارتفعت الصيحة، فهجم تسعة عشر رجلاً من أهل بيته وقد انتضوا خناجرهم، فخرج الحسين معهم(٢).

ونقول:

في النص المتقدم مواضع يحسن الوقوف عندها، وهي التالية:

جاء من الأمر ما لا قوام به:

تقدم: أن الحسين «عليه السلام» بعد أن ذكر أنه سيجمع أصحابه، ويجعلهم على باب الوليد ليمنعوه منه عند الحاجة قال: «ولا أعطي المقادة والمذلة من نفسي، فقد علمت والله أنه جاء من الأمر ما لا قوام

---

(١) الأمالي للصدوق ص١٣٠ و (ط مؤسسة البعثة) ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦١ وراجع: الفضائل لابن شاذان ص٦٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٠ .

به، ولكن قضاء الله ماض فيَّ، وهو الذي يفعل في بيت رسوله «عليه السلام» ما يشاء ويرضى».

فقد تضمنت هذه الفقرة الإشارة إلى ما يلي:

أولاً: إن الحسين «عليه السلام» كان عالماً بأنه قد دعي لمواجهة أمر عظيم لا قوام به.

ثانياً: إنه أمر يتضمن محاولة إذلاله «عليه السلام»، وحمله على إعطائهم مقادة نفسه.

ثالثاً: إن الأمر الذي يدعى له يستهدف بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالدرجة الأولى.

رابعاً: إن ما سيواجهه أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر مقضي من الله تعالى، ويجب عليهم اختيار مواجهته، ولا يحق لهم التخلي عنه.

خامساً: إن ما يجري على بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد رضيه الله تعالى لهم.. وما يرضاه الله لهم، فإنهم يرضونه لأنفسهم.

قضاء الله ماضٍ فيَّ:

وقوله «عليه السلام»: «قضاء الله ماضٍ فيَّ» يتضمن الإلماح إلى نهاية هذا المسار الذي دخل فيه «عليه السلام»، وأن عدم قدرة الوليد على إلحاق الأذى به «عليه السلام» في هذه المرحلة لا يعني حسم الأمر، والسلامة إلى النهاية، بل هذا يوم له ما بعده.

ولا بد من أن يمضي قضاء الله تعالى فيه «عليه السلام» وفق ما

يريده الله تعالى، والحسين «عليه السلام» راضٍ بهذا المصير، لأن الله تعالى قضاه عليه، لِحِكَمٍ يعلمها.

قضيب رسول الله ﷺ:

وقد أخذ الحسين «عليه السلام» معه إلى دار الوليد القضيب الذي كان لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ربما ليذكّر الوليد ومن يكون في مجلسه: بأن الحسين «عليه السلام» هو وارث الرسول «صلى الله عليه وآله»، دون كل من سواه. والمقصود: وراثة مقامه الذي يرمز إليه الناس بالبردة والقضيب، اللذين يكونان للخليفة الذي يفترض فيه أن يجلس في مجلسه، ويأخذ موقعه.

لا تقتلوا أحداً:

وقد أوصى «عليه السلام» أهل بيته وأصحابه الذين جعلهم على باب دار الوليد بما يلي:

١ ـ إذا سمعوا صوته قد علا، وصاح بهم: أن يدخلوا الدار من غير إذن.

٢ ـ أن يشهروا السيوف.

٣ ـ أن لا يعجلوا.

٤ ـ إذا رأوا ما يكرهون، فعليهم أن يقتلوا من يريد قتله.

٥ ـ أن يمنعوا الوليد عنه «عليه السلام».

٦ ـ أن لا يقتلوا أحداً.

٧ ـ أن لا يثيروا الفتنة.

٨ ـ أن لا يتعدوا ما أوصاهم به.

ونلاحظ:

ألف: أن هذه الوصايا في غاية الدقة، ولا مجال لتسجيل أي تحفظ، أو مؤاخذة عليها. فقد اقتصرت على موضع الحاجة، مما يحقق الهدف المنشود، وهو خروج الإمام سالماً، من دون حدوث أي تعدٍ، أو تسرع أو تصرف طائشٍ، أو انقياد لهوى أو انفعال..

ب: قد لا يستسيغ البعض أمره «عليه السلام» لأصحابه بأن يدخلوا من غير إذن. وهو كلام لا يصغى إليه، فإن من يكون بصدد قهر الإمام الحسين «عليه السلام»، وإذلاله، وسلب قراره، لا يأذن بدخول من ينصر الحسين «عليه السلام»، ويمنعه من إلحاق الأذى به، أو الحصول على ما يريد.

بل إن ذلك الطاغية قد يصبح حريصاً على الفوز بمرامه قبل أن يدهمه داهم، لا يعرف طبيعته وحجمه ومداه، ولم يتحقق من هدفه ومنحاه، وربما دعته العجلة إلى تصرف أرعن، وخبيث، كالتصرف الذي كان مروان يطالب به.

ج: وقد قال «عليه السلام» لأصحابه: «انظروا ماذا أوصيتكم، فلا تتعدوه». ولم يقل: «لا تتعدوا ما أوصيتكم». لأنه «عليه السلام» يريد منهم أن يراجعوا فقرات وصيته ويحددوا مضامينها، ثم مراعاة كل مفردة منها بخصوصها، وأن يلتزموا بتلك المضامين بدقة. ولو

قال لا تتعدوا وصيتي، فلربما ذهب وهمهم إلى لزوم اقتحام الدار حين تعلو الأصوات، وفي الحالة التي حددها لهم.

وأما سائر ما قاله لهم، فربما رخصوا لأنفسهم بالاجتهاد فيه، وتجاوزه، استجابة لحالات الانفعال التي تهيمن على المشاعر، في مثل هذه الأحوال.

أرجو أن أخرج إليكم سالماً:

وتقدم عن ابن أعثم: أن الإمام قال لأصحابه الذين وضعهم على الباب: «وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء الله».

فإذا كان الرجاء من الإمام الحسين «عليه السلام» لا يخيب، فذلك يعني: أن أصحابه لم يدخلوا إلى دار الوليد، لأن الحسين «عليه السلام» قد خرج إليهم سالماً، فصحبوه إلى منزله..

ولكن رواية ابن شهرآشوب تقول: إن تسعة عشر رجلاً من أهل بيت الحسين «عليه السلام» هجموا، وقد انتضوا خناجرهم، فخرج الحسين «عليه السلام» معهم.. فإن لم يمكن الجمع بين الروايتين فبأيهما نأخذ؟!.

قد يكون ثمة من يقول: إن رواية ابن شهرآشوب لم تصرح بدخول أصحاب الحسين إلى داخل الدار، بل قالت: إنهم هجموا وقد انتضوا خناجرهم، فلعلهم هجموا، ولم يصلوا إلى مجلس الوليد، وقد لاقاهم الحسين «عليه السلام» في وسط الدار.

ثلاثون، أو تسعة عشر رجلاً:

وذكرت الروايات: أن الذين جاؤوا مع الحسين «عليه السلام» كانوا ثلاثين رجلاً، لكن رواية ابن شهرآشوب تقول: «فهجم تسعة عشر رجلاً من أهل بيته..»، فبأيهما نأخذ؟!

ونجيب:

أولاً: إن الذين كانوا مع الحسين «عليه السلام» كان فيهم من هو من أصحابه، ومن مواليه وخدمه، وشيعته، فيبدو أن أهل بيته «عليه السلام» هم الذين بادروا إلى دخول الدار، وبقي أصحابه وشيعته، وخدمه خارج الدار، وبهم يتم عدد الثلاثين رجلاً.

ثانياً: إن دخول الجميع إلى الداخل فيه مخاطرة غير محمودة، إذ لعل الوليد كان قد أعد جماعة لكبس الدار حين تعلو الأصوات، أو حين يبلغهم أحد أتباعه من سطح داره، أو من أي منفذ آخر، بلزوم الحضور.. أو لعل أحداً يمر من ذلك الموضع فيسمع الضوضاء، فيخبر عنها من يعنيهم الأمر، فيحضرون لحل المشكل، أو للوقوف على ما يجري، ولعل.. ولعل..

كان لك عم صدق:

وعن ابن أعثم: أن الوليد أخبر الإمام الحسين «عليه السلام» بموت معاوية بقوله: «آجرك الله في معاوية، فقد كان لك عم صدق». ولم يعلق الإمام «عليه السلام» على هذه العبارة.

مع أن معاوية لم يكن من أعمام الحسين «عليه السلام» نسباً، كما

أن معاوية لم يكن عم صدق للحسين «عليه السلام» في مجال التعامل، بل شنّ حرباً ضروساً عليه وعلى أبيه وأخيه «عليهم السلام»، وسن لعنهم على منابر الإسلام في مختلف البلاد، ولم يزل يبغي لهم الغوائل، ويتهدد ويتوعد كل ما سنحت له الفرصة لذلك.

ولكن معاوية كان عم الوليد نفسه، فلعله قال: كان عم صدق، وقد أقحمت كلمة «لك». لحاجة في نفس من أقحمها.

ولو صح أن الوليد هو الذي قالها للإمام، فإن عدم تعليق الإمام على هذه الكلمة لا يعني قبوله لها.. لأن المقام مقام المجاملة، وكان هناك ما هو أعظم وأهم من ذلك.

هل ترحم الحسين على معاوية؟!:

وروى الطبري: أن الإمام الحسين «عليه السلام» حين نعى له الوليد معاوية قال: رحم الله معاوية، وعظم الله لك الأجر(١).

ولا نرى هذا صحيحاً، فإنه «عليه السلام» لم يكن بحاجة إلى هذا الترحم. وقد روى الآخرون ما جرى من دون ذكر لهذا الترحم، فراجع الفتوح لابن أعثم، ومقتل الحسين للخوارزمي.

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٩ و ٣٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٧ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٥٣.

هل اجتمع الناس على يزيد؟!:

وتقدم: أن الوليد قال للإمام الحسين «عليه السلام»: «دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه الناس». وقد تجاهل الإمام الحسين «عليه السلام» هذه العبارة أيضاً، لأنه يرمي إلى ما هو أهم وأولى.

وللتذكير والبيان نقول:

أولاً: إن معاوية كان قد سجل اعترافاً: بأن الأمر من بعده للحسن ثم للحسين.

ثانياً: أي ناس اجتمعوا على يزيد، هل هم صحابة الرسول؟! أو أهل الحل والعقد؟! أو العلماء وأهل السابقة في الدين؟! أو من عدا هؤلاء من أهل الشام الذين لا يتورعون عن الدخول في الحرب ضد وصي النبي، ولا يصدهم عقل أو دين عن قتل أقدس رجل على وجه الأرض، وهو ابن بنت رسول الله وسيد شباب أهل الجنة؟!

وهل إجماع الذين ينعقون مع كل ناعق يعطي شرعية لمن أجمعوا عليه، وهم يباعون ويشترون بالدرهم والدينار؟!

مثلي لا يعطي بيعته سراً:

وقد قال «عليه السلام» للوليد بن عتبة: «إن مثلي لا يعطي بيعته سراً..».

وهذا كلام سديد.. فإن الإعلان بالبيعة ممن هو محط أنظار الناس، وموئل آمالهم أمر يرغب فيه الحكام، لكي يتخذوا من هذا الإعلان حجة لهم، تخولهم اتهام من ينقض بيعته بالخيانة، التي تبيح

لهم ملاحقته والتنكيل به.

وحتى لو لم ينقض بيعته، فإن بيعته العلنية تمكنهم من اتهامه بنقضها، ويستحلون بذلك دمه، ويتخلصون منه.

كما أن من يكون له مقام متميز، ويخشى منه الحكام لا يعطي بيعته سراً، لكي لا يدعي عليه الحكام أنه لم يبايع، ويتخذوا ذلك ذريعة للبطش والتنكيل به.

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزي بها مني سراً، دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية».

البيعة بحضرة الجماعة:

وقد يتوهم البعض: أن قول الحسين «عليه السلام» للوليد: «وإنما أحب أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة. ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم، فيكون أمرنا واحداً».

إن هذا القول بمثابة وعد من الإمام الحسين «عليه السلام» للوليد بالبيعة ليزيد في اليوم التالي، فلماذا لم يف «عليه السلام» بوعده؟!

ونجيب:

أولاً: إنه «عليه السلام» لم يقل: أحب أن تكون بيعتي علانية، ليكون ذلك تلميحاً أو تصريحاً بالوعد في إعطاء البيعة، بل قال: «أحب أن تكون البيعة علانية». والمقصود: أن البيعة العامة لآحاد الناس ينبغي أن تكون علانية، وبحضرة الجماعة كما قال، سواء كان

هو يريد أن يبايع، أو يريد أن يرفض، أو يريد أن يغيب.

ثانياً: قد يقول قائل: لم نجد فيما بين أيدينا من نصوص ما يصرح بأن الوليد قد دعا أهل المدينة إلى البيعة ليزيد، في اليوم التالي، أو الذي بعده، إلى حين خروج الإمام الحسين «عليه السلام» إلى مكة.

ويدل على أن بيعة أهل المدينة قد حصلت بعد خروج الإمام الحسين «عليه السلام» إلى مكة قول ابن سعد: وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير من ليلتهما إلى مكة، فأصبح الناس، فغدوا على البيعة ليزيد! وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدا الخ..(١).

وذكر ابن الأثير: أنه بعد أن سار الحسين «عليه السلام» إلى مكة أرسل الوليد إلى ابن عمر ليبايع، فقال: إذا بايع الناس بايعت، فتركوه. وقيل: إن ابن عمر وابن عباس كانا في مكة، فقدما المدينة، فلما بايع الناس بايعا(٢).

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٣ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٨ والبداية والنهاية ج٨ ص١٩٢ (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٨.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص١٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢

ولعل تأخر الوليد في جمع الناس للبيعة كان بسبب خشيته من حصول مواجهة احتجاجية بينه وبين الحسين «عليه السلام»، وبني هاشم ومن يؤيدهم من الأنصار، وكذلك من ابن الزبير، وعبد الرحمان بن أبي بكر وغيرهم. وقد يتطور الأمر إلى عنف يخشاه الوليد خشيته على نفسه، وعلى الملك الذي اغتصبوه من أهله. وكان يعلم أن الرابح في سجال كهذا هو الحسين «عليه السلام»، ومن معه، لأن حال يزيد كان غير خافٍ على أحد، كما أن حجج هذا الفريق قاطعة لا يمكن ردها.

فلا مصلحة له في إقامة مجلس كهذا. بل عليه أن يتريث في الأمر، فلعله يجد مندوحة تجنبه هذا الإحراج الذي قد يتنامى، وقد يتطور إلى صدام قاس ومرير، وقد تنشأ عنه فضائح، وتظهر أمور لا يرى الوليد نفسه قادراً على تحمل تبعاتها.

وقد يقال: قد جاء في رسالة يزيد للوليد، التي تسلمها بعد خروج الحسين «عليه السلام» إلى مكة: أن يزيد أمر الوليد بأخذ البيعة على أهل المدينة مرة ثانية، فما المقصود؟! ومتى حصلت البيعة الأولى؟!

فإن كان المقصود بالبيعة الأولى هو: بيعتهم ليزيد بولاية العهد، فهو خلاف ظاهر كلامه.

ص٧٨٥ وراجع: أنساب الأشراف ج٥ ص٣٠١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٢.

وإن كان المراد: أن بيعة أهل المدينة له قد حصلت بعد موت أبيه، قبل خروج الحسين «عليه السلام» إلى مكة، فقد تقدم أنها لم تحصل.

ثالثاً: إن موقف مروان قد فاقم الأمور إلى الحد الذي دعا الحسين «عليه السلام» إلى التصريح: بأنه لا يمكن أن يبايع ليزيد، وقال: «مثلي لا يبايع مثله»، ويقول: «نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة».

وللمرء الحق في أن يتخذ الموقف الذي يلائم الأحداث المستجدة التي يسهم في صنعها الطرف الآخر، لأن تبعات ذلك تقع على عاتق من صنع تلك الأحداث.

أنا طوع يديك:

ولعل البعض لا يستسيغ أن يكون الحسين «عليه السلام» قد قال للوليد في هذا المجلس: أنا طوع يديك.

غير أننا نقول:

لا مانع من أن يطيع المؤمن أياً كان من الناس فيما هو حلال، أو فيما هو راجح ومحبوب لله تعالى، دون ما فيه معصية، كما دل عليه قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٤١ ودعائم الإسلام ج١

أو يقال: إنه «عليه السلام» طوع يدي الوليد فيما يحفظ الدين،

ص٣٥٠ والأمالي للصدوق ص٤٥٢ والخصال للصدوق ص١٣٩ و ٥٦٧ و ٦٠٨ وعيون أخبار الرضا ج١ ص١٣٢ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦٢١ وج٤ ص٣٨١ وخصائص الأئمة ص١٠٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١١ ص١٥٧ وج١٥ ص١٧٤ وج١٦ ص١٥٤ و ١٥٥ وج٢٧ ص١٣٠ و (الإسلامية) ج٨ ص١١١ وج١١ ص١٣٤ و ٤٢٢ و ٣٢٤ وج١٨ ص٩٣ ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٢٠٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٨٦ وشرح الأخبار ج١ ص١٤٦ والأمالي للمرتضى ج١ ص١١٠ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٤٢٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٢٨ وعيون الحكم والمواعظ ص٥٤٢ وغوالي اللآلي ج١ ص٤٤٤ ومدينة المعاجز ج٤ ص٥٣ وبحار الأنوار ج١٠ ص٢٢٧ و ٣٥٦ وج٤٣ ص٢٩٧ وج٧١ ص٥ و ٨٥ و ٣٣٧ وج٨٩ ص١٧٩ وراجع: مسند أحمد ج١ ص١٣١ و ٤٠٩ وج٥ ص٦٦ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٢٦ وج٩ ص١٧٧ و ١٨٦ وعمدة القاري ج٧ ص٢٨٢ وج١٤ ص٢٢١ والمصنف للصنعاني ج٢ ص٣٨٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٧٣٧ وبغية الباحث ص١٩٠ والمعجم الأوسط ج٤ ص١٨١ و ١٨٢ و ٣٢١ وج١٨ ص١٦٥ و ١٧٠ و ١٧٧ و ١٨٥ و ٢٢٩ وسؤالات حمزة للدارقطني ص٧٦ ومسند الشهاب ج٢ ص٥٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٨٩٠ والتمهيد لابن عبد البر ج٨ ص٥٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص١١٢ وج١٦ ص١٥٨ وج١٨ ص٣٨٩ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٧٤٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٣ ص٢١٦ وج٥ ص٨٦١ وج٦ ص٦٧ و ٧٦.

ومن جملة موارد حفظ الدين أن يجمع الوليد الناس، ويطلب منه الحضور للبيعة، لأنه يكون قد عرَّض موقعه للاهتزاز والخطر، والحسين يعلم: أن الوليد لا يقدم على أمر كهذا، لأنه يخشى، بل هو يعرف أن الحسين «عليه السلام» سوف يغتنم الفرصة لفضح يزيد، وبني أمية، ويُظهر من الشواهد والأدلة ما يقطع كل عذر، ويجعل من إقدام الناس على مبايعة يزيد أمراً بعيد المنال، ومحفوفاً بمحن وأهوال.

لو كان الوالي مروان:

قد ظهر مما تقدم:

١ ـ قد أظهر مروان حرصاً بالغاً على سفك دم الإمام الحسين «عليه السلام» بمجرد أن لاحت له بارقة أمل من جهة يزيد.

٢ ـ وكان معاوية قبل ذلك ـ كما ألمحنا إليه ـ حريصاً على استبعاد خيار الصدام العلني معه «عليه السلام»، ويؤثر اعتماد الأساليب الخفية الماكرة، التي مكنته من الفتك بالإمام الحسن «عليه السلام»، وعبد الرحمان بن خالد بن الوليد، والأشتر وغيرهم.

وقد تبجح معاوية بهذا الأسلوب الماكر حين قال: «إن لله جنوداً من عسل». في إشارة منه إلى دسه سماً في عسل سقاه للأشتر، وهو في طريقه إلى مصر. على يد أحد الأشقياء الذين سخرهم معاوية لهذا الغرض.

٣ ـ إن انتهاج معاوية لهذه السياسة حتَّم عليه ضبط حركة مروان،

الذي كان واليه على المدينة، ويسعى بكل قوة، ويختلق الذرائع لانتزاع موافقة معاوية على البطش بالإمام الحسين «عليه السلام»، أو التنكيل به على أقل تقدير.

٤ ـ لكن معاوية حسم الأمر، وألزم مروان بالكف عن محاولاته تلك، ثم عزله سنة سبع وخمسين وولى الوليد بن عتبة على المدينة، ومات معاوية في زمن ولاية الوليد، فتولى يزيد، وكان عليه أن يتعامل مع الوليد، فسارت الأمور في ولاية الوليد، وفق نفس المسار الذي كان في زمن معاوية.

ولو أن مروان كان هو الوالي على المدينة حين مات معاوية لسارت الأمور باتجاه آخر، قد يكون بالغ الخطورة على حياة الإمام الحسين «عليه السلام».

٥ ـ كان الحسين «عليه السلام» يعرف مروان حق المعرفة، ويتوقع أن يقدم على أمر عظيم في حقه «عليه السلام»، فمن الطبيعي أن يحتاط للأمر بما يناسب حال، وتوجهات ونوايا مروان.

والدليل على ذلك: أنه «عليه السلام» حين دعاه الوليد ليكلمه في أمر البيعة ليزيد، قد احتاط للأمر أيضاً بالرغم من معرفته بحال الوليد وسياساته ونهجه.. ولكنه يعرف أن مروان سوف يبذل جهده في التحريض عليه.. فهل يمكن أن لا يحتاط «عليه السلام» بصورة أشد وأقوى لو كان الوالي هو مروان الأرعن والحاقد؟!

٦ ـ إن تعامل الوليد قد خفف من أعباء الإمام الحسين «عليه

السلام»، ومن المضايقات التي كان سيواجهها لو كان الوالي مروان، أو عمرو بن سعيد (الأشدق)، أو غيرهما.

وخروجه «عليه السلام» من المدينة قد حصل في آخر الليل ليتلافى أعين الرقباء الذين لو اكتشفوا أمر الخروج لأوقعوا الوليد في حرج، ولكانوا سبباً في تجمهر الناس، وربما حصل ما لم يكن بالحسبان، وسيأتي أنه لم يتعرض للملاحقة في الطريق من قبل الوليد..

حرص مروان على قتل الحسين لماذا؟!:

وقد حاول بعض الباحثين[١]: أن يفسر هذا الإصرار المرواني على الوليد بأن يقتل الحسين «عليه السلام» فذكر ما ملخصه:

أولاً: إن مروان كان يعلم أن الوليد لن ينفذ طلب يزيد بقتل الحسين «عليه السلام».. وكان مروان يحقد على الوليد، فكان يريد أن يستبين ليزيد أنه قد عصى أمره، لكي يعزله عن ولاية المدينة.. وقد تحقق له ذلك فعلاً.

ثانياً: إن مروان كان ناقماً على معاوية، حيث جعل الولاية لولده دونه، فكان يريد أن يورط يزيد في هذا الأمر الشنيع ليزول ملكه، ويعود الأمر إلى مروان، لأن علياً «عليه السلام» كان قد أخبره حين أسره في حرب الجمل، وتشفع به الحسنان «عليهما السلام» لدى

(١) موسوعة سيرة أهل البيت «عليهم السلام» ج١٣ ص٢٥٢.

أبيهما، فقال «عليه السلام»: «إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه»(١)، فحكم تسعة أشهر.

ثالثاً: إنه كان حاقداً على الإمام الحسين «عليه السلام»، ويبغض كل من يحبه. كما قال لأبي هريرة(٢).

يا ابن الزرقاء:

ونشير أخيراً إلى قول الإمام الحسين «عليه السلام» لمروان: يا ابن الزرقاء. لا يشتمل على أية حزازة، إذ لا حرمة لمن يريد قتل سيد شباب أهل الجنة، والإمام المعصوم، المنصوص على إمامته من الله ورسوله، من دون أي سبب سوى البغي والعدوان، ومن أجل إقامة حكم رجل فاسق فاجر، قاتل للنفس المحترمة.

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٢٣ و ١٢٤ الخطبة رقم ٧٣ وتذكرة الخواص ص٣٩٠ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٢٣٤ و ٢٣٥ و ٣٥٥ وشجرة طوبى ج١ ص١٣٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٤٦ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٣٦ وإعلام الورى ج١ ص٣٤٠.

(٢) راجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١٨٠ والمعجم الكبير ج٣ ص٥٠ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢١ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٥٣١ وج١٩ ص٢١٢ وج٢٦ ص١٩١ ومختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج٧ ص١٦ والشفاء بتعريف حقوق المصطفى (ط مصر) ج١ ص٢٧٩ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٥٨.

وقد قال تعالى في كتابه الكريم: (**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**)[١]. والزنيم هو الملحق بقوم ليس منهم، والدعي.. [٢].

---

(١) الآية ١٣ من سورة القلم.

(٢) أقرب الموارد ج١ ص٤٧٧.

الفصل الرابع:

أهل بيت النبوة: للشرح والتوضيح..

ضوابط ومنطلقات:

وتقدم: أن مروان بن الحكم قد ساق الأمور نحو التصعيد والتحدي، الأمر الذي دعا الإمام الحسين «عليه السلام» ليضع حداً لهذه الرعونة فأعرض عن مروان، وتوجه بالكلام إلى الوليد وأعلن «عليه السلام» مجموعة ضوابط تمنع من البيعة لمن هو مثل يزيد، ممن هو مثل الحسين «عليه السلام». ولكنه أبقى الباب مفتوحاً أمام الحوار حول من هو أحق بالخلافة والبيعة، وقرر الاحتكام إلى المنطق والدليل والحجة.. التي تثبت الحق لأهله، وبها يعلم الأحق بذلك من غير الأحق.

والضوابط التي قررها «عليه السلام»، وجعلها محوراً لاحتجاجاته تنقسم إلى قسمين:

قسم يرتبط بأهل البيت «عليهم السلام». وقسم يرتبط بيزيد.

أما القسم الأول، فذكر «عليه السلام» ما يلي:

١ ـ إن أهل البيت «عليهم السلام» هم أهل بيت النبوة.

٢ ـ إنهم «عليهم السلام» معدن الرسالة..

٣ ـ إنهم مختلف الملائكة.

٤ ـ إنهم محل الرحمة.

٥ ـ إن الله تعالى فتح بهم.

٦ ـ إنه تعالى بهم ختم.

٧ ـ إنهم أهل بيت الكرامة.

٨ ـ إنهم أعلام الحق الذي أودعه الله قلوبهم، وأنطق به ألسنتهم، فنطقت بإذن الله عز وجل.

أما القسم الثاني المرتبط بيزيد، فذكر «عليه السلام» ما يلي:

١ ـ إن يزيد رجل فاسق.

٢ ـ إنه شارب للخمر.

٣ ـ قاتل للنفس المحرّمة.

٤ ـ معلن بالفسق.

٥ ـ إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: إن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان..

٦ ـ إن المؤمنين لم يؤمروا يزيد على أنفسهم.

ثم قال «عليه السلام»: «ولكن نصبح، وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة».

لا بد من التوضيح:

سنحاول هنا أن نتوقف عند كل واحدة من هذه الضوابط، المرتبطة بأهل البيت أولاً، ثم ما يرتبط منها بيزيد، مع توخي الإيجاز

قدر الإمكان، فلاحظ ما يلي:

١ ـ أهل بيت النبوة:

إن الحسين «عليه السلام» قال: إنَّا أهل بيت النبوة، ولم يقل: إنَّا أهل بيت النبي، أو آل محمد «صلى الله عليه وآله»، لأن ذلك قد يوهم: أن المقصود هو الانتساب إلى الشخص انتساب قرابة ورحم، أو انتساب سكنى وعشرة.. ولا يريد «عليه السلام» هذا المعنى على سبيل الاستقلال والاقتصار عليه، وإنما يريد معنى أوسع وأشمل، وأعمق وأسمى من هذا.

إنه يريد أن يعطي لنفسه شراكة في أهداف النبوة، وفي إنجاز المهمات التي يرسم الوحي حدودها ومعالمها. وإذا كانت الخلافة تعني أن الخليفة يعتبر نفسه، كما أن الناس يعتبرونه في موقع النبي، ويقوم بما كان يقوم به، فإن ذلك يحتِّم كونه واقفاً، ومتابعاً لحركة الوحي، ويعيش بيئة النبوة، وأجواءها. ويتقلب في أحضانها، ويتفاعل مع روحياتها، وأن يكون على دراية تامة بكل شؤون النبوة.

وهذا ما لا يستطيع أحد في الأمة أن يدعيه لنفسه في تلك الفترة سوى الحسين «عليه السلام»، بعد فقد أبيه وأخيه «صلوات الله عليهم».

أما يزيد فهو أبعد الناس عن ذلك كله. كما تظهره سيرته التي بات الناس يعرفونها، ولا يمكن ليزيد، ولا لأي من أنصاره أن يتنكر لها، أو أن يتنصل منها ومن تبعاتها.

٢ ـ معدن الرسالة:

ويفترض بالخليفة خليفة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن يحكم الناس وفقاً لأحكام الشرع الشريف، ووفق الرسالة التي حملها الرسول للناس، وأن يحفظ هذه الرسالة، وأن يمنع من انتهاك حرمتها، والاستخفاف بها.

يضاف إلى ذلك: أن من وظائف خليفة النبي والرسول أن يعلم الناس كل ما يحتاجون إليه من حقائق الدين وشرائعه، وأن يفرض عليهم الالتزام بأحكامه.

وهذا يقتضي أن يكون خليفة الرسول عالماً بالأحكام، ملتزماً بها، غيوراً على شرع الله، أميناً عليه، يكافح، وينافح عنه بكل قوة وثبات، ويضحي من أجله بكل غال ونفيس. وهذه هي حال الحسين «عليه السلام» وأهل بيته.. ولا يستطيع أحد في الأمة أن يدعي أنه يساميهم أو يجاريهم في ذلك..

أما يزيد فإنما تربى في بيئة مناقضة لهذا كله، ولا يملك أية معرفة بدين الله، فضلاً عن أن يكون لديه اهتمام بحفظه وتعليمه للناس، وتأييده، ومنع التعدي عليه.

٣ ـ مختلف الملائكة:

ويفترض بخليفة الرسول أيضاً: أن يصون الأمة في أخلاقها، وسلوكياتها. وأن يعمل على إشاعة الأخلاق الحميدة، ويكون هو الأسوة والقدوة، والمثل الأعلى لها في ذلك..

وأئمة أهل بيت النبوة الذين عاشوا في أطهر بيئة، والذين صرح القرآن بتطهيرهم من كل رجس. وهم الأشخاص المخلَصون الإلهيون العابدون، الذين تختلف الملائكة إلى بيوتهم، وتأنس بالعيش معهم، وتسعد حين تكون بالقرب منهم، وترى: أن ذلك عبادة وسعادة.

فمن يكون كذلك هو الذي يصلح أن يكون أسوة وقدوة ومعلماً، وساعياً في تطهير نفوس الناس، ورفدها بمعاني الخير، وتحليتها بالصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة..

أما يزيد، فقد عاش في بيئة شيطانية، ونشأ على المخزيات، والموبقات، فلا يصح أن يرد له أي ذكر في هذا السياق، لا من قريب ولا من بعيد.

٤ ـ محل الرحمة:

وخليفة الرسول الذي يتولى شؤون الأمة يجب أن يكون للناس بمثابة الوالد الرحيم(١) الذي يدبر أمور من هم تحت تكفله من موقع العقل والرحمة، كما ورد في الروايات.

وقال تعالى: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)**(٢).

---

(١) راجع: روضة المتقين ج٧ ص٢٦٠ والأمالي للصدوق ص٤١٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٦ ص٢٢٠ و (الإسلامية) ج١١ ص٤٧٢ وبحار الأنوار ج٧٢ ص٣٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٩٧.

(٢) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

وقال تعالى مخاطباً نبيه: **(فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ)**(١). وتتجلى هذه الرحمة على النحو الأتم والأكمل في الأنبياء وأوصيائهم، وفي أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة..

أما يزيد، فهو قاتل للنفس المحرّمة، وهو يقتل الشيوخ والنساء والأطفال، ويبطش بالأبرياء. ويستبيح مدينة الرسول، لكي يخضع الناس لإرادته، فأين هي الرحمة التي يعامل بها الناس، والتي تخوله أن يتبوأ موقع خلافة الرسول؟!

٥ ـ فتح الله بأهل البيت ^:

إن من له الحق في أن يتبوأ مقام الخلافة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي عايش سيرة الرسول والرسالة في كل المراحل التي رعى فيها مسيرة الحياة الإنسانية، وجعله الله تعالى قائداً ورائداً لها، ومهيمناً عليها.

ومن يراجع النصوص يجدها تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته قد خلقهم الله قبل خلق المخلوقات بآلاف الأعوام، وجعلهم مطيفين بعرشه، وقد رافقوا الأنبياء في مسيرتهم منذ آدم، وكانوا هم الوسيلة والملجأ والملاذ لهم (أعني الأنبياء والرسل) في كل ما ينوبهم، وقد توسل آدم ونوح ويونس، وغيرهم بهم، ففرج

---

(١) الآية ٨ من سورة فاطر.

الله تعالى عنهم، وكشف عنهم الشدائد، وأزال المكاره.

فهم الذين فتح الله تعالى بهم أبواب الفلاح، والسعادة والنجاح وكل خير في هذا الوجود وكانوا هم النموذج الأول، والأكمل والأمثل في كل صلاح وسداد. ولا يستطيع يزيد، ولا غيره أن يدعي لنفسه شيئاً من ذلك.

٦ ـ ختم الله بهم:

وبالرغم من أن الطواغيت على مرّ العصور والدهور كانوا هم الأداة الشيطانية، التي تعمل بكدٍّ وجدٍّ لتقويض جهود الأنبياء، والعبث بتعاليم السماء، وتضييع تضحيات الأئمة الأطهار، والأخيار والأبرار، والشهداء في جميع الأعصار.

ولكن الله تعالى قد وعد على لسان أنبيائه ورسله: أن يستخلف المستضعفين في الأرض، وأن يكون قائم آل محمد «صلوات الله عليهم أجمعين» هو الذي يحقق الغايات الإلهية، ويقيم الدين.. ويحفظ جهود الأنبياء والأوصياء، ويستثمر دماء الشهداء، وتلقي له الأرض بكنوزها، وتنهمر عليه السماء ببركاتها، ثم تكون للأئمة «عليهم السلام» دولة في رجعتهم قبل يوم القيامة، وليس ذلك لأحد سواهم.

٧ ـ أهل بيت الكرامة:

ويريد الله تعالى لأهل الإيمان: أن يعيشوا الشعور بالعزة والكرامة. ويبعد عنهم الذل والمهانة، ولأجل ذلك كان لا بد أن يتجلى معنى الكرامة في بيت النبوة الأقدس، الذي هو محط أنظار الناس، ومهوى

أفئدتهم، ليكون الأمثولة لهم، وليطمئنوا إلى أن صون كراماتهم سيكون من خلال هذا البيت الذي يفترض فيه أن يطبع حياة الناس بطابعه، ويترك فيهم آثار بصماته، وصفاته وسماته.

وأما بيت يزيد، فهو بيت خمور وفجور، وسقوط وهبوط إلى أحط الدرجات، وأسفل الدركات.. فعلى قاعدة: الناس على دين ملوكهم، فلا يتوقع منه إلا أن يضفي عليهم مسحة من ذله وخزيه، وفجوره وموبقاته.

٨ ـ أعلام الحق:

ثم إن الله تعالى يريد أن يسوس عباده، وفق نهج قويم، ومسار صحيح وسليم، ينقلهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء والبلاء إلى السعادة والهناء.. فكان الحق هو المعتمد، والمستند في كل مفردات هذا النهج، لأنه ينبع من متن الواقع، وينسجم مع طبيعة التكوين، وتأنس به الفطرة، ويرضاه العقل.

وقد أودع الله هذا الحق قلوب أهل بيت النبوة، وانطق به ألسنتهم.

أما يزيد، المنغمس في الشهوات، فإن قلبه مسكون بحب الشهوات والملذات، ولسانه إنما ينطق بالباطل. وكل إناء بما فيه ينضح..

تعقيب وتوطئة:

كان هذا الذي ذكرناه مجرد لمحات تكاد تكون خافتة، بل باهتة عن الصفات والسمات التي أسبغها الإمام الحسين «عليه السلام» على

القادة الكفاة، والسادة الهداة، من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم..

وقد كان يمكن الاكتفاء بها، عن التعرض للصفات اليزيدية القبيحة، عملاً بقاعدة: الأمور تعرف بأضدادها.. ولكن الإمام «عليه السلام» أراد أن يصرح أيضاً ولا يلمح، وأن يقطع الشك باليقين، لكي لا يتعلل متعلل بأن إثبات شيء لشيء لا يعني نفيه عن من عداه. ويجعل من ذلك مدخلاً لخداع السذج، والتعمية على الحق، وإنعاش الباطل..

وقد لاحظنا: أن الإمام «عليه السلام» اقتصر على ذكر بضع صفات، مع أنه كان يمكن أن يذكر أضعاف ذلك. ولكنه «عليه السلام» اختار ما يمس حياة الناس، ويهدد مصيرهم، ودينهم ودنياهم بصورة مباشرة. فقد ذكر «عليه السلام» ما يلي:

١ ـ يزيد فاسق:

إن من وظائف من يتولى مقام خلافة الرسول هو تزكية مجتمع أهل الإيمان، والعمل على إشاعة الالتزام بالأحكام، وتطبيق شرايع الإسلام، وغرس الفضائل، والقيم في النفوس. وتقوية الرغبة بالعمل الصالح، وحب الخير.

ومن يكون في نفسه فاسقاً، فإنه ـ وإن لم يتظاهر بذلك ـ لا يتوقع منه أن يهتم بشيء مما ذكر، ولا أن يندفع إلى العمل برغبة، وجدٍ ونشاط في هذا السبيل.

بل قد نجد لدى هذا النوع من الناس عزوفاً عن إشاعة الصلاح، ورغبة في توريط الناس بالمآثم والموبقات، والحرص على إشاعة المنكرات.

والفاسق لا يؤمن على أموال الناس، فيبادر إلى سرقتها، وإنفاقها في ملذاته، وشهواته وآثامه.

ولا يؤمن على أعراض الناس، فقد يستفيد من سلطة المال والجاه، والخدع، بالأساليب الشيطانية، لاستجلاب الضعفاء روحياً، وإيقاع أهل الحاجة المادية أو غيرهم في حبائله، كما أنه لن يجد لديه الدافع لضبط حالات الفساد في مجتمع أهل الإيمان.

فكيف.. وأنى يصلح من يكون كذلك لتولي شؤون الأمة، وتزكيتها وسوقها نحو الفضائل الرشيدة، والأخلاق الحميدة؟!

٢ ـ شارب للخمر:

وعلى خليفة رسول «صلى الله عليه وآله» حفظ مصالح العباد، ودفع الأسواء والأعداء عن البلاد والعباد، وصيانة مستقبل الأمة، وعدم تعريضها للأخطار، فلا يكون وجودها ومستقبلها مرهوناً بنزواته وأهوائه، وبقراراته الرعناء، بل لا بد من الفكر والتروي، واستنفاد الطاقة في البحث عما يصلح، والنأي بها من مواقع الضرر والخطر..

ومن يشرب الخمر لا يمكن أن يؤمن على مستقبل الأمة، فقد يتخذ قراراً مهلكاً لها في لحظة سكر وضياع، وتحل الكارثة حينئذٍ، ولات ساعة مندم. ولا أقل من أنه يقرر قتل خيارها، وصلحائها

وقادتها، وقدوتها، وأئمتها، وأقدس وأطهر، وأعلم، وأتقى وأنقى، وأفضل من خلقه الله تعالى. لمجرد أنه حاقد عليهم، أو حاسد لهم، أو خائف منهم.

٣ ـ قاتل النفس المحرَّمة:

ومن أهم وظائف خليفة النبي والرسول حفظ أمن الناس، وعدم التفريط والتهاون بأرواحهم. وقاتل النفس المحرّمة لن يكون أميناً على أرواح الناس، بل سوف يتخذ من السلطة، ومن الأموال والرجال ذريعة ووسيلة للانتقام، والتشفي، والإيغال في الدماء، لأتفه الأسباب. ولاسيما مع فسقه، ومع ممارسته العملية لهذا الإجرام، الذي عد الله سبحانه ارتكاب مفردة منه في حق نفس واحدة بمثابة قتل الناس جميعاً، قال تعالى: **(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)**(١).

٤ ـ معلن بالفسق:

ومن مهمات خليفة الرسول والنبي كبح المنكرات، ومحاصرتها، حتى تختفي من المجتمع، وتصير مجهولة غير معروفة له، حتى إذا ظهر منها شيء، فإن الناس ينكرونه، ويتنكرون له.

ويصبح ارتكاب شيء من ذلك من موجبات السقوط، وانحطاط الدرجة، ومن العار الذي لا يرضى أحد لنفسه أن يلحق به..

---

(١) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

فإذا كان من يجعل نفسه في موقع الرسول، ويسمي نفسه خليفة له، لا يخجل بفسقه، ولا يراه عاراً، ولا يحسبه من موجبات سقوطه واحتقاره. فإن الناس العاديين ـ والناس على دين ملوكهم ـ سوف لا يقفون عند حد في الانغماس في الآثام. وارتكاب الجرائم، وانتهاك حرمة الإسلام.

وكيف يمكن أن يتوقع من حاكم كهذا أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يشيع مكارم الأخلاق في مجتمع أهل الإيمان؟!.

٥ ـ تحريم الخلافة على ولد أبي سفيان:

وإذا كان ما يريده يزيد هو أن يأخذ موقع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مدَّعياً أنه يسير على نهجه، وأنه ملتزم بشرعه. فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي حرمه وحرم أمثاله من هذا المقام حيث قال «صلى الله عليه وآله»: «إن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان». فهل من لا يعمل بهذا التحريم، يمكن أن يصدق إذا ادعى: أنه سوف يعمل بكل ما شرعه، ويلتزم بجميع ما قاله الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!.

إن من يغتصب هذا المقام، ويخالف هذا التحريم، سيكون آثماً دائماً في كل ما يقوله، ويفعله في موقعه هذا، حتى لو أصاب الحق في بعض من ذلك. إذ لا يطاع الله من حيث يعصى، وما يلزم من وجوده عدمه محال.

٦ ـ يزيد أمير المؤمنين!!:

وتقدم: أن مروان قال للإمام الحسين «عليه السلام»: بايع لأمير المؤمنين.

فقال «عليه السلام»: كذبت ـ ويلك ـ على المؤمنين، من أمَّره عليهم؟!

فالإمام «عليه السلام» يقول: إنه لا بد من منشأ لإمارة أي إنسان على غيره.

والمالك الحقيقي للعباد هو الله، والمؤدي عنه هو رسوله، ثم أوصياؤه «صلى الله عليه وآله» عنه، ولا يوجد عن الله ولا عن رسوله ما يثبت ليزيد إمارة على أحد من الناس.

وأما المؤمنون، فلو صح القول: بأن لهم الحق في أن يؤمِّروا أحداً عليهم، فإنهم لم يؤمروا يزيد على أنفسهم، وتأمير الفسقة والفجرة، والجهلة، وأصحاب الأطماع له لا يفيد، إذ ليس لهم أن يفتئتوا على غيرهم من الأبرار الأخيار، والعلماء الأتقياء، ولا أن يتصرفوا في مصيرهم، أو أن يجعلوا ولياً أو والياً عليهم، بل العكس هو الصحيح.

والعلماء والأبرار والأتقياء، والأصحاب الأوفياء أولى بهذا المقام لو احتاج الأمر إليهم حين لا يوجد نص عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فكيف والنص موجود على الإمام الحسين «عليه السلام» بأنه إمام قام أو قعد.

كما أن معاوية نفسه، قد شرط على نفسه أن يكون الأمر للحسين «عليه السلام» من بعده لا ليزيد.. كما أشرنا إليه أكثر من مرة.

وقد حاول مروان أن يوهم الإمام الحسين «عليه السلام»، وأن يدلس عليه الأمر، وادَّعى ما لا حقيقة له.. ولعله لو لم يتصد له الإمام الحسين «عليه السلام» بالتكذيب، لجازت هذه الحيلة على بعض الناس. الذين سيجعلون من سكوت الإمام «عليه السلام» ـ لو سكت ـ دليلاً على صحتها.

فجاء هذا التكذيب الصريح لمروان، بواراً لسعيه، وإبطالاً لكيده.. والله متم نوره ولو كره الكافرون، والمدلسون..

الفصل الخامس:

الحسين × يشكو إلى الرسول ﷺ

على الإسلام السلام:

وقالوا:

وأصبح الحسين من الغد، فخرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله! إني لك ناصح، فأطعني ترشد وتسدد.

فقال الحسين: وما ذلك؟! قل حتى أسمع!.

فقال مروان: أقول إني آمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد، فإنه خير لك في دينك ودنياك.

قال: فاسترجع الحسين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد.

ثم أقبل الحسين على مروان، وقال: ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق! لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل! لا ألومك على قولك، لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يمكن له ولا منه إلا أن يدعو إلى بيعة يزيد.

ثم قال: إليك عني يا عدو الله! فإنا أهل بيت رسول الله «صلى الله

عليه وآله»، والحق فينا، وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه».

فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به، قاتلهم (لعل الصحيح: فابتلاهم) الله بابنه يزيد! زاده الله في النار عذاباً..

قال: فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين، ثم قال: والله! لا تفارقني، أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغراً، فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاماً، وأشربتم بغض آل بني (لعل الصحيح: أبي) سفيان، وحق عليكم أن تبغضوهم، وحق عليهم أن يبغضوكم.

قال: فقال له الحسين: ويلك يا مروان! إليك عني، فإنك رجس. وإنَّا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد «صلى الله عليه وآله»، فقال: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)(١).

قال: فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء.

فقال له الحسين: أبشر يا ابن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول «صلى الله عليه وآله» يوم تقدم على ربك، فيسألك جدي عن حقي

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

وحق يزيد.

قال: فمضى مروان مغضباً حتى دخل على الوليد بن عتبة، فخبَّره بما سمع من الحسين بن علي(١).

قال: فعندها كتب الوليد(٢) إلى يزيد بن معاوية يخبره بما كان من أهل المدينة، وما كان من ابن الزبير، وأمر السجن(٣)، ثم ذكر له بعد ذلك أمر الحسين بن علي: أنه ليس يرى لنا عليه طاعة، ولا بيعة. فر رأيك في أمره. والسلام.

قال: فلما ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضباً شديداً، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، قال: فكتب إلى الوليد بن عتبة:

من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة..

أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٧ وراجع: الملهوف ص٩٨ ومثير الأحزان ص١٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٤.

(٢) في الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» ذكر عتبة. وقد قلنا: إنه من سهو الراوي. فراجع: الأمالي للصدوق ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢.

(٣) المراد بأمر السجن: ما جرى بعد خروج ابن الزبير إلى مكة، فإن الوليد بن عتبة أخذ أنصار ابن الزبير ومؤيديه، وزج بهم في السجن، ومنهم ابن مطيع، فتجمهر مؤيدوهم وهاجموا السجن، وأخرجوا من فيه..

المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير فإنه لن يفوتنا، ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً، وليكن مع جوابك إلي رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة، والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسلام.

قال: فلما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاظم ذلك وقال: لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن علي! وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها(١).

فبلغ ذلك الحسين «عليه السلام»: فهمّ بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق(٢).

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما نذكره فيما يلي:

بلاء الأمة:

وقد اختصر «عليه السلام» تبعات تولي يزيد للخلافة بقوله لمروان في اليوم الذي حصل فيه الاجتماع في دار الوليد: «..وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد».

فدل بذلك على أن ولاية هذا النوع من الناس للأمور من شأنه أن

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٧ و ١٨ وراجع: الأمالي للصدوق ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢.

(٢) الأمالي للصدوق ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢.

يمحق الدين، وأن يتدنى تأثيره وحضوره في حياة الأمة إلى درجة الصفر.

وتلاشي حضور الدين في الحياة، معناه: خسران الحياة نفسها، واضمحلال الأمة. وهذا هو الخسران المبين..

الحسين يستمع الأخبار:

وتقدم: أن الحسين «عليه السلام» قد خرج في اليوم التالي لما جرى في دار الوليد ـ خرج ـ يستمع الأخبار..

وقد كان بإمكانه أن يرسل عدداً من شيعته، وأهل بيته ومواليه للقيام بهذه المهمة.

ولكنه «عليه السلام» لم يفعل ذلك، وآثر أن يتابع الأمور بنفسه، فلعل غيره بسبب عدم إحاطته بما جرى ويجري تفوته بعض الأمور، ويغفل عن دلالاتها، أو أنه يؤوِّلها بما لا ينسجم مع واقعها، أو يوجب التضليل عن مسارها الطبيعي الذي يجب أن يضعها فيه، وهذا قد تكون له عواقب وخيمة في مثل هذا الأمر، الحساس والدقيق.

كما أن هذا الحضور الحسيني المباشر يدلنا على أنه لا ينبغي أن يكتفي الإنسان بتسجيل موقفه، أو ممارسة حقه، ثم يدير ظهره ويمضي، بل عليه أن يتابع ردود الأفعال على موقفه، وأن يعرف كيف تلقاه الناس، وما هي نظرتهم إليه، وانطباعهم عنه، فلعل الإعلام الآخر قد شوَّه الحقيقة، ولعله يسوق الأمور باتجاه خطير يحتاج إلى معالجة.. ولعل.. ولعل..

اللعن من الرسول، والجبر الإلهي:

وتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» يقول لمروان: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد لعنه، فلا يمكن إلا أن يدعو لبيعة يزيد.

فقد يتوهم بعض الناس: أنه «عليه السلام» يلمح إلى الجبر الإلهي، وأنه هو الذي يتحكم في تصرفات مروان.

وهذا كلام باطل، فإن المقصود هو: أن لعن النبي «صلى الله عليه وآله» لمروان يدلنا على أن الله قد أعلم نبيه: بأن هذا الرجل سوف يختار سلوك طريق الضلال، وسيكون عنصراً مؤذياً، محارباً لله ولرسوله، وللمؤمنين.. وأين هذا من الجبر الإلهي، الذي لا يصح الاعتقاد به؟!

مروان الغادر:

وقبل أن نمضي في ذكر سائر ما جرى نود لفت النظر إلى أن مروان كان يستحق هذه القسوة من الإمام الحسين «عليه السلام»، فإن حرصه البالغ على سفك دم الإمام الحسين «عليه السلام» يدل على سقوطه المريع، وعلى مدى نذالته، وحقده، ولؤمه، وأنه لا يملك ذرة من الشهامة والوفاء، فإن الحسين «عليه السلام» ومعه أخوه الإمام الحسن «عليه السلام» هما اللذان شفعا فيه لدى أبيهما في حرب الجمل، ونجا بذلك من الخطر الذي كان يواجهه.

شكوى الحسين إلى جده ﷺ:

قالوا:

وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جده «صلى الله عليه وآله»، فقال: السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك، وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني، وضيعوني، وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتى ألقاك «صلى الله عليك»(١).

ثم وثب قائماً، وصف قدميه، ولم يزل راكعاً وساجداً.

قال: وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر: أخرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله، فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عز وجل بدمه! وظن أنه خرج من المدينة(٢).

قال: ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح، فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلى ركعتين [ركعات]، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم! إن هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! وإني أحب المعروف وأكره المنكر.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٨ و ١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٧ و ٣٢٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٧ ولواعج الأشجان ص٢٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٨. وراجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٧.

وأنا أسألك يا ذا الجلال والاكرام بحق هذا القبر ومن فيه (إلا) ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضى، ولرسولك رضى، وللمؤمنين رضى(١).

لكن نصاً آخر يقول: فلما أقبل الليل راح إلى مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» ليودع القبر، فلما وصل إلى القبر سطع له نور من القبر، فعاد إلى موضعه.

فلما كانت الليلة الثانية راح ليودع القبر، فقام يصلي فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاءه النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في منامه. ثم ذكر ملخصاً عن النص التالي(٢).

قال ابن أعثم في الفتوح: ثم جعل الحسين يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبي «صلى الله عليه وآله» قد أقبل في كبكبة من الملائكة، عن يمينه، وعن شماله، ومن بين يديه، ومن خلفه، حتى ضم الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه وقال: يا بني! يا حسين! كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى. وهم مع ذلك يرجون شفاعتي.

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٩ و ٢٠ ومقتل الحسين للخوارزمي (ط تبريز) ج١ ص١٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٠٠.

(٢) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٢ و ٣١٣ والأمالي للصدوق ص٢١٦.

ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة! فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا علي، وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات (وعند ابن مخنف: درجة مغشاة بنور الله) لن تنالها إلا بالشهادة.

قال: فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جده «صلى الله عليه وآله» ويسمع كلامه وهو يقول: يا جداه! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبداً، فخذني إليك، واجعلني معك إلى منزلك.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: يا حسين! إنه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك، وأخاك، وعمك، وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة.

قال: فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً، فقص رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشد غما من أهل بيت الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولا أكثر منه باكيا وباكية(١).

وتهيأ الحسين بن علي، وعزم على الخروج من المدينة، ومضى

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٨ و ١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٨ عن محمد بن أبي طالب، والعوالم ج١٧ ص١٧٧ و ١٧٨ ولواعج الأشجان ص٢٨ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٦.

في جوف الليل إلى قبر أمه فصلى عند قبرها وودعها.

ثم قام عن قبرها، وصار إلى قبر أخيه الحسن ففعل مثل ذلك، ثم رجع إلى منزله وقت الصبح(١).

وعند أبي مخنف: أنه لما خرج «عليه السلام» من المدينة أتى قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فالتزمه، وبكى بكاءً شديداً وسلم عليه وقال: «بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لقد خرجتُ من جوارك كرهاً، وفُرّق بيني وبينك، وأُخذت قهراً أن أُبايع يزيد، شارب الخمور، وراكب الفجور، فإن فعلت كفرت، وإن أبيت قُتلت، فها أنا خارج من جوارك كُرهاً، فعليك منّي السلام يا رسول الله».

ثم نام ساعة، فرأى في منامه رسول الله، وقد وقف به وسلم عليه، وقال: يا بني قد لحق بي أبوك وأمك وأخوك الخ..(٢).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

ذات ليلة:

قد يقال: إن كلمة «ذات ليلة» تشير إلى أن الحسين «عليه السلام» قد بقي بعد ما جرى في دار الوليد عدة ليال في المدينة.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٩ و ٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٨ و ٣٢٩ ولواعج الأشجان ص٢٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف ص١٥ وراجع: ينابيع المودة ج٣ ص٥٤.

وهذا يضع علامة استفهام حول صحة ما يقال، من أنه «عليه السلام» قد خرج بعد ليلتين أو ثلاث.

ابن فاطمة:

يلاحظ: أن الحسين «عليه السلام» قد خاطب جده بقوله: «أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك، وابن فرختك إلخ..» فلماذا لم ينسب نفسه إلى أبيه علي «عليه السلام»؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن الإمام «عليه السلام» إذا أراد أن يناجي جده الرسول، أو أن يشكو له ضراً، أو أمراً بعينه، فإنه يخاطبه بنفس الأسلوب والطريقة، ونفس الحالات التي يناجيه بها الآخرون، حيث يقدمون في مناجاتهم، وبين يدي حاجاتهم الوسائل التي يرون أنها تقربهم إلى مقاصدهم.

كما أنه «عليه السلام» يريد أن يذكّر الناس: بأنه الوحيد المتبقي من سلالة الأنبياء، وإذا كان نبينا «صلى الله عليه وآله» خاتم الأنبياء، فذلك يعني: أنه الأولى بالنبي «صلى الله عليه وآله» من كل أحد، لاسيما وأنه هو الذي رباه، وهو الأعرف بنهجه، والأقرب إلى روحياته، وأخلاقه، والأشد اهتماماً والتزاماً بشرعه..

الخلف الذي خلفت على أمتك:

تقدم: أنه «عليه السلام» يقول عن نفسه ـ حسب رواية ابن أعثم ـ: «وسبطك في الخلف الذي خلفت على أمتك».

لكن في رواية بحار الأنوار عن محمد بن أبي طالب أنه قال:

«وسبطك الذي خلفتني في أمتك»(١).

ونلاحظ:

١ ـ أن العبارة الأخيرة لا تخلو من الدلالة على ثلاثة أمور:

أحدها: أنه «عليه السلام» قد نسب نفسه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنه سبطه.

الثاني: نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه هو الذي خلّفه.

الثالث: أنه قد خلفه في الأمة، لا في خصوص جماعة خاصة، كأهله، أو عشيرته، ونحو ذلك. مما يعني: أنه جعل له مقاماً ومنصباً له مساس بالأمة كلها.

وربما يكون الحديث عن كونه السبط الذي جعل النبي له هذا المقام، وأسند إليه هذه المهمة في الأمة للإشارة إلى أن سبطيته هذه كان لها أثر في حصول هذا التخليف له «عليه السلام» في الأمة.. فإنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي ربى سبطه هذا، وورَّثه من صفاته، وخلَّقه بأخلاقه.

٢ ـ بالنسبة للفقرة الأولى نقول:

هي أصرح وأوضح دلالة على هذه المعاني، فقد ألمحت إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خلف أكثر من شخص. حيث تقول:

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٧.

«وسبطك في الخلف الذي خلفت».

٣ ـ إن في الخلف الذي خلفه النبي فيهم من هو سبط للنبي «صلى الله عليه وآله» كالإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، وفيهم من ليس سبطاً له مثل علي «عليه السلام»..

٤ ـ إنه إنما خلفه على الأمة. مما يعني. أنه قد جعل له مقاماً فيه هيمنة، وحاكمية، وقرار وتصرف..

٥ ـ إن هذه الهيمنة والحاكمية والتصرف إنما كانت على الأمة بأسرها، لا على فريق دون فريق، وهذا هو معنى الإمامة والخلافة، التي صرح بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام» بقوله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». وأحاديث أخرى تحمل هذا المعنى.

فاشهد عليهم:

وبعد التوطئة المتقدمة نراه «عليه السلام» يطلب من جده: أن يشهد على الأمة فيما فعلته معه «عليه السلام»، والشهادة إنما تكون نتيجة الحضور والمعاينة والمشاهدة المباشرة لما يجري، وإدراكه من موقع الالتفات والوعي التام.. مع أنه «صلى الله عليه وآله» قد مات قبل خمسين سنة، فيعلم من ذلك: أن موته لا يعني انقطاعه التام عن حياة الأمة، بل تبقى له صلات بها، وإشراف ومشاهدة لها، ومتابعة مباشرة لمسيرتها.. وهو يعني: أن له حياة وحضوراً، وتصرفاً متواصلاً في أمته.

ولكنه إشراف من ضمير الغيب المحجوب عنا، ولا سبيل لنا إليه، ولا يمكننا الاتصال به، ولا الاطلاع عليه. وليس هذا بالأمر المستهجن، فقد صرح القرآن بشاهدية نبينا «صلى الله عليه وآله» على من سبقه من الأنبياء، مع أنه قد ولد بعد زمانهم، قال تعالى: **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)**(١).

يا نبي الله:

إن الصفة التي خاطب بها «عليه السلام» جده، حين تحدث عن شاهديته «صلى الله عليه وآله» هي صفة النبوة، لا صفة الرسولية. لأن الرسولية التي تعني تبليغ الناس دين الله وشرائعه قد انقطعت بموته، ومقام الشاهدية إنما يثبت له «صلى الله عليه وآله» بما هو نبي، يتلقى من الله بواسطة الوحي ما يريد الله تعالى إبلاغه إياه، ولا ينحصر وحي النبوة بالأحكام والشرايع، وحقائق الدين التي يراد إبلاغها للناس. إذ المفروض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أنجز هذه المهمة في حال حياته على أتم وجه..

وبذلك نعرف: السبب الذي دعا الإمام الحسين «عليه السلام» إلى مخاطبة النبي «صلى الله عليه وآله» حين جاء إلى قبره بقوله: «السلام عليك يا رسول الله: أنا الحسين بن فاطمة إلخ..». ثم بعد أن أتم شكواه، خاطبه بقوله: «فاشهد عليهم يا نبي الله».

---

(١) الآية ٤١ من سورة النساء.

فكأنه «عليه السلام» حين جاء إلى القبر أراد أن يقول لجده: إن الذين أرسلك الله إليهم، فبلغتهم أحكامه وشرائعه، وعرفتهم حقائق دينه، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور ـ إن هؤلاء ـ قد فعلوا بعدك ما من شأنه أن يضيع جهودك، ويدخل الشبهات على الدين الذي بلغتهم إياه..

وأنت الآن، وإن انتهت مهمتك كرسول، لأنك أبلغتهم كل ما أمرك الله بإبلاغه، ولكن موتك لا يعني انتهاء علاقتك بأمتك، بل تبقى لك بها علاقة الشاهدية عليها، من موقعك الغيبي، الذي اقتضته نبوتك الخاتمة..

وهذا هو الذي اقتضى أن يذكره «عليه السلام» بصفة النبوة حين تحدث عن شاهديته بعد موته «صلى الله عليه وآله»..

خذلوني، وضيعوني:

وقد يقول قائل: تضمنت شكوى الحسين «عليه السلام» لجده قوله: «إنهم قد خذلوني، وضيعوني، وإنهم لم يحفظوني». مع أن خبر موت معاوية قد وصل للمدينة للتو، ولم يطلب «عليه السلام» من الناس بعد أن ينصروه، ويحفظوه، ليقال: إنهم خذلوه، كما أنه لم تحصل بينه وبين أحد من الناس حرب، ولا احتاج إلى نصر أحد، وإلى حفظه..

بل لعل أكثر أهل المدينة لم يعرفوا بعد بموت معاوية.. والذين جاء بهم من أهل بيته وأنصاره وشيعته إلى دار الوليد لم يخذلوه، بل

عملوا بما أمرهم به.. فكيف نفسر شكواه هذه «عليه السلام»؟!

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» يرمي في كلامه هذا إلى الإشارة إلى ما جرى في سنة ست وخمسين للهجرة، حين قدم معاوية المدينة بهدف أخذ البيعة ليزيد بولاية العهد، وكان يحاول أن يحمل الحسين «عليه السلام» على قبول ذلك، فلم يفلح، إلى أن احتال على الناس بأن هدد الحسين وتوعده، وجعل على رأسه «عليه السلام» رجلين بسيفيهما، وأمرهما أن إذا أراد أثناء خطبة معاوية أن يرد عليه بتصديق أو بتكذيب، فليضرباه بسيفهما..

ثم خطب معاوية وزعم للناس ـ كذباً وزوراً ـ: أن الحسين، وابن الزبير، وابن عمر، وابن أبي بكر قد بايعوا ليزيد. ثم ركب راحلته وانصرف إلى المدينة فبايعه أهلها. وانصرف إلى الشام.

وهذا ما أشار إليه الإمام «عليه السلام» حين قابل في الطريق مروان في اليوم الذي تلا الاجتماع بالوليد بن عتبة، فقد ذكر له: أن خذلان الناس له، وتضييعهم إياه قد حصل حين قدم معاوية المدينة لتولية يزيد، وخطب فيها على منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولم يعترض عليه ولا تعرض له أحد بسوء، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لأهل المدينة وغيرهم: أن إذا رأوا معاوية على منبره أن يبقروا بطنه بالسيف.

فلما لم يفعلوا ما أمرهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله»

تمكن معاوية من تنفيذ ما أراد، بعد أن مارس التهديد المشفوع بمباشرة التنفيذ. الذي لو حصل، لضاع دم الإمام الحسين «عليه السلام»، لأن معاوية سوف يأخذ ذينك الرجلين ويقتلهما قصاصاً بزعمه، ويكون بذلك قد أظهر نفسه بصورة الشخص العادل والمنصف، والمحب للرسول، ولأهل بيته، وسيقيم العزاء العظيم للحسين «عليه السلام».

فتخاذل الناس، وإحجامهم عن قتل معاوية حين رأوه على منبر الرسول كان خذلاناً وتضييعاً للحسين «عليه السلام»..

رضى الله، والرسول، والمؤمنين:

وتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» طلب من ربه أن يختار له من أمره ما هو له رضى، ولرسوله رضى، وللمؤمنين رضى[1] مع أن ما يرضي الله يرضي الرسول والمؤمنين، فكان ذكر رضى الله يغني عن ذكرهما.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأن هذا الكلام، وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكن في هذا التصريح العديد من الفوائد والعوائد، فإن المطلوب هو أن تكون العلاقة بالله تعالى من خلال الرسول.. فإن بعض الناس قد يتوهم أن

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٦ وراجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٨.

على الإنسان أن يقيم علاقته بالله ويطلب منه مباشرة، ولا يوسط أحداً حتى الرسول.

مع أن الرسول هو الصلة بين الله وبين عباده، وقد قال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)**(١). ولأجل ذلك قال «عليه السلام» هنا: «ولرسولك رضى» ولم يقل: «لنبيك»..

ثانياً: بالنسبة لمطلوبية رضى المؤمنين، كما ورد في كلامه «عليه السلام»، فإن الخيارات قد تكون ذات مراتب، فبعضها يرضي الله تعالى، لكن بعضها يكون أرضى له من البعض الآخر، فمثلاً الصدقة بشق تمرة (سراً، أو ليلاً) تطفئ غضب الرب، لكن تصدق الإنسان بما يغني الفقير يكون أعظم أثراً من الصدقة باليسير..

كما أن الإيثار على النفس يكون أرضى لله من هذا وذاك..

وفيما يطلبه الإمام الحسين «عليه السلام» قد تكون الخيارات متنوعة أيضاً، فلعل بعضها يكون الإمام الحسين «عليه السلام» هو الذي يتحمل أعباءه، ومشاقه وآلامه، ويكون ذلك محققاً للأهداف، وموصلاً للغايات التي يرضاها الله ورسوله والمؤمنون..

وفي بعضها الآخر يكون للمؤمنين مساهمة فيه، ومسؤولية، وبذل جهد، وتضحيات، وتحمل آلام، ومعاناة، وغموم وهموم، وصعوبات

---

(١) الآية ٦٤ من سورة النساء.

ومشقات، وتعرض لأخطار الفشل، والزلل، والمخالفة، وللإغواءات والإغراءات الشيطانية.

وقد يكون الخيار هو إنجاز المهمة بالمعجزة الإلهية مثلاً، فالإمام «عليه السلام» يريد من الله تعالى أن يختار له، ما يحقق الهدف، ويرضي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمؤمنين.

وما يرضي المؤمنين هو ما يوصل إلى الغايات، ويحقق الأهداف الإلهية على أتم وجه، مع رعاية المصالح لعموم البشر إلى يوم القيامة..

يقتلون ولده ويرجون شفاعته ﷺ:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين جاء إلى الحسين «عليه السلام» في المنام أخبره بأنه مقتول بأرض كرب وبلاء، وبأن قتلته يقعون في تناقض فاضح، فإنهم يقتلون ولده، ويرجون شفاعته.

وهذا من الدلائل على زيغ قلوبهم، والخذلان الإلهي، والتزيين الشيطاني لهم بتصوير ضلالهم على أنه هدى، وجرائمهم على أنها إحسان، فكانوا مصداقاً لقوله تعالى: **(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)** (١).

---

(١) الآية ١٠٤ من سورة الكهف.

وقوله تعالى: **(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا)**(١).

وقال سبحانه: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ)**(٢).

وقال: **(وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ)**(٣).

الرؤيا هي الخيار:

إن هذه الرؤيا قد جاءت لتكون هي الجواب على ما طلب، وهي الخيار الذي أبلغه الله إياه، ودله على حضور وقت المباشرة، والشروع فيه، ويستطيع «عليه السلام» أن يبلغه الناس، ليختاروا موقعهم في هذه المسيرة الواضحة في نتائجها وفي مآلها. فلا يدعي أحد أنه قد خدع، أو أخذ على حين غرة، أو لم يكن على علم بالمآل، ولا ظن أن الأمر سينتهي إلى قتل الرجال، وحتى النساء والأطفال، وسبي العيال..

وهذه هي سيرة الأنبياء والأوصياء، فإنهم أبعد الناس عن التغرير بالناس، ولا يقدمون إلا على ما يكون في وضوحه كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار.

إنه «عليه السلام» يخبر الناس بشهادته، ويفسح لهم المجال في أن يتخذوا هم القرار، وأن يختاروا ويحددوا المستقبل الذي يريدونه لأنفسهم. وهذا ما عبرت عنه رسالته للناس حين أزمع المسير إلى

---

(١) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٢) الآية ٥ من سورة الصف.

(٣) الآية ٢٤ من سورة النمل.

كربلاء، والتي جاء فيها:

«من لحق بنا استشهد، ومن تخلف عنا لم يدرك الفتح»[١].

ونوّه به في خطبته حين توجه من مكة إلى العراق، حيث قال: «كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء الخ..»[٢].

وقوله لأخيه محمد ابن الحنفية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: «إن الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

---

(١) بصائر الدرجات ص٤٨١ و (ط الأعلمي) ص٥٠٢ وكامل الزيارات ص١٥٧ ومختصر بصائر الدرجات ص٦ ودلائل الامامة ص١٨٨ ونوادر المعجزات ص١٠٩ و ١١٠ والخرائج والجرائح ج٢ ص٧٧١ والمحتضر للحلي ص٨٢ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٧٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٣٠ وذوب النضار ص٢٩ ومثير الأحزان ص٢٧ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٦١ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٨١ وج٤٤ ص٣٣٠ وج٤٥ ص٨٥ و ٨٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٥٥ و ١٧٩ و ٣١٧ و ٣١٨ ولواعج الأشجان ص٢٥٦ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٢٠ والدر النظيم ص٥٣٢ والملهوف ص٤١.

(٢) العوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٦ و ٢١٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢١٣ ولواعج الأشجان ص٧٠ ونزهة الناظر ص٨٦ ومثير الأحزان ص٢٩ والملهوف ص٣٨ وأبصار العين في أنصار الحسين ص٢٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٠٥ و ٢٠٧ ذوب النضار ص٣٠ وكشف الغمّة ج٢ ص٢٣٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ ومعالي السبطين ج١ ص٢٥٠.

فسأله عن حمله النساء، فقال: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»[١].

كيف ينصرونه وهو يخبرهم بالاستشهاد؟!:

والسؤال البديهي هنا هو: كيف يمكن أن يندفع الناس لنصرته، وهو يخبرهم بأنه مقتول؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن إخباره «عليه السلام» إياهم باستشهاده، هو في الواقع إخبار بأمرين:

أولهما: الإخبار عن خذلانهم إياه، وتخليهم عنه. كما هو ظاهر أحوالهم، وكما ظهر له في لوح المحو والإثبات.. فعليهم أن يتحملوا مسؤولية ذلك أمام الله يوم القيامة.. فإذا قرروا نصرته، فإن الله ـ وفق قانون البداء ـ لا بد أن يظهر نصرتهم هذه، وأن يتغير ما في لوح المحو والإثبات من خذلان إلى نصر.

الثاني: إنه «عليه السلام» يقول لهم: إنه لم يكن مخدوعاً ولا مغفلاً، ولم يفاجأ بما حصل سنة ست وخمسين، وما سيأتي كما

(١) الملهوف ص٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٤ وينابيع المودة ج٣ ص٦٠ ولواعج الأشجان ص٧٢ ـ ٧٣ و ٢٥٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ و ٦١٩ والمجالس الفاخرة ص٢٠٨ وراجع: مدينة المعاجز ج٤ ص٦١ ومختصر بصائر الدرجات ص١٣٢ والمحتضر للحلي ص٨٢ ومعالي السبطين ج١ ص٢٥١.

سنوضحه، حين ذكر خطبته «عليه السلام» حين عزم على التوجه من مكة إلى العراق، والتي أولها: «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة الخ..».

وسنوضح: أنه «عليه السلام» قد أخبر عن استشهاده قبل أن يكاتبه أهل الكوفة، في المسير إليهم..

وإنه حتى لو أخبر «عليه السلام» الناس بنتائج تحركه، فإن ذلك لا يسوغ لهم سكوتهم عن يزيد، وتمكينه من رقاب المسلمين، والانقياد والبيعة له كما سنرى..

ليس في موقف الحسين × تناقض:

وقد يتوهم متوهم: أن الرؤيا المتقدمة تضمنت تناقضاً في موقف الحسين «عليه السلام». فإن المفروض أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبره في رؤياه أنه يستشهد في أرض كربلاء، وهو عطشان، وأن له درجة في الجنة لا تنال إلا بالشهادة..

وكان الحسين «عليه السلام» يسمع من النبي، ومن علي الخبر تلو الخبر عن استشهاده، وقد أخبر هو نفسه عن هذا الإستشهاد منذ أيام طفولته في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فما معنى أن يصر على جده في هذه الرؤيا بالذات بأن يأخذه إليه، وأنه لا حاجة له في الرجوع إلى الدنيا أبداً؟! فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: لعله حين سمع من جده أن أباه، وأمه، وأخاه مشتاقون إليه

قد رأى أن ما أخبره به النبي «صلى الله عليه وآله» عن شوقهم إليه له وجهان:

أحدهما: أن يكون المراد مجرد إخباره بشوق يراد تلبية ما يقتضيه من الإسراع للحاق بهم من خلال الشهادة.

الثاني: أن يكون المقصود هو الإعلام بأن البداء قد حصل في أمر الشهادة، وأنها لم تعد حتمية وأنه أصبح بالخيار بين أن يرجع إلى الدنيا، ويعيش فيها ويموت، وبين أن يلبي رغبة أبيه وأخيه بأن يكون معهم.

فأراد «عليه السلام» أن يستوضح عن أن أي الوجهين هو المقصود.. فجاء الجواب الذي أفاد أن الوجه الأول هو المقصود..

وبذلك يظهر: أن طلبه البقاء مع جده ليس زهداً بمقام الاستشهاد، ولا رهبة من الآلام والأهوال التي تصاحبها، بل هو يريد اللحاق به من خلال الشهادة، لأن للشهادة مساساً بمصالح العباد، وأثراً في حفظ الدين، فلا يعود الأمر فيها إليه إلا بمقدار اختيار الطاعة والمبادرة إليها، حين يصبح الأمر حتمياً.

وربما كان المقصود من طرح الموضوع بالطريقة التي أظهرتها الرؤيا: هو إظهار مدى زهد الإمام «عليه السلام» بهذه الدنيا، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، وأن قتله ليس سوى التسبب بخسارة الأمة له، ولا يوجب له هو أية خسارة، بل هو رابح على كل حال..

خذني إليك، واجعلني إلى منزلك:

وقد دل قوله لجده «صلوات الله عليهما وآلهما»: «فخذني إليك، واجعلني معك إلى منزلك»: على أن هذا الأمر في دائرة قدرته، وصلاحياته «صلى الله عليه وآله». ولو من خلال الطلب من الله تبارك وتعالى..

وإذا كان الله تعالى يوكل ملكاً من الملائكة بقبض الأرواح، ويأذن لعيسى بأن يحيي الموتى، فلماذا لا يأذن لنبيه الأعظم بهذا أو ذاك حين تقتضي المصلحة ذلك؟!.

درجة مغشاة بنور الله:

وتقدم عن أبي مخنف: أن الدرجة التي لا ينالها «عليه السلام» إلا بالشهادة مغشاة بنور الله، وهذا يدل على أمرين:

أولهما: الإلماح إلى جلال وعظمة هذه الدرجة..

الثاني: إنه تعالى قد غشاها وحجبها عن أعين الناظرين ربما ليدل على أن أوهامهم لا تبلغ مداها، ولا يمكنهم إدراك عظمتها وجلالها، ويعجزون عن استكناه حالها. والاحاطة بأحوالها وأطوارها. فإبقاؤها لغزاً غامضاً تتحير به عقولهم، وتتيه فيه أوهامهم، يزيدهم اجلالاً وتعظيماً، واكراماً، وتفخيماً لمن رصدت تلك الدرجة له.

الفزع والذعر، والغم والبكاء:

واللافت: أن الرواية المتقدمة أضافت لحديث الرؤيا المتقدمة عبارة:

«فانتبه الحسين من نومه فزعاً مذعوراً».

وذكرت: أنه «عليه السلام» «قص رؤياه على أهل بيته، وبني عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشد غماً من أهل بيت الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولا أكثر باكياً وباكية».

ونحن نشك في صحة نسبة الفزع والذعر إلى الإمام الحسين «عليه السلام»:

وذلك لأن الذي سمعه الحسين «عليه السلام» من جده في الرؤيا لا يعدو كونه بشارة له «عليه السلام» بالشهادة، التي له بها درجة في الجنة مغشاة بنور الله.

وهذا من موجبات سروره وابتهاجه «عليه السلام»، وقد كان «عليه السلام» يخبر عن هذه الشهادة منذ طفولته ويترقبها، فمن أي شيء يفزع!! فإن كان الموت هو الذي أفزعه وذعره، فإن هذا يجعل غير الإمام أربط جأشاً من الإمام «عليه السلام»، فقد رووا أنه «عليه السلام» سأل القاسم بن الحسن، فقال: يا ابن أخي كيف الموت عندك؟!

فقال يا عم: أحلى من العسل[١].

وكان العباس «عليه السلام» يرتجز ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا حتى أوارى بالمصاليت لقا

(١) راجع: الهداية الكبرى ص٢٠٤ ومدينة المعاجز ج٤ ص٢١٤.

وهناك شواهد كثيرة يمكن حشدها للتأكيد على هذا المعنى. فهل كان القاسم بن الحسن، والعباس، ومن سار على هذا النهج أشجع وأربط جأشاً من الإمام الحسين «عليه السلام»؟!

إن هذا غير معقول! ولا مقبول! إلا أن يكون المراد بالفزع: الحذر والخشية من عظم المسؤولية، فهو يشبه قوله «صلى الله عليه وآله»: «شيبتني سورة هود» في إشارة منه إلى قوله تعالى: **(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)**(١). كما ذكره بعض الإخوة الأفاضل.

أما فيما يرتبط ببكاء أهل بيت الرسول، وما انتابهم من غم وأذى لفراق الإمام الحسين «عليه السلام» لهم، ولاسيما بهذا النحو الذي رسمته الرؤيا، وما سبقها من إخبارات عن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» بتفاصيل ما يجري على الحسين، وأهل بيته وأصحابه، فذلك أمر طبيعي، وليس فيه أي إشكال، كما سنوضحه إن شاء الله.

إن بايع كفر، وإن أبى قتل:

وتقدم في رواية أبي مخنف تصريحه «عليه السلام» بقوله: «أخذت قهراً أن أبايع يزيد شارب الخمور، وراكب الفجور، فإن فعلت كفرت، وإن أبيت قتلت».

ثم يذكر «عليه السلام»: أن هذا الأمر قد اضطره للخروج من جوار

---

(١) الآية ١١٢ من سورة هود.

رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولعل سبب الحكم بالكفر، إن هو بايع «عليه السلام»: أن هذه البيعة سوف تكون سبباً في أن يرى الناس على مر العصور والدهور، أن حكومة الفاجر، والظالم، والقاتل، والمعلن بالفسق، وشارب الخمر، ومن هو على شاكلة يزيد «لعنه الله» أمر يرضاه الله، ورسوله، وهو جزء من الدين، ولا تأباه أحكام الشرع.

فتكون هذه البيعة من أسباب تضييع شرع الله، وتحريف دينه، والعبث بأحكامه، وتغيير وجهتها، ويصبح الباطل شرعاً، والفجور ديناً.

وأمر كهذا لا يمكن للحسين «عليه السلام» أن يقدم عليه، وهو ليس فقط يكون من مفردات الكفر، بل هو من أعظم الكفر ضرراً، وأشده خطراً.

وهذا يذكرنا بموقف أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» مع معاوية، فقد قال «عليه السلام»: «لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أر لي إلا القتال أو الكفر بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله» الخ..»(١).

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) (ط مطبعة الإستقامة بمصر) ج١ ص٩٠.

الفصل السادس:

التوسل بالقبر ومن فيه..

أسألك بحق القبر ومن فيه:

١ ـ وإذا كان في الناس من ينكر التوسل، ويعتبره شركاً، ويستحل دم من يتوسل، ولا يرى له حرمة، بالرغم من أن المجاميع الحديثية والتاريخية، للمسلمين حافلة بالنصوص الدالة على مشروعية التوسل.. ولا يقتصر الأمر على مؤلفات فريق بعينه، بل هو ينسحب على سائر المؤلفات المعتمدة لدى أهل الإسلام، على اختلاف مذاهبهم، ومشاربهم..

وهذا النص المروي في كتب السنة، مثل الفتوح لابن أعثم، ومقتل الحسين لأخطب خوارزم هو أحد النصوص التي تؤكد صحة التوسل، وجوازه، فهو يقول: إن الإمام الحسين «عليه السلام» قال حين زار قبر جده: «وأنا أسألك ـ يا ذا الجلال والإكرام ـ بحق هذا القبر ومن فيه، إلا ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضا، ولرسولك رضى، وللمؤمنين رضى».

فلا يصغى إلى قول أبي بكر الكاشاني: «يكره للرجل أن يقول في دعائه: أسألك بحق أنبيائك ورسلك، وبحق فلان، لأنه لا حق لأحد على الله

سبحانه»[١].

٢ ـ إن هذا النص الذي نحن بصدده قد قرن بين أمرين، قد يقال: إنهما غير متجانسين. وهما: التوسل بالنبي الأعظم والأكرم «صلى الله عليه وآله»، والتوسل بالقبر. فكيف نفهم ذلك. وهل يمكن أن يكون للقبر حقاً على الله كما أن للنبي حقاً عليه سبحانه؟!

وكيف نعالج قول أبي بكر الكاشاني وغيره: إنه ليس لأحد حق على الله، حتى النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!

ونجيب:

أولاً: إن قولك في الدعاء بحق النبي «صلى الله عليه وآله»، أو بحق علي «عليه السلام» ليس معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» متفضل على الله، وأن له يداً عنده، كما هو حق الخالق على المخلوق، أو الوالد على ولده..

بل معناه: ما يكون من قبيل حق الولد على الوالد، وحق العبد على ربه، وحق المطيع على المطاع، وحق الشاة على مالكها. وهي الحقوق التي جعلها الله للولد، وفرضها على الوالد، مثل تحسين اسمه، وتفقيهه في الدين، وتعليمه القرآن الخ..

ثانياً: ويدل على ثبوت هذه الحقوق: ما ورد في رسالة الحقوق للإمام السجاد «عليه السلام»، فقد قال: «فأما حق الله الأكبر، فأنك (فأن) تعبده لا تشرك به شيئاً، فإن فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على

(١) بدائع الصنائع ج٥ ص١٢٦.

نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منهما»(١).

ثالثاً: بالنسبة للمراد من حق قبر النبي «صلى الله عليه وآله» ما جعله الله تعالى لقبره ولقبور الأنبياء والأوصياء من ميزات وخصائص، مثل لزوم تعظيم قبورهم، واستحباب البناء عليها وتعميرها وتعاهدها وإعطاء المثوبة من الله تعالى على ذلك.

بل ورد ما يدل على تغليظ اليمين عند القبر الشريف، فقد قال: العباس للذين عجزوا عن تخليص خالد من يد علي: فحلفوه بحق القبر لما كففت. فحلفوه بالقبر فتركه(٢).

وفي نص آخر: أن العباس أقسم عليه بحق القبر ومن فيه، وبحق

---

(١) الخصال ص٥٦٦ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦١٨ وتحف العقول ص٢٥٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص١٧٢ و (الإسلامية) ج١١ ص١٣٢ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٥٥ ومكارم الأخلاق ص٤١٩ وبحار الأنوار ج٧١ ص٣ و ١١ ونور الثقلين (تفسير) ج٤ ص١٩٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٠ ص٢٤٠ والجامع للشرايع ص٦٢٥ والوافي ج٥ ص٧١٣ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٤١٩ وشرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين ص٢١.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٧١ ـ ٨٧٣ و (ط١ سنة ١٤٢٢هـ ق) ص٣٩٥ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٠٦ والعوالم ج١١ ص٤٠٠ ـ ٤٠٤ وكامل بهائي ج١ ص٣١٤.

ولديه وأمهما إلا تركه، فتركه(١).

هذا بالإضافة إلى حقوق أخرى يشترك فيها سائر القبور، مثل كراهة المسير والمشي والاتكاء عليها، وكراهة الضحك على المقابر، وكراهة قراءة كتاباتها وغير ذلك.

وهناك الحديث الوارد عن أبي جعفر «عليه السلام» الذي يقول: للمؤمن على الله عز وجل عشرون خصلة، يفي له بها: ثم ذكرها(٢).

٣ ـ وتقدم في هذا الكتاب: أن ابن مسعود رأى علياً راكعاً وساجداً: وهو يقول: «اللهم بحق نبيك محمد إلا غفرت للمذنبين من شيعتي». ورأى النبي «صلى الله عليه وآله» راكعاً وساجداً، وهو يقول: «اللهم بحق علي وليك إلا ما غفرت للمذنين من أمتي».

وأن الملائكة حين أظلمت المشارق والمغارب نادت: «إلهنا

(١) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ و (ط١ سنة ١٤٢٢ هـ ق) ص٣٩٤ و ٣٩٥ والإحتجاج ج١ ص٢٣٣ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦ هـ) ج١ ص١١٨ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٣٧ و ١٣٨ واللمعة البيضاء ص٧٩٧ وبيت الأحزان ص١٣٧.

(٢) الخصال ص٥١٦ والفوائد الطوسية ص٣٩٩ ـ ٤٠١ وبحار الأنوار ج٢٧ ص١٢٢ و ١٢٣ وج٦٤ ص١٤٥ وأعلام الدين للديلمي ص٤٥١ و ٤٥٢ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٢١٨ وج٢ ص٣٤٠ وألف حديث في المؤمن للنجفي ص٢٦٥.

وسيّدنا بحقِّ الأشباح التَّي خلقتها إلاّ ما فرّجتَ عنّا هذهِ الظُلمة»(١).

٤ ـ وتقدم الدعاء المروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه كان يدعو به في اليوم الثالث من شعبان، وأوله: «اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم، الموعود بشهادته قبل استهلاله»(٢).

٥ ـ وفي ليلة النصف من شعبان دعاء ذكره الشيخ والسيد، وفيه: «اللهم بحق ليلتنا هذه ومولودها، وحجتك وموعودها إلخ..»(٣).

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣٦ ص٧٣ و ٧٤ وج٤٠ ص٤٣ و ٤٤ عن جامع الفوائد، وعن الفضائل لابن شاذان، وتأويل الآيات ج٢ ص٦١٠ ـ ٦١٢ والفضائل لابن شاذان ص١٢٨ و ١٢٩ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢١٩ ـ ٢٢١ و ٤١٧ ـ ٤١٩ والدر النظيم ص٧٦٥ و ٧٦٦ واللمعة البيضاء ص١٠٧ و ١٠٨ وغاية المرام ج٤ ص١٦٣ وج٧ ص٦٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٣٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٢ ص٣٨٧ والبرهان (تفسير) ج٥ ص١٤٦ والروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان ص١١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٢٥٠ عن در بحر المناقب لابن حسنويه (مخطوط) ص٦٩.

(٢) مصباح المجتهد للطوسي ص٨٢٦ ومختصر بصائر الدرجات ص٣٤ و ٣٥ والمزار الكبير لابن المشهدي ص٣٩٧ وبحار الأنوار ج٩٨ ص٣٤٧ و ٣٤٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٣ ص٣٠٤ والمصباح للكفعمي ص٥٤٤.

(٣) مصباح المجتهد ص٨٤٢ والمزار الكبير ص٤١٠ والإقبال ص٣ و ٣٣٠ والمصباح للكفعمي ص٥٤٦ والبلد الأمين للكفعمي ص١٨٧ والنجم الثاقب

٦ ـ وتقدم حديث الملك صرصائل، وأنه طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو له الله تعالى لكي يرضى عنه، فدعا بالحسين «عليه السلام»، فرفعه بكلتا يديه إلى السماء، وقال: «اللهم بحق مولودي هذا عليك، إلا رضيت على الملك»(١).

٧ ـ وتقدم في حديث الملك دردائيل: أنه «صلى الله عليه وآله» أخذ الحسين، وأشار به إلى السماء، فسأل الله بحق هذا المولود، وبحقه عليه، وعلى جده محمد، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، إن كان للحسين «عليه السلام» قدر ومنزلة عنده أن يرضى عن دردائيل، ويرد عليه أجنحته ومقامه. فاستجاب الله دعاءه، وغفر للملك(٢).

وقد ذكرنا في كتابنا: «عصمة الملائكة»: أن هذا لا يضر بعصمتهم، فراجع.

٨ ـ وقد قال بعض الصحابة للنبي «صلى الله عليه وآله»: نسألك بحق الإسلام، وبحق الصحبة لما أدخلتنا الجنة(٣).

٩ ـ وكان «صلى الله عليه وآله» يدعو إذا أصبح وأمسى بدعاء

ج٢ ص٥٤١.

(١) راجع: هذا الكتاب ج٢ ص٩٩.

(٢) راجع هذا الكتاب ج٢ ص٨٩.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٢٣٢ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٣٦٨ وراجع: الكبير ج٢٠ ص١٦٤.

يقول فيه: أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وبكل حق هو لك، وبحق السائلين عليك أن تقبلني في هذه الغداة(١).

١٠ ـ عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إذا هالك أمر، فقل: اللهم صل على محمد وآل محمد. اللهم أني أسألك بحق محمد وآل محمد أن تكفيني شر ما أخاف إلخ..(٢).

١١ ـ كان النبي «صلى الله عليه وآله» يقول إذا قضى صلاته: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، فإن للسائل عليك حقاً، أيما عبد أو أمة من أهل البر والبحر تقبلت دعوتهم الخ.. (٣).

١٢ ـ وقالت الجارية المغرمة بحب محمد بن القاسم لأبي بكر: يا خليفة رسول الله إلا انصرفت عني بحق القبر.

قال: لا وحقه لا أريم. أو تعلميني(٤).

١٣ ـ وقال هارون الرشيد للإمام الكاظم «عليه السلام»: بحق القبر والمنبر، وبحق قرابتك من رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) مجمع الزوائد ج١٠ ص١١٧ والدعاء للطبراني ص١٢١ والمعجم الكبير ج٨ ص٢٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢٥٨.
(٢) نظم درر السمطين ص٤٩ و ٥٠ وفرائد السمطين ج١ ص٣٩ و (مخطوط) ص١١.
(٣) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٢ ص٦٤٤ والدر المنثور ج٢ ص٣٦.
(٤) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٣ ص٧٧٨ و ٧٧٩.

أخبرني أنت تموت قبلي، أو أنا أموت قبلك إلخ..[١].

١٤ ـ وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: من قال حين يسمع النداء: اللهم إني أسألك بحق هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة إلخ..[٢].

١٥ ـ عن أبي سعيد: من قال إذا خرج إلى الصلاة: اللهم أني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا، لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رياء، ولا سمعة إلخ..[٣].

١٦ ـ وعلَّم رجل رجلاً دعاءً في عهد عبد الملك ليأمن من الخوف الذي يسببه له عبد الملك، وجاء في آخره: اللهم إني أسألك بحق هذه

(١) مستدرك الوسائل ج١٣ ص١٠٣ و ١٠٤ وفرج المهموم ص١٠٩ وبحار الأنوار ج٤٨ ص١٤٦ وج٥٥ ص٢٥٣.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٤١٠ وفتح الباري ج٢ ص٧٨ وعمدة القاري ج٥ ص١٢٢ وعون المعبود ج٢ ص١٦٢ والمعجم الأوسط ج٥ ص٥٤ والمعجم الصغير ج١ ص٢٤٠ وكشف الخفاء ج١ ص٤٠٢.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٢٩ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٥٦ ورواه ابن خزيمة في صحيحه، والدعاء للطبراني ص١٤٩ ومسند أحمد ج٣ ص٢١ ومسند ابن الجعد ص٢٩٩ والترغيب والترهيب ج١ ص٢١٥ وج٢ ص٤٥٩ والعهود المحمدية للشعراني ص٥٦ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٥ ص٤٠٠ و ٤٠١ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٢٧ وميزان الإعتدال ج٢ ص٤٤٧ ونهاية الأرب ج٥ ص٣٠٧ وإحياء علوم الدين ج٣ ص٥٨٣.

الكلمات وحرمتهن أن تعطيني كذا وكذا. فأمن(١).

١٧ ـ وقد دعا النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» فقال: اللهم بحق علي عندك اغفر لعلي.

قال علي: فقلت: يا رسول الله، ما هذا؟!

فقال: أوَأحد أكرم منك عليه، فاستشفع به إليه؟!(٢).

١٨ ـ عن النبي «صلى الله عليه وآله»: لما اقترف آدم الخطيئة. قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي.

فقال الله: يا آدم، فكيف عرفت محمداً، ولم أخلقه؟!

فذكر آدم أنه رأى اسمه «صلى الله عليه وآله» مكتوباً على قوائم العرش.

فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، أدعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك، هذا حديث صحيح الأسناد(٣). انتهى

---

(١) راجع: ربيع الأبرار ج٢ ص٣٩٠ والهواتف لابن أبي الدنيا ص٥٦ بعد الشدة للقاضي التنوخي ج١ ص٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢٠ ص٣١٥ و ٣١٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٩ و ٦٠ .

(٣) المستدرك للحاكم ج٢ ص٦١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٧ ص٤٣٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج١ ص٩١ وقصص الأنبياء لابن كثير ج١ ص٢٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٤٥٥ ودلائل النبوة ج٥ ص٤٨٩ والسيرة النبوية بن كثير ج١ ص٣٢٠ وسبل الهدى

ملخصاً.

١٩ ـ عن ابن عباس، قال: «كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هُزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان الخ..»(١).

٢٠ ـ ودخل نفر من اليهود على الإمام الصادق «عليه السلام»، وأرادوا سؤال ولده الإمام الكاظم «عليه السلام» ـ فمسح الإمام الصادق «عليه السلام» على صدر ولده الكاظم، وهو طفل خماسي، وقال: «اللهم أيده بنصرك بحق محمد وآله..» (٢).

٢١ ـ عن أبي إبراهيم «عليه السلام» دعاء في الرزق يقول: «يا الله، يا الله، يا الله، أسألك بحق من حقه عليك عظيم أن تصلي على محمد

والرشاد ج١٢ ص٤٠٣ وينابيع المودة ج٢ ص٣٣٦.

(١) المستدرك للحاكم ج٢ ص٢٦٣ وأسباب نزول الآيات ص١٦ والعجاب في بيان الأسباب ج١ ص٢٨٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٢ ص٣٧٨ ودلائل النبوة ج٢ ص٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٢٩٢ وكفاية الطالب (الخصائص الكبرى) ج١ ص٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص١١٢ و ١١٣.

(٢) قرب الإسناد ص٣١٧ و ٣١٨ والخرائج والجرائح ج١ ص١١٥ و ١١٦ وحلية الأبرار ج١ ص٤٩ و ٥٠ ومدينة المعاجز ج٦ ص٣٦ ـ ٣٨ وبحار الأنوار ج١٧ ص٢٢٥ و ٢٢٦.

وآل محمد إلخ..»(١).

٢٢ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: تضع يدك على موضع الوجع وتقول: «اللهم إني أسألك بحقِّ القرآن العظيم الّذي نزل به الرّوح الأمين، وهو عندك في أم الكتاب عليٌّ حكيم، أن تشفيني بشفائك الخ..»(٢).

٢٣ ـ وفي الدعاء: «اللهم إني أسألك بإقبال نهارك، وإدبار ليلك، وحضور صلواتك، وأصوات دعائك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تتوب علي الخ..»(٣).

(١) الكافي ج٢ ص٥٥٣ والوافي ج٩ ص١٦١١ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص٤٠ وعدة الداعي ص٢٦٠ والمصباح للكفعمي ص٢٣ وإقبال الأعمال ج١ ص٢٢٣ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٨٥ ومصباح المتهجد للطوسي ص٥٥ وبحار الأنوار ج٨٣ ص٤٦ وج٩٢ ص٢٩٧ وج٩٥ ص١١٥ و ١١٦ وج٩٩ ص٥٢١ ومرآة العقول ج١٢ ص٤٠٧ والبلد الأمين للكفعمي ص١١ و ٣٦٠.

(٢) الكافي ج٢ ص٥٦٨ والوافي ج٩ ص١٦٤١ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٨٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٣٩٠ وبحار الأنوار ج٩٢ ص٥٠ ومرآة العقول ج١٢ ص٤٣٥.

(٣) مفتاح الفلاح ص١٨٤ والوافي ج٧ ص٥٨٩ وراجع ج٩ ص١٥٧٤ وهداية الأمة ج٢ ص٢٦٥ والحدائق الناضرة ج٧ ص٤٤١ والأمالي للصدوق ص٣٣٨ وثواب الأعمال ص١٥٣ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢٣٠ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٨٧ وروضة الواعظين ص٣١٣ ووسائل

وفي أدعية الصحيفة السجادية، نجد العديد من النصوص، مثل:

٢٤ ـ قوله «عليه السلام»: أسألك بحق نبيك محمد «صلى الله عليه وآله»، وأتوسل إليك بالأئمة «عليهم السلام» الذين اخترتهم لسرك، وأطلعتهم على خفيك، واخترتهم الخ..(١).

٢٥ ـ وقال «عليه السلام»: اللهم قرب أجله، واقطع أثره، وعجل ذلك يا رب، الساعة الساعة، بحق محمد وآله الطاهرين(٢).

٢٦ ـ وقال «عليه السلام»: اللهم إني أسألك بحق العرش وعظمته، وبحق الكرسي وسعته، وبحق القلم وجريته، وبحق اللوح وحياطته، وبحق الميزان وحدته، وبحق الصراط ودقته، وبحق

الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٤٥٢ و (الإسلامية) ج٤ ص٦٦٩ و ٦٧٠ ومستدرك الوسائل ج٤ ص٥٣ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٩٩ وغوالي اللآلي ج٤ ص١٦ والمصباح للكفعمي ص٣٨ وبحار الأنوار ج٨١ ص١٧٣ وج٨٤ ص٣٥٧ وج٩٢ ص٤٠٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٣٤ وفلاح السائل ص٢٢٧ وكشف الغمة ج٣ ص٨٤.

(١) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي سنة ١٤١١هـ) ص٣٤٤ ومصباح المتهجد للطوسي ص٦٩٤ والمزار للمفيد ص١٦٠ والمزار لابن المشهدي ص٤٥٢ وإقبال الأعمال ج٢ ص١٠٧ والمصباح للكفعمي ص٦٦٧ وبحار الأنوار ج٩٥ ص٢٣١ والبلد الأمين ص٢٤٩.

(٢) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الأبطحي سنة ١٤١١هـ) ص٣٧٣.

جبرئيل وأمانته، وبحق ميكائيل وطاعته، وبحق إسرافيل ونفخته، وبحق عزرائيل وصولته وبحق نوح وسفينته، وبحق هود وهيبته، وبحق صالح وناقته، وبحق إبراهيم وخلته، وبحق إسماعيل وذبيحته، وبحق إسحاق وذريته، وبحق يعقوب وغربته، وبحق موسى ومناجاته، وبحق هارون وبهائه، وبحق عزير وإماتته، وبحق شعيب وابنته، وبحق داوود وقبضته، وبحق سليمان ومملكته، وبحق ذي الكفل وخشيته، وبحق دانيال وكرامته، وبحق الخضر وسياحته، وبحق أيوب وبليته، وبحق يونس ودعوته، وبحق زكريا وعبادته، وبحق يحيى وطهارته، وبحق عيسى وزهادته، وبحق محمد وشفاعته، وبحق القرآن وتلاوته، وبحق العلم ودرايته، وبحق علي بن أبي طالب وشجاعته، وبحق الحسن وسمته، وبحق الحسين وشهادته.

أسالك بحق هؤلاء وشرفهم، أن تجعلني في حرزك وحفظك، يا أرحم الراحمين، يا من يملكني لا تهلكني(١).

٢٧ ـ وقال «عليه السلام»: اللهم فاستجب دعائي، واقبل ثنائي، وأعطني جزائي، واجمع بيني وبين أوليائي بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين «عليهم السلام»، إنك ولي نعمائي، ومنتهى مناي، وغاية رجائي في منقلبي ومثواي(٢).

---

(١) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الأبطحي سنة ١٤١١هـ) ص٣٩٩ و ٤٠٠.

(٢) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي سنة

٢٨ ـ وقال «عليه السلام»: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَبِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ، مِنِ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ، مِنْ مَلَك قَرَّبْتَهُ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ، أَوْ عَبْد صَالِح اخْتَصَصْتَهُ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَهِّلْنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ(١).

٢٩ ـ وقال «عليه السلام»: اللهم وإني أسألك بحق البيت الحرام، والركن والمقام، والمشاعر العظام، أن تهب لي الليلة الجزيل من عطائك، والإعاذة من بلائك(٢).

٣٠ ـ وقال «عليه السلام»: ثم صل ركعتي الشفع، وقل بعدهما

١٤١١هـ) ص٥٩١ ومصباح المتهجد ص٧٣٩ وهداية الأمة ج٥ ص٤٥٥ وكامل الزيارات ص٩٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٤ ص٣٩٦ و (الإسلامية) ج١٠ ص٣٠٧ والغارات للثقفي ج٢ ص٨٤٨ والمزار لابن المشهدي ص٢٨٤ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٧٤ وفرحة الغري ص٧٢ و ٧٤ والمصباح للكفعمي ص٤٨١ وبحار الأنوار ج٩٧ ص٢٦٥ و ٢٦٧ و ٣٢٩ وج٩٩ ص١٧٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٢٤٠ والبلد الأمين ص٢٩٦.

(١) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي سنة ١٤١١هـ) ص٢١٢ ومصباح المتهجد ص٦٠٩ وإقبال الأعمال ج١ ص١١٣ والمصباح للكفعمي ص٦١١.

(٢) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي سنة ١٤١١هـ) ص٢٠٩ ومصباح المتهجد ص٨٣٧ وإقبال الأعمال ج٣ ص٣٥٣.

قبل قيامك إلى الوتر: «اللهم رب (الشفع والوتر، والليل إذا يسر) بحق هذه الليلة المقسوم فيها بين عبادك ما تقسم، والمحتوم فيها ما تحتم أجزل فيها قسمي الخ..»(١).

٣١ ـ وقال «عليه السلام»: أسألك بحق شهرنا هذا وأيامه الذي كان رسولك «صلى الله عليه وآله» يدأب في صيامه وقيامه مدى سنيه وأعوامه، أن تجعلني فيه من المقبولين أعمالهم(٢).

٣٢ ـ علي بن سورة، عن سماعة بن مهران، قال: قال لي أبو الحسن «عليه السلام»: إذا كان لك يا سماعة عند الله حاجة، فقل: «اللهم إني أسألك بحق محمّد وعلي، فإن لهما عندك شأناً من الشأن، وقدراً من القدر، فبحق ذلك الشأن وبحق ذلك القدر أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا وكذا»(٣).

---

(١) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي سنة ١٤١١هـ) ص٢٠٧ ومصباح المتهجد ص٨٣٥ وإقبال الأعمال ج٣ ص٣٥٢.

(٢) الصحيفة السجادية (تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي سنة ١٤١١هـ) ص٢٠٨ ومصباح المتهجد ص٨٣٦ وإقبال الأعمال ج٣ ص٣٥٣.

(٣) الكافي ج٢ ص٥٦٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٧ ص١٠٢ و (الإسلامية) ج٤ ص١١٤٢ وعدة الداعي ص٥٢ والمحتضر للحلي ص٢٧٣ وبحار الأنوار ج٢٧ ص٣١٧ وج٩١ ص٢٢ وج٩٢ ص١٦٥

٣٣ ـ عن أبي عبيدة الحذاء، قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول وهو ساجد: أسألك بحق حبيبك محمّد إلا بدلت سيئاتي حسنات، وحاسبتني حساباً يسيراً.

ثم قال في الثانية: (أسألك بحق حبيبك محمّد الاّ كفيتني مؤونة الدنيا، وكل هول دون الجنة)

وقال في الثالثة: (أسألك بحق حبيبك محمّد لما غفرت لي الكثير من الذنوب والقليل، وقبلت مني عملي اليسير).

ثم قال في الرابعة: (أسألك بحق حبيبك محمّد لما أدخلتني الجنة، وجعلتني من سكانها ولما نجيتني من صفعات النار برحمتك. وصلى الله على محمّد وآله)(١).

٣٤ ـ وروي إذا أخذت طين قبر الحسين «عليه السلام»، فقل: «بسم الله، اللهم بحق هذه التربة الطاهرة، وبحق البقعة الطيبة، وبحق الوصي الذي تواريه، وبحق جده وأبيه، وأمه وأخيه، والملائكة الذين

ومرآة العقول ج١٢ ص٤٢٧ وإرشاد القلوب ج٢ ص٤٢٦.

(١) الكافي ج٣ ص٣٢٢ ومصباح المتهجد ص١٠٦ والإثنا عشرية للشيخ البهائي العاملي ص٤٥ وروضة المتقين ج٢ ص٣٤٨ والوافي ج٨ ص٧١١ و ٧١٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٣٤٠ و (الإسلامية) ج٤ ص٩٥٢ ومستدرك الوسائل ج٤ ص٤٤٨ وبحار الأنوار ج٨٢ ص١٣١ وج٨٣ ص٢٢٢ ومرآة العقول ج١٥ ص١٢٩ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٦ وفلاح السائل ص٢٤٤ والبلد الأمين ص١٧ و ١٨.

يحفون به، والملائكة العكوف على قبر وليك ينتظرون نصره، صلى الله عليهم أجمعين، اجعل لي فيه شفاء من كل داء الخ..»(١).

٣٥ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: إذا أردت المسير إلى قبر الحسين «عليه السلام»..

إلى أن قال: ثم ضع خدك الأيمن على القبر وقل: «اللهم إني أسألك بحق هذا القبر ومن فيه، وبحق هذه القبور ومن أسكنتها، أن تكتب اسمي عندك في أسمائهم الخ..»(٢).

٣٦ ـ وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن يوسف «عليه السلام» لما صار في الجب، وأيس من الحياة فكان مما قال: فإني أسألك بحق الشيخ يعقوب، فارحم ضعفه، واجمع بيني وبينه، فقد علمت رقته علي، وشوقي إليه.

قال ثم بكى أبو عبد الله الصادق «عليه السلام»، ثم قال: وأنا أقول: اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك، فلن ترفع لي إليك صوتاً، فإني أسألك بك، فليس كمثلك شيء، وأتوجه

---

(١) الكافي ج٤ ص٥٨٩ وروضة المتقين ج٥ ص٣٧٣ والوافي ج١٤ ص١٥٢٧ وكامل الزيارات ص٤٧٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٤ ص٥٢٢ و (الإسلامية) ج١٠ ص٤٠٩ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٤١ ومرآة العقول ج١٨ ص٣١٨ والإيقاظ من الهجعة ص٣٠٣.

(٢) كامل الزيارات ص٤١٠ وبحار الأنوار ج٩٥ ص١٨٢ و ١٨٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٤٨٢.

إليك بمحمد نبيك نبي الرحمة، يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله(١).

وروي في طين قبر الإمام الحسين «عليه السلام» عدة أدعية نجملها فيما يلي:

٣٧ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: إذا أخذت من تربة المظلوم، ووضعتها قبالك، فقل: «اللَّهُمَّ بِحَقِّ هذِهِ التُّرْبَةِ، وَبِحقِّ المَلَكِ الذي قبضها، وَالنبي الَّذِي حضنها، والإمام الَّذِي حل فيها، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأن تجعل لي فيها شفاء نافعاً الخ..»(٢).

٣٨ ـ عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: إذا تَناوَلَ أحَدُكم مِن طين قبر الحسين، فليقل: «اللَّهُمَّ إنّي أسْأَلُك بحقِّ المَلَكِ الَّذي تَناوَلَهُ، وَالرَّسُول الَّذي بَوَّأَهُ، وَالوَصِيِّ الَّذي ضُمِّنَ فيهِ، أنْ تجعَلَهُ شِفاءً مِن كُلِّ داءٍ كذا وكذا الخ..»(٣).

٣٩ ـ عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: إذا أخذت طين قبر الحسين فقل:

---

(١) الأمالي للصدوق ص٤٨٨ و ٤٨٩ وروضة الواعظين ص٣٢٧ و ٣٢٨ وبحار الأنوار ج١٢ ص٢٥٥ وج٩٢ ص١٨٤ ونور الثقلين (تفسير) ج٢ ص٤١٦ وكنز الدقائق (تفسير) ج٦ ص٢٨٥ والنور المبين ص١٧٢.

(٢) كامل الزيارات ص٤٧٧ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٤٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٥٣٩.

(٣) كامل الزيارات ص٤٦٩ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٤٠ وبحار الأنوار ج٩٨ ص١٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٥٣٨.

«اللّهُمَّ بِحَقِّ هذِهِ التُّرْبَةِ، وَبِحقِّ المَلَكِ المُوَكَّلِ بها، وَالملكِ الَّذِي كَربها، وَبِحَقِّ الْوَصيِّ الَّذِي هُوَ فيها، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ هذا الطِّين شِفاءً لي مِن كلِّ داءٍ، وَأَماناً مِنْ كُلِّ خَوْفٍ»(١).

٤٠ ـ وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال في حديث: «اللّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَحَبيبِكَ وَنَبِيِّكَ وَأَمينِكَ، وَبِحقِّ أَمِيرِ المؤمِنينَ عَليِّ بْنِ أبي طالبٍ، عَبْدِكَ وأخي رَسُولِكَ، وَبِحَقِّ فاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ، وَزَوجَةِ وَلِيِّكَ، وَبِحَقِّ الحَسَنِ وَالحُسَين، وَبِحَقِّ الأئمَّةِ الرَّاشِدِينَ، وَبِحَقِّ هذِهِ التُّرْبَةِ، وَبِحَقِّ المَلَكِ المُوَكَّلِ بها، وَبِحَقِّ الوَصِيِّ الَّذي حلَّ فيها، وَبحقِّ الجَسَدِ الَّذي تَضَمَّنَتْ، وَبِحَقِّ السِّبْطِ الَّذِي ضُمِّنَتْ، وَبِحَقِّ جَميعِ مَلائِكَتِكَ وَأَنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ، صَلِّ عَلىُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ هذا الطِّينَ لي شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ، ولِمنَ يَسْتَشْفي بِهِ مِنْ كُلِّ داءٍ وَسُقْمٍ وَمَرَضٍ، وَأَماناً مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، اللّهُمَّ بحقِّ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، اجْعَلْهُ عِلْماً نافِعاً، وَرِزْقاً واسِعاً الخ..»(٢).

٤١ ـ وعن الصادق «عليه السلام»: اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق

---

(١) كامل الزيارات ص٤٦٩ و ٤٧٠ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٤٠ و ٣٤١ وبحار الأنوار ج٩٨ ص١٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٥٣٨.

(٢) كامل الزيارات ص٤٧٤ ـ ٤٧٦ وبحار الأنوار ج٩٨ ص١٢٨ و ١٢٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٥٣٥ و ٥٣٦.

الوصي الذي حل فيها، صل على محمد وأهل بيته، واجعل لي فيها شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف.

ثم ذكر «عليه السلام» أن الملك هو جبرئيل، وأن النبي هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن الوصي هو الحسين «عليه السلام»(١).

٤٢ ـ روي: إذا أخذته فقل: اللهُمّ بحقّ هذِهِ التربة الطاهِرة، وبحقّ البُقعةِ الطَّيِّبةِ، وَبحقِّ الوَصيِّ الَّذي تواريهِ، وَبحقِّ جَدِّهِ وَأبيهِ، وَأُمِّهِ وَأخيهِ، وَالمَلائِكَة الَّذِين يَحُفُّونَ بِهِ، والملائكةِ الْعُكُوفِ عَلى قَبْر وَلِيّك، يَنْتَظِرُونَ نَصْرَهُ صَلّى الله عَلَيْهِمْ أجْمَعِينَ، اجْعَلْ لي فيهِ شِفاءً مِنْ كُلِّ داءٍ الخ..(٢).

---

(١) كامل الزيارات ص٤٧٣ ـ ٤٧٤ وروضة المتقين ج٥ ص٣٧٤ والوافي ج١٤ ص١٥٢٩ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٧٤ و ٧٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٤ ص٥٢٤ و ٥٢٥ و (الإسلامية) ج١٠ ص٤١١ والأمالي للطوسي ص٣١٨ وبحار الأنوار ج٩٨ ص١١٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٥٢٥ وبشارة المصطفى ص٣٣٢.

(٢) كامل الزيارات ص٤٧٢ وروضة المتقين ج٥ ص٣٧٣ والوافي ج١٤ ص١٥٢٧ والكافي ج٤ ص٥٨٩ ووسائل الشيعة (آل البيت)ج١٤ ص٥٢٢ و (الإسلامية) ج١٠ ص٤٠٩ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٤١ وبحار الأنوار ج٩٨ ص١٢٨ ومرآة العقول ج١٨ ص٣١٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٥٣٨.

ويمكن لمن تتبع المصادر: أن يجد المزيد مما يدل على جواز التوسل، وقد أرسل يوسف «عليه السلام» قميصه ليلقوه على وجه أبيه ليرتد بصيراً، ففعلوا، فرد الله على يعقوب «عليه السلام» بصره.

الرسول في القبر الشريف:

وقد طلب الحسين «عليه السلام» من ربه بحق القبر ومن فيه أن يختار له ما هو لله، وللرسول، وللمؤمنين رضى..

فقوله «عليه السلام» بحق هذا القبر ومن فيه يدل على أن جسد النبي «صلى الله عليه وآله» كان في تلك اللحظة موجوداً في القبر. وهذا لا يتلاءم مع ما ورد في الروايات من أن جسد النبي «صلى الله عليه وآله» قد رفع إلى السماء بعد ثلاثة أيام، أو أربعين يوماً؟!

وقد يحاول البعض أن يجيب: بأن هذا النص الذي نتحدث عنه لم يصرح بأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الموجود في القبر بجسده، بل قال: «ومن فيه». وهذه الكلمة تدل على أن الذي في القبر موجود عاقل، له كرامة عظيمة عند الله، فقد يكون هذا الموجود فيه هو الملائكة العظام المكرمون عند الله..

ولكن هذا الجواب غير سديد، لأنه مجرد تكهن، ورجم بالغيب لا شاهد له، بل قد يقال: إن الشاهد على خلافه موجود في نفس هذا النص. فقد قال: اللهم إن هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد الخ..

كما أنه «عليه السلام» كان قد جاء إلى القبر في الليلة السابقة، وابتدأه بقوله: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن

فرختك الخ..

فالأولى أن يجاب:

بأن روايات رفع جسد النبي «صلى الله عليه وآله» إلى السماء لم تصرح ببقائه فيها إلى آخر الدهر، فلعله يبقى عدة أيام، ثم يعاد إلى الموضع الذي دفن فيه. وقد ذكرت بعض الروايات، وإن كانت غير معتبرة سنداً: أن الله تعالى حين يموت النبي ووصيه يجمع بين روحيهما وجسديهما، ثم يفرقان، فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره، إلى موضعه الذي حط فيه(١).

فإعادة الجسد إلى الموضع الذي حط فيه، يجعل من الممكن تصور إعادته من السماء أيضاً إلى موضع قبره. وهو الموضع الذي حط فيه.

وربما كان هذا الرفع إلى السماء على سبيل التكريم والتعظيم للأنبياء في محضر ملائكة السماء، وإظهار فضلهم للملائكة، ودلالتهم على امتيازهم عند الله على سائر البشر.

وعدم اعتبار سند الرواية التي أشرنا إليه لا يعني أنها مكذوبة. إذ يمكن تأييد مضمونها بما دل على وجود أجساد الأئمة والأنبياء في الأرض، وبما دل على رفعها، إذا رفعنا التنافي الظاهري بينها، بأنها

---

(١) بحار الأنوار ج٤٢ ص٢٩٢.

ترفع مدة إلى السماء لأجل التكريم، ثم تعاد إلى القبور(١).

وقد أضاف بعض الإخوة الأفاضل هنا قوله: يمكن أن يكون الرفع إلى السماء على نحو لا يتنافى مع كونه «صلى الله عليه وآله» في قبره، وإن لم نعرف كيفية حصول ذلك، فيكون من قبيل الحضور عند قبر المؤمن والدعاء لمن في القبر، مع وجود روايات: أن المؤمن ينقل حين موته إلى وادي السلام، فإن كان النقل بالروح، فليكن الأمر كذلك بالنسبة لرفع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى السماء، وإن كان بالروح والجسد، فكذلك أيضاً.

ما كل ما يعلم يقال:

ونحب لفت نظر القارئ الكريم إلى أن بعض الأمور لا يحسن تداولها، وإشاعتها بين الناس الذين لا يملكون قدراً كافياً من المعرفة، ومن الإيمان، فإن شيوع القول: بأن أجساد الأنبياء والأئمة ليست في قبورهم، قد يثير الشبهة لديهم.

كما أنه قد يفقد زيارة قبورهم معناها، ويضعف تأثيرها فيهم، ولا يبقى لدى طلاب الحاجات منهم ذلك اليقين، ويتلاشى الوهج العاطفي، وتتضاءل وتخمد الحرقة، وتهتز ثقتهم بالاستجابة، ويخبو الشعور لديهم بالأمن والسلام والسلامة عند قبورهم الشريفة.

كما أن بعض الطواغيت قد تسول له نفسه العدوان على القبور الشريفة، ونبشها كما حصل من الديزج مع قبر الإمام الحسين «عليه

---

(١) راجع كتابنا: مختصر مفيد ج٦ ص١٣ ـ ٣٢.

السلام».

بل إن الحجاج قد نبش ثلاثة آلاف قبر بظاهر الكوفة، ليجد جسد علي «عليه السلام»، لكي يستخرجه ويحرقه بالنار(١)، فلم يوفق، وبقي القبر مستوراً إلى أن أظهره الإمام الصادق «عليه السلام» في أول الدولة العباسية.

فإنه إن لم يجد في القبر شيئاً، فإن أهل الباطل سوف يطلقون إشاعاتهم المسمومة، وسوف تهاجم الشبهات عقائد المستضعفين من الناس وتفتك بها.. وسيقال لهم: إن الأحاديث التي تقول: إن أجساد الأنبياء محرمة على الأرض باطلة، وإن وجد الجسد في القبر، فإن الروايات التي تقول برفع الجسد إلى السماء تصبح موضع ريب، وربما سرى الريب إلى صدق من تنسب إليهم، وربما أدى ذلك إلى اهتزاز الاعتقاد بإمامتهم..

كما أن العدوان على هذا الجسد من قبل هؤلاء الطواغيت ـ إذا وجدوه ـ لا يمكن استبعاده. ولا بد أن تختلط الأمور على الناس في هذه الأحوال، إلا أن يكفي الله الأمة بلطف منه، شر الأشرار، وكيد الفجار، وينتقم منهم، ويعجل بهم إلى النار.

---

(١) راجع: روضات الجنات ج٢ ص٥٤ ومنتخب التواريخ ص٢٩١ وتفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي ص٧٥ ومشهد الإمام علي في النجف، لسعاد ماهر ص٢٢١.

الباب الثالث:

من المدينة إلى مكة..

الفصل الأول:

أجواء ما قبل الرحيل..

الوليد يراقب الحسين ×:

وتقدم: أن الوليد أرسل إلى منزل الحسين «عليه السلام» لينظر هل خرج من المدينة أم لا. فدل هذا على أن الوليد كان يراقب الحسين «عليه السلام.. وأن عدم مصادفته في المنزل تلك الليلة قد أوهم الوليد: أنه «عليه السلام» قد خرج من المدينة، فلم يعد يرى ضرورة لمراقبة المنزل.. والحال أنه «عليه السلام» قد بات تلك الليلة عند قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا قد يسَّر له «عليه السلام» التحرك بحرية حين أراد الخروج من المدينة بالعيال والأطفال، وطائفة من الأصحاب، مع أن ركباً بهذا الحجم وبما يحتاجه من رواحل، وما يريد أن يهيئه من وسائل لا يمكن إلا أن تصدر عنه بعض الضوضاء، فلو كانت العيون مبثوثة عليه في الساعة التي اختارها للخروج لانكشف أمره، ولأحرج نفسه، وأحرج غيره..

النياحة قبل الرحيل:

قال ابن قولويه: حدثني أبي، وجماعة من مشايخي، عن سعد بن

عبد الله بن أبي خلف، عن محمد بن يحيى المعاذي، قال: حدثني الحسين بن موسى الاصم، عن عمرو (ابن شمر)، عن جابر عن الإمام الباقر «عليه السلام»:

لما همَّ الحسين «عليه السلام» بالشخوص عن المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة، حتى مشى فيهنّ الحسين «عليه السلام»، فقال: أنشدكنّ الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله».

فقالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء؟! فهو عندنا كيومٍ مات فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلي، وفاطمة، ورقية، وزينب، وأم كلثوم. فننشدك الله، جعلنا الله فداك من الموت يا حبيب الأبرار من أهل القبور.

وأقبلت بعض عمّاته تبكي وتقول: أشهد يا حسين، لقد سمعت الجن ناحت بنوحك، وهم يقولون:

فإن قتيلَ الطفِّ من آلِ هاشم أذلّ رقاباً من قريش فذلّتِ

حبيبُ رسولِ اللهِ لم يك أبانت مصيبتُك الأنوفَ وجلّتِ

وقلن أيضاً:

أبكي حسيناً سيداً ولقتلِهِ شاب الشّعرْ

ولقتلِهِ زُلزلتمُ ولقتلِهِ انكسف القمَرْ

واحمّــــرت آفــــاقُ الســــما ءِ مــــن العشــــيّةِ والسّــــحَر

وتغيّـــرت شَــمْسُ الـــبلا دِ بهـــم وأظلمـــت الكـــورْ

ذاك ابـــن فاطمـــة المصـــا ب بـــه الخلائـــق والبشـــر

أورثتنـــــا ذلاً بـــــه جــدع الأنــوف مــع الغــرر(١)

ونقول:

في هذا النص الضعيف سنداً أمور نود التوقف عندها، وهي التالية:

عن أي شيء نهى النساء؟!:

تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» نهى النساء عن النياحة عليه، قائلاً لهن:

«أنشدكنّ الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله».

فهل نهاهن «عليه السلام» بكلامه هذا عن النياحة؟! أم نهاهن عن شيء آخر؟!

ونجيب:

---

(١) كامل الزيارات ص١٩٥ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٨٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ ومدينة المعاجز ج٤ ص١٧٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣١٦ ولواعج الأشجان ص٣٠ و ٣١ ومعالي السبطين ج١ ص٢١٤ مع اختلاف واختصار في بعض المصادر.

أولاً: إنه «عليه السلام» قد نهاهن عن إبداء هذا الأمر، حيث إن اجتماعهن في مكان واحد، سوف يلفت الأنظار، ويثير الأسئلة، ولاسيما حين تقصدهن نساء أهل المدينة لمعرفة سبب النياحة، ومواساتهن في المصاب كما جرت العادة..

فإذا كانت النياحة لأجل فراق شخص لا يزال على قيد الحياة، فإن ذلك سيثير الدهشة، ويجعل الأسئلة تتزاحم بلا هوادة، وسيتناقل الناس هذا الأمر بشغف، ولاسيما إذا فهم أن هذا الشخص الذي تقام المناحة لأجله هو أقدس إنسان على وجه الأرض، وهو بقية الذرية الطاهرة، وسبط الرسول، وسيد شباب أهل الجنة.

وإن كان سبب النياحة هو موت معاوية، واستيلاء يزيد على الحكم. وأن يزيد يحمل مشروع صدام، ويسعى لفتنة تصل إلى حد الكارثة في الإسلام وأهله.. حيث إنه يصرّ على قتل هذا الرجل الأقدس بالذات..

فمجلس النياحة سوف يظهر كل هذا وسواه، وسيصل إلى مسامع حزب يزيد أيضاً، الذين سيحرجهم خروج الإمام الحسين «عليه السلام» من المدينة، ويعتبرونه مضادة لهم، وسيحاولون بكل جهدهم الحيلولة بين الحسين «عليه السلام» وبين هذا الخروج، وإلا فإنهم سيواجهون خطر حدوث أزمة فيما بينهم، والصدام بين بعضهم البعض.. وهذا سيزيد من مستوى الخطورة على حياة الإمام الحسين «عليه السلام»، وجميع بني هاشم، وكل من يتعاطف معه «عليه السلام» ومعهم..

فظهر: أن النياحة التي ستكون سبباً في إعلان هذا الأمر لا يرضاها الله ورسوله بلا ريب.

ثانياً: إن نفس البكاء لفراق الأحبة ليس محرماً، ولم يرد النهي عنه، فكيف إذا كان هذا البكاء على مثل الحسين «عليه السلام»، وهو أقدس رجل على وجه الأرض، وقد ظهر أنه يواجه خطراً جدياً على حياته. وقد ورد ما يدل على مطلوبية البكاء على الأحبة، ولاسيما إذا كان لهم موقع وأثر إيجابي في هذا الدين، فقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» حين استشهد جعفر الطيار، على مثل جعفر فلتبك البواكي.

وحين استشهد حمزة قال: أما حمزة فلا بواكي له.

وقد بكى «صلى الله عليه وآله» على ولده إبراهيم، وعلى عثمان بن مظعون، ورقية، وزيد بن حارثة، وجعفر وغيرهم.

بل ورد جواز البكاء على الرجل الضال، إذا كان بكاء رقة وتذكر للألفة التي كانت بين الباكي وبينه في حال الحياة(١).

ثالثاً: إن نساء بني عبد المطلب لا يقمن مناحة فيها معصية لله، كإظهار الجزع، وكقول الهجر، أو كشف الشعر، أو ما إلى ذلك مما يبغضه الله ورسوله.

وقد روي ما يدل على جواز النوح إذا لم يصاحبه محرم، وروي

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج٢ ص٥٨٢ وبحار الأنوار ج٧٩ ص٨٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٨٤ و (الإسلامية) ج٢ ص٩٢٥ وهداية الأمة ج١ ص٣٣٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٨٢.

أيضاً: أن الإمام الصادق «عليه السلام» سئل عن أجر النائحة، فقال: لا بأس به، قد نيح على رسول الله «صلى الله عليه وآله»(١).

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: إنما تحتاج المرأة في المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها، ولا ينبغي لها أن تقول هجراً، فإذا جاءها الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح(٢).

وورد: أن الإمام الصادق «عليه السلام» ناح على أولاده أيضاً(٣).

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ ص١١٦ و (ط٢ جماعة المدرسين) ج١ ص١٨٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٤٢ وج١٧ ص١٢٨ و (الإسلامية) ج٢ ص٨٩٣ وج١٢ ص٩١ وبحار الأنوار ج٧٩ ص١٠٧ والوافي ج١٧ ص٢٠٠ وهداية الأمة ج١ ص٣٣٢.

(٢) الكافي ج١ ص٣٥٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٤٢ وج١٧ ص١٢٧ و (الإسلامية) ج٢ ص٨٩٣ وج١٢ ص٩٠ والوافي ج٢ ص١٥٢ وهداية الأمة ج١ ص٣٢٩ وج٦ ص٧٢ ومدينة المعاجز ج٥ ص٢٧٦ وج٤٧ ص٢٧٩ ومرآة العقول ج٤ ص١٢٣ والعوالم، الإمام الحسين ج٣ ص٤٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢١٠ وج١٠ ص١٦٢.

(٣) كمال الدين ص٧٣ وبحار الأنوار ج٤٧ ص٢٤٩ وج٧٩ ص٨٤ و ٧٦ ـ ١٠٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٤١ و (الإسلامية) ج٢ ص٨٩٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٤٧٤.

نوح الجن على الحسين!!:

وذكرت الرواية: أن بعض عمات الإمام الحسين «عليه السلام» ذكرت أنها سمعت نوح الجن عليه، فمن أين علمت الجن بذلك، وأنه يقتل بالطف؟! إلا أن يكون المؤمنون منهم قد سمعوا بعض ما روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو علي والحسن «عليهم السلام» في ذلك.

وهذا هو الراجح، فإن الجن لا يعلمون الغيب، فقد قال تعالى: **(فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الْجِنُّ أن لّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)**(١).

لم يذكر النِّسْوةُ الحسن ×:

وقد لوحظ: أن النسوة لم يذكرن الحسن «عليه السلام»، حين ذكرن يوم مات النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد مات الحسن «عليه السلام» شهيداً بالسم، فكان أولى بالذكر من زينب ورقية وأم كلثوم، اللواتي ينسبن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خلال التربية، لا لبنوتهن الحقيقية له «صلى الله عليه وآله»..

من هو قائل البيت الأول؟!:

وقد ورد في بعض المصادر: أن قوله:

---

(١) الآية ١٤ من سورة سبأ.

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقـــاب المســـلمين فـــذلت

هو لسليمان بن قتبة الخزاعي[١]. وهذا يدل على أن خبر نوح الجن به غير صحيح.

ولكن يجاب:

بأن هذا إنما يؤخذ به إذا ثبت أن سليمان بن قتبة لم يستعر هذا البيت ويودعه قصيدته لاقتضاء المناسبة والمعنى لها.

حبيب الأبرار من أهل القبور:

وتقول الرواية المتقدمة: إن نساء بني عبد المطلب قلن للحسين «عليه السلام»: يا حبيب الأبرار من أهل القبور. وهذا تعبير لم نعهده، ولم نجد له نظيراً فيما مر معنا من نصوص..

وربما أريد به الإلماح إلى ما أخبرهم به الإمام الحسين «عليه السلام» من أنه رأى النبي «صلى الله عليه وآله» في المنام فأخبره «صلى الله عليه وآله» بما يجري عليه، وباشتياق أمه وأبيه، وأخيه إلى لقائه.. فإن الأبرار يحبون الحسين «عليه السلام»، حتى الأموات منهم.

وهذه الرؤيا هي التي أعقبها عزمه على الخروج من المدينة، وقد أخبر بها أهل بيته، فبكوا ولحقهم من الغم والحزن الشيء الكثير، ثم

(١) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص١٤٩ ومقاتل الطالبيين ص٨١.

حاول النسوة إقامة مجلس للنياحة، وهو ما نحن بصدد الحديث عنه.

النياحة على الحسين قبل استشهاده:

ولا ضير في إقامة مناحة على رجل قبل موته إذا كان النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» قد أخبر باستشهاده على يد أعداء الله، ويقين الناس كل الناس بأن ما أخبر به واقع لا محالة..

تظن أنك علمت ما لم أعلمه!!:

عن محمد بن عمر (الأطرف) قال: سمعت أبي عمر بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» يحدث أخوالي آل عقيل، قال:

لما امتنع أخي الحسين «عليه السلام» عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خالياً، فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله، حدثني أخوك أبو محمد الحسن، عن أبيه «عليه السلام»، ثم سبقتني الدمعة، وعلا شهيقي.

فضمني إليه، وقال: حدثك أني مقتول؟!

فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله.

فقال: سألتك بحق أبيك، بقتلي خبرك؟!

فقلت: نعم، فلولا ناولت وبايعت.

فقال: حدثني أبي أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره بقتله وقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته.

فتظن أنك علمت ما لم أعلمه!. وإنه لا أعطي الدنية عن (لعل

الصحيح: من) نفسي أبداً. ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته. ولا يدخل الجنة، أحد آذاها في ذريتها(١).

ونقول:

لو ناولت وبايعت:

١ ـ إن عمر الأطرف ابن علي «عليه السلام» قد دفعه خوفه على حياة أخيه الإمام الحسين «عليه السلام» إلى محاولة إقناعه بأن يبايع يزيد «لعنه الله»، والعبارة التي ذكرها ابن طاووس عنه هي: «ناولت» ولم يظهر لنا وجه معقول، أو مقبول في معناها.

ولعل في العبارة تصحيفاً، والصحيح هو «تأولت». أي أن النصوص التي تستند إليها في امتناعك عن البيعة ليزيد يمكن تأويلها، بأن يقال مثلاً: إنها ناظرة للحالات التي ليس فيها خطر على الحياة، أما إذا كان الخطر داهماً، فإن الضرورات تبيح المحظورات.

أو يكون المراد: لو مددت يدك وبايعت، فإن المشكلة تنتهي عند هذا الحد، ولا موجب لتعريض نفسك وأهل بيتك للقتل.

٢ ـ لعل عمر الأطرف كان يرى أن حفظ النفس وسلامة الشخص، أولى من أي شيء آخر. وهذه المعادلة تكفي عنده لاتخاذ

---

(١) الملهوف ص١٢ و (ط أنوار الهدى) ص١٩ و ٢٠ عن كتاب الشافي في النسب، تأليف عمر النسابة، وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٣١ وعن تظلّم الزهراء ص١٥٥.

القرار بعدم التصدي لأي خطر، حتى لو كان خطراً على الدين، ولزوم دفع الأخطار بالبيعة للظالمين والجبارين.

وهذا بنظره يحتم على الإمام الحسين «عليه السلام» إذا كانت بعض النصوص تحرجه أن يلتمس المخارج والتأويلات لكي يرتاح ضميره، وتطمئن نفسه، وتحصل له السكينة والأمن من العقوبة الإلهية.

٣ ـ لاحظنا في هذا النص: أن خطاب عمر الأطرف لأخيه الإمام الحسين «عليه السلام» كانت تطغى عليه مسحة ظاهرة من الإكبار، والتبجيل، فهو يقول له: حوشيت يا ابن رسول الله..

ثم هو حين بدأ الحديث معه يقول له: جعلت فداك يا أبا عبد الله..

كما أن دموعه تسبقه، ويعلو شهيقه حين أراد أن يخبره بما سمعه.

كما أنه يقول له: حدثني أخوك أبو محمد الحسن الخ.. ولم يقل: أخي..

هل كان الأطرف مغروراً؟!:

غير أن قول الإمام الحسين «عليه السلام» له: «فتظن أنك علمت ما لم أعلمه». يشير إلى أن ذلك الخضوع والإجلال والإكبار للإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن لأجل أنه يرى أن له امتيازاً عليه في نفسه، بل له امتياز مكتسب من كونه سبط رسول الله «صلى الله عليه

وآله»، وكون أمه فاطمة «عليها السلام».

وفيما عدا ذلك، فالظاهر: أنه كان يحسب أنه أوسع منه معرفة بالأمور، وأكثر علماً واطلاعاً.

بل ذكروا: أنه تخلف عن أخيه الحسين «عليه السلام»، ولم يسر معه، وكان قد دعاه إلى الخروج معه. ويقال: إنه لما بلغه قتل أخيه، خرج في معصفرات له، وجلس بفناء داره، وقال: «أنا الغلام الحازم، ولو أخرجت معهم لذهبت في المعركة»(١).

فهو يحسب أنه هو الرابح بنجاته من الموت، مع أن الحقيقة هي: أن الحسين قد ربح بموته واستشهاده في الدنيا والآخرة، وخسر من تخلف عنه كائناً من كان..

إذن، فكيف نجمع بين هذا البكاء الشديد، والشهيق العالي، لأجل الإمام الحسين «عليه السلام» مع لبسه المعصفرات، وإظهاره السرور بالنجاة من الموت مع أخيه في كربلاء؟!

ويزيد الطين بلة:

واللافت للنظر هنا: أن عمر الأطرف كان أول من بايع عبد الله بن الزبير(٢)، والحجاج(١)، مع أن أخاه محمد بن الحنفية ومن معه

---

(١) عمدة الطالب ص٣٦٢ وسر السلسلة العلوية ص٩٦ وأعيان الشيعة ج٥ ص٤٥ وتنقيح المقال (ط حجرية) ج٢ ص٣٤٦.

(٢) عمدة الطالب ص٣٦٢ وسر السلسلة العلوية ص٩٧.

من بني هاشم لم يبايعوه، وصار يجمع الحطب لإحراقهم في الشعب الذي حصرهم فيه، فخلصهم المختار.

وقد توسط الحجاج لدى الحسن بن الحسن ليشرك عمر الأطرف في تولية صدقات علي «عليه السلام»، فلم يتيسر له(٢).

والأوضح والأصرح دلالة على أنه لم يكن يمتلك نظرة صحيحة تجاه الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»: أن عمر بن علي خاصم علي بن الحسين «عليه السلام» إلى عبد الملك في صدقات النبي «صلى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: «أنا ابن المصدق وهذا ابن ابن، فأنا أولى منه».

فتمثل عبد الملك بقول ابن أبي الحقيق:

لا نجعل الباطل حقاً ولا نلطُّ دون الحق بالباطل

قم يا علي بن الحسين فقد وليتكها، فقاما. فلما خرجا تناوله عمر وآذاه. فسكت «عليه السلام» عنه، ولم يرد عليه شيئاً(٣).

---

(١) تنقيح المقال (ط حجرية) ج٢ ص٣٤٦.

(٢) عمدة الطالب ص٩٩ و ٣٦٢ وكشف الغمة ج٢ ص٢٠١ والإرشاد للمفيد ص١٩٦ و (ط دار المفيد) ص٢٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٦٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٤٨ وأعيان الشيعة ج٥ ص٤٥ والدر النظيم ص٥١٨ والعدد القوية ص٣٥٤ .

(٣) الإرشاد للمفيد ص٢٥٩ و (ط دار المفيد) ص١٥٠ وبحار الأنوار ج٤٦

فمن يؤذي الإمام السجاد «عليه السلام»، لا يمكن أن يكون مرضياً عند الأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم»، ولا هو من أهل الولاية، ومن المعتقدين بالإمامة.

هل حضر الأطرف كربلاء؟!:

وقد ادعى أبو مخنف: أن عمر الأطرف قد حضر كربلاء، وبرز بعد أخيه أبي بكر بن علي، وهو يقول:

أضربكم، ولا أرى فيكم زحر ذاك الشقي بالنبي قد كفر

إلى أن قال: وقتل جماعة، ثم رجع إلى الميسرة، وهو يقول:

خلوا عداة الله خلوا عن عمر خلوا عن الليث العبوس

ولم يزل يقاتل حتى قتل بعدما عثر فرسه[1].

ونقول:

قد تقدم ما يدل على أنه ليس فقط لم يحضر كربلاء، بل هو يظهر السرور بنجاته من القتل، ويلبس المعصفرات. كما أنه قد خاصم

ص١١٣ و ١٢١ وج٤٢ ص٩٣ و ٩١ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٣٠٨ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٦١.

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٠٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٨٠ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣٧ ولواعج الأشجان ص١٧٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٨ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١١٢ و ١١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٨ و ٢٩.

السجاد «عليه السلام» إلى عبد الملك بن مروان، أو إلى الوليد بن عبد الملك(١).

وكان أول من بايع ابن الزبير، وقال في عمدة الطالب: لا تصح رواية من روى أنه حضر كربلاء(٢).

وقال العلامة التستري: أما عدم حضوره الطف فأمر مقطوع(٣).

ومن المحتمل وجود شخص آخر اسمه عمر بن علي، قد حضر كربلاء، واستشهد فيها، كما قاله أبو مخنف.. لكنه احتمال يحتاج إلى شاهد.

لا عذر لعمر الأطرف:

وقد لاحظنا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد أقام الحجة على أخيه عمر، بالحديث الذي رواه عمر نفسه له، حيث حدثه أنه مقتول..

ثم زاده الإمام الحسين «عليه السلام» الحديث الذي رواه له أبوه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من أن علياً «عليه السلام» أيضاً مقتول.. وأخبره: بأن تربته وتربة الحسين ستكونان متقاربتين.

(١) نسب قريش لمصعب ص٤٢ والإرشاد للمفيد ص٢٥٩ و (ط دار المفيد) ص١٥٠ وبحار الأنوار ج٤٦ ص١١٣ و ١٢١ وج٤٢ ص٩٣ و ٩١ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٣٠٨ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٦١.

(٢) عمدة الطالب ص٣٦١.

(٣) قاموس الرجال ج٨ ص٢١٤.

وبذلك تسقط نظرية عمر الأطرف حول تقدم حفظ الحياة على أي شيء آخر، وأنه لا بد من تأويل النصوص، لتلائم هذه القاعدة.

فالإمام الحسين «عليه السلام» يقول لأخيه: لا بد من سقوط التأويلات وتلاشي الاجتهادات، ولا مجال للدعوة إلى مبايعة يزيد في أي ظرف كان، فإن ما يخبر به النبي «صلى الله عليه وآله»، والإمام علي، والإمام الحسن «عليهما السلام»، ليس اختراعاً من عند أنفسهم، بل من أخبار جبرئيل للنبي «صلى الله عليه وآله» عن الله تعالى..

الحسين × وأم هاني:

وقال بعضهم:

«إن نساء بني هاشم أقبلن إلى أم هاني عمة الحسين «عليه السلام»، وقلن لها: يا أم هاني، أنت جالسة والحسين «عليه السلام» مع عياله عازم على الخروج؟!

فأقبلت أم هاني، فلما رآها الحسين «عليه السلام» قال: أما هذه عمتي أم هاني؟!

قيل: نعم.

فقال: يا عمة، ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة..

فقالت: وكيف لا آتي، وقد بلغني أن كفيل الأرامل ذاهب عني؟!

ثم إنها انتحبت باكية، وتمثلت بأبيات أبيها أبي طالب «عليه السلام»:

وأبــيض يستســقى الغمـــام ثمـال اليتـامى عصـمة للأرامـل

تطـوف بـــه الهـلاك مــن آل فهـم عنـده فـي نعمـة وفواضـل

ثم قالت: سيدي، وأنا متطيرة عليك من هذا المسير، لهاتف سمعت البارحة يقول:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقابــاً مــن قــريش فــذلت

حبيــب رســول الله لــم يــك أبانـت مصيبته الأنـوف وجلـت

فقال لها الحسين «عليه السلام»: يا عمة، لا تقولي: من قريش، ولكن قولي:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقـــاب المســلمين فــذلت

ثم قال: يا عمة، كل الذي مقدر فهو كائن لا محالة.

وقال «عليه السلام»:

ومــا هـم بقـوم يغلبـون ابـن ولكن بعلم الغيب قد قدر الأمر

فخرجت أم هاني من عنده باكية، وهي تقول:

ومــا أم هــاني وحــدها ســاء خـروج حسين عن مدينـة جده

ولكنما القبر الشريف ومن به ومنبره يبكون من أجل فقده(١)

ونقول:

---

(١) معالي السبطين ج١ ص٢١٤ و ٢١٥.

إننا نرتاب في صحة هذه الرواية لما يلي:

أولاً: إننا لم نعثر لهذه الرواية على مصدر آخر غير كتاب معالي السبطين. **ثانياً:** إن أم هاني تقول للإمام «عليه السلام»: «أنا متطيرة عليك»، فكان يفترض بالإمام أن يسجل ملاحظته هنا، ولو بأن يقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» نهى عن الطيرة. أو يقول: إن الشهادة ليست أمراً يتشاءم منه، بل هي من موجبات الابتهاج والسرور، والفوز والنجاح.

ثالثاً: لو أغمضنا النظر عما تقدم، فإن أصل وجود أم هاني على قيد الحياة حين مسير الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء موضع ريب.. بل هناك تصريحات تدل على خلاف ذلك، فقد قال العسقلاني والمقريزي: قال الترمذي، وغيره: عاشت بعد علي[1].

فلو أنها بقيت إلى ما بعد موت معاوية لكان الأولى أن يقول: عاشت بعد معاوية.. ويشهد لذلك: أن عدداً من المصادر يصرح: بأنها «رحمها الله» ماتت في خلافة معاوية[2].

---

(١) الإصابة ج٤ ص٥٠٣ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٨ ص٤٨٦. وسنن الترمذي ج٣ ص١٨٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص١٤٥.

(٢) تقريب التهذيب ج٢ ص٦٧٣ وشرح الزرقاني على موطأ مالك ج١ ص٥٢٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣ ومعجم الرجال والحديث (تأليف محمد حياة الأنصاري) ج١ ص٢٥٩. وراجع: شرح الأزهار تأليف أحمد

فكيف تقول هذه الحكاية: إنها كانت على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة معاوية؟!

رابعاً: إن ما نسبته الرواية إلى الإمام من تصحيح للشعر الذي أنشدته عمته، ليصبح:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقـــاب المســـلمين فـــذلت

إن هذا التصحيح يوهم: أن نفس هذا القتيل، وهو الإمام الحسين «عليه السلام»، قد تسبب بهذا الإذلال، وهذا باطل جملة وتفصيلاً، فإن قتله «عليه السلام» على يد طواغيت الأمة وشذاذ الآفاق هو الجريمة الكبرى، وكان صبره «عليه السلام»، وإصراره على الموقف الحق هو الذي أعزَّ المسلمين، ورفع رؤوسهم، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى..

أما قولهم «عليهم السلام»: «إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا»(١). فالمراد به الذل بنظر أهل الدنيا. أما في النظرة الصحيحة للأمور، فإن العز كان في نفس هذا الذي أرادوا أن

المرتضى (المقدمة).

(١) الأمالي للصدوق ص١٩٠ وروضة الواعظين ص١٦٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٣٨ وإقبال الأعمال ج٣ ص٢٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٨٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٥٣٨ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٢٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٣٥.

يجعلوه ذلاً. ومهما يكن من أمر، فإن الأصح والأسلم هو الصيغة الأولى، وهو قوله:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً مـن قـريش فـذلت

فإن استشهاد الحسين «عليه السلام» كان سبباً في ذل طواغيت قريش، وعتاتها.

خامساً: إن نفس عزم الحسين على الخروج من المدينة لا يستوجب إقامة مناحة، كيوم موت النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي وفاطمة «عليهما السلام»، لاسيما إذا كان الهدف هو البحث عن مأمن، أو البحث عن موجبات القوة والامتناع..

ومجرد التطير من المسير لا يجدي إذا كان يحمل معه قدراً أكبر من التفاؤل.. فإن أحداً لا يستطيع أن يدَّعي: أن المدينة موضع أمن وسلام للحسين، لاسيما مع تأكيدات يزيد المتعاقبة على واليه بقتله «عليه السلام»، وإرسال رأسه إليه..

الحسين × يودع أم سلمة:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

ووجدت في بعض الكتب: أنه «عليه السلام» لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة «رضي الله عنها»، فقالت: يا بنيَّ لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدَّك يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، [زاد في نص آخر قوله: وعندي تربتك في قارورة دفعها إلي النبي «صلى الله عليه

وآله»[١]].

فقال لها: يا أُمَّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي، وقرابتي، وشيعتي، وإن أردت يا أمَّاه أريك حفرتي ومضجعي.

ثم أشار «عليه السلام» إلى جهة كربلاء، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه، ومدفنه، وموضع عسكره، وموقفه ومشهده.

فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً، وسلّمت أمره إلى الله.

فقال لها: يا أمّاه قد شاء الله عزَّ وجلَّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً، ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي، ورهطي، ونسائي مشرَّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيَّدين، وهم يستغيثون، فلا يجدون ناصراً ولا معيناً.

وفي رواية أخرى: قالت أم سلمة: وعندي تربة دفعها إلي جدك في قارورة.

فقال: والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً.

ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة، وأعطاها إياها، وقال: اجعليه مع

---

(١) راجع: مقتل الحسين «عليه السلام» للسيد عبد الرزاق المقرم ص١٥٢.

قارورة جدي، فإذا فاضتا دماً، فاعلمي أني قد قتلت(١).

ثم قال المفيد «رحمه الله»: «فسار الحسين إلى مكة وهو يقرأ: **(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**(٢)»(٣).

ذخائر الإمامة عند أم سلمة:

وعن الحسين «عليه السلام»: إن الكتب كانت عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلما سار إلى العراق استودعها أم سلمة.

فلما مضى كانت عند الحسن «عليه السلام».

فلما مضى كانت عند الحسين «عليه السلام».

وحين مضى الحسين إلى العراق أودع عندها كتب علم أمير

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣١ و ٣٣٢ والعوالم ج١٧ ص١٨٠ و ١٨١ وراجع: مقتل الحسين للمقرم ص١٥٢ ولواعج الأشجان ص٢٩ و (نشر بصيرتي سنة ١٣٣١هـ) ص٣١ ومدينة المعاجز (ط حجرية) ص٢٤٤ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية سنة ١٤١هـ) ج٣ ص٤٨٩ ـ ٤٩٢ والخرائج والجرائح ج١ ص٢٥٣ و ٢٥٤ وراجع: الهداية الكبرى ص٢٠٣ والثاقب في المناقب ص٣٣٠ و ٣٣١ وينابيع المودة ج٣ ص٦٠ .

(٢) الآية ٢١ من سورة القصص.

(٣) الإرشاد للمفيد ص٢٢٣ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ج٢ ص٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ والعوالم ج١٧ ص١٨١ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٠ ص٥٣.

المؤمنين «عليه السلام»، وذخائر النبوة، وخصائص الإمامة، فلما قتل «عليه السلام»، ورجع علي بن الحسين «عليه السلام» دفعتها إليه(١).

وفي رواية أخرى: كتب الحسين «عليه السلام» وصيته وأودعها أم سلمة، وجعل طلبها منها علامة على إمامة الطالب لها من الأنام، فطلبها زين العابدين «عليه السلام»(٢).

ونقول:

طلب الودائع علامة الإمامة:

لم يصرح الإمام الحسين «عليه السلام» حتى لأم سلمة باسم الإمام بعده، بل أبقى اسمه مكتوماً، ولم تستطع أن تعرفه إلا بعد استشهاد أبيه «صلوات الله عليهما».

---

(١) راجع: العيون العبرى لإبراهيم الميانجي ص٢١ والغيبة للطوسي (ط تبريز سنة ١٣٢٣هـ) ص١٢٨ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية سنة ١٤١١هـ) ص١٩٥ والصراط المستقيم ص١٦١ وبحار الأنوار ج٤٦ ص١٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣٠ ص٣٢٢ و (الإسلامية) ج٢٠ ص١٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٧٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٣٠٨ وعن إثبات الهداة ج٥ ص٢١٤ والكافي ج١ ص٣٠٤ والوافي ج٢ ص٣٤٣ ومرآة العقول ج٣ ص٣٢١ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٤٠ وإعلام الورى ص١٥٢ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة ١٤١٧هـ) ج١ ص٤٨٣.

(٢) الصراط المستقيم ص١٦١.

فهو بهذا الكتمان يكون قد أسهم في حفظ حياة الإمام الذي لو تداول الناس اسمه، وطرق مسامع أعدائه فلن يسلم من سيوفهم في كربلاء.

الحسين × يخبر عن مصيره:

ذكر النص المتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» بعد أن سمع من أم سلمة خبر استشهاده في العراق، وأنها قد سمعت ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. قال لها «عليه السلام»: «يا أماه، وأنا ـ والله ـ أعلم ذلك. وإني مقتول لا محالة».

وتقدم: أنه أخبر أخاه عمر الأطرف أيضاً: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر بقتله وقتل أبيه «عليه السلام»، بالإضافة إلى العديد من النصوص التي تدخل في هذا السياق.

ونريد أن نسجل هنا: أن هذا لا يعني أنه «عليه السلام» قد ساهم بإخباراته هذه بإفشال حركته، باعتبار أن إخباره الناس عن مصيره هذا سوف يدعوهم للتريث في الإقدام على نصرته. فلا تبقى فائدة من حركته، ولا أثر لدعوته الناس إلى الالتحاق به. بل قد يعتبرون أن دعوته هذه، لا تخلو من التغرير بهم.

ويجاب:

أولاً: إن إخبار أم سلمة، وعمر الأطراف، وغيرهما من الأشخاص لا يعني شيوع هذا الأمر في الناس. فلعله بقي محصوراً في الدائرة الضيقة التي أراد منها «عليه السلام» أن تكون على علم

بهذا الأمر.. لكي تتهيأ نفسياً وعملياً لمواجهته بالنحو اللائق والمجدي.

ثانياً: إنه لا يجب على الإمام والنبي، أن يرتب الأثر على الغيوب التي يكشفها له الله تعالى بواسطة غير متعارفة، ولا تقع تحت اختيار سائر الناس، كالوحي، أو بواسطة إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة، أو بواسطة، أو وسائط.

كما أنه «عليه السلام» لا يرتب الآثار، ولا يحاسب الناس على الغيوب التي يكشفها الله له بطرق غير عادية ليست في متناول أيدي سائر الناس. فهو لا يقطع يد السارق، ولا يقتل القاتل، أو يجلد الزاني، إذا علم بفعلته من طريق الوحي، أو من خلال علم الشاهدية، أو بإخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» مثلاً.

وهذه الأخبار الغيبية التي تعرف بالوحي، أو بإخبار الرسول عن الغائبات إنما يستفاد منها في مواقع التحدي، فتكون من أهم وسائل إثبات النبوة أو الإمامة. كما أن ما يعلمه النبي والإمام من خلال مقام الشاهدية له على الأمة، إنما يراد به إظهار الحق، وإقامة الحجة على الخلق بهدف إجراء سنة العدل وغير ذلك من الشؤون المرتبطة بالآخرة..

ثالثاً: بناء على ما ذكر آنفاً، نقول:

إن ما أخبر به الله ورسوله عن استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» لا يسقط التكليف عن الناس، ولا يسمح لهم بخذلان نبيهم أو إمامهم، وتمكين الجبابرة من قتله، لأن هذه الإخبارات لا يقصد بها

إعفاء الناس من واجباتهم، بل يقصد بها الإخبار عن معصيتهم، وجرئتهم على الله، وخذلانهم لنبيهم وإمامهم، وتحذيرهم من ارتكابهم الجرم الكبير، وأن فعلهم هذا سوف يؤدي بهم إلى البوار والهلاك.

ويؤكد ذلك: أن حفظ النبي، والإمام ونصرته، ورد عدوان الظالمين عليه، والتسبب بتصعيب وصولهم إلى مبتغاهم هو أمر تقضي به العقول، وتحكم به الشرائع. ولا يعذر القادر عليه، ومن توجه التكليف الإلهي إليه بالتخلي عنه.

ولو علم الطواغيت أن الناس سوف يستجيبون لحكم عقولهم، ولقضاء شرعهم، لترددوا كثيراً وكثيراً جداً، وربما قرروا صرف النظر عما عقدوا العزم عليه.

رابعاً: ليس لأحد أن يدَّعي: أن هذه الإخبارات هي التي منعته من القيام بواجبه الشرعي والعقلي. وذلك لحاكمية قانون البداء على هذه الأخبار. إذ لا أحد يستطيع أن يدَّعي أنها إخبار عن اللوح المحفوظ، وأم الكتاب، فإن الله تعالى قد يخبر عن مسار الأمور بحسب ظواهرها، ومقتضياتها المعروفة، ولكن لعل هناك موانع تظهر لتمنع من تأثير ذلك المقتضي.

فإذا شب حريق مثلاً في منطقة واسعة، واقترب من المواضع المهمة، وتيقن الناس من أن ذلك الموضع سوف يحترق لا محالة. فقد يأتي مطر، أو سيل مفاجئ يطفئ ذلك الحريق، ويتبدل ذلك اليقين بيقين آخر..

وهنا نقول:

لعل ظواهر الأحوال تعطي الانطباع: بأن الحسين «عليه السلام» سوف يقتل، نتيجة تخاذل الأمة عنه، وخذلانها له.. ولكن من الذي قال: لو قرر ألف شخص مثلاً نصرته «عليه السلام» أن الأمور لا تنقلب رأساً على عقب، ويتبدل ذلك اليقين بيقين آخر، ويتحقق النصر، على أيدي هذه القلة، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والشواهد في حروب النبي «صلى الله عليه وآله» الدفاعية كثيرة.

حتمية الإستشهاد:

ولعلك تقول: إن هذا البيان لا يتلاءم مع تأكيد الحسين «عليه السلام» لأم سلمة، على أن قتله «عليه السلام» محتوم.

ونجيب:

أولاً: من الذي قال: إن هذا النوع من الأخبار كان قد شاع وذاع بين الناس؟! فلعله بقي محصوراً في دائرته الضيقة، كأم سلمة، وخواص الخواص من المؤمنين الذين يهمهم امتثال ما يأمرهم الله تعالى به، ولا ينظرون إلى نتائجه.

ثانياً: ذكرنا آنفاً: أن الإخبار بحتمية قتل الحسين «عليه السلام»، يستند إلى علم الله بعصيان الناس ما يأمرهم الله به، ولا يقتضي الجبر الإلهي لهم، ومنعهم عن القيام بواجبهم العقلي والشرعي.

ثالثاً: من الذي قال للناس: إن استشهاد الحسين «عليه السلام»

سيكون في نفس مسيره هذا وحربه هذه، فلعله يكون في حرب أخرى تأتي بعد عشرين سنة، أو أقل، أو أكثر.. كما أن الحسين «عليه السلام» نفسه لم يقل لأحد أنه سوف يقتل في نفس مسيره هذا. وخطبته في مكة التي قال فيها: «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة» ليست صريحة في ذلك، وإن كان فيها ذكر للموت، والسبي والقتل، ـ إن كان قد قال ذلك على رؤوس الأشهاد، ولم يقتصر الأمر على أخيه ابن الحنفية ـ ولكنها كلها قد جاءت في صيغ مطلقة، تحتمل هذا وذاك كما سنرى..

رابعاً: قلنا: إن قانون البداء يبقى هو الحاكم، فلا يحق لأحد صرف النظر عنه.. ولاسيما فيما يرتبط بحدوث الإستشهاد للحسين «عليه السلام» في خصوص هذا المسير.

وفائدة الاعتقاد بالبداء هنا: أن يقدم الإنسان على خوض الحرب دفاعاً عن الدين وعن الإمام، ولديه أمل بالنصر، ولا يكون في منأى عن مقام الشهادة. ولو لم يكن بداء وسمع هذه الأخبار، فإنه يفقد الأمل بالنصر، ويكون عليه أن يعد نفسه للإقدام على الموت المحتم. وهذا أمر تصعب مواجهته، ويحاول الإنسان أن يبتعد عنه..

الفصل الثاني:

الحسين × في وداع ابن الحنفية..

قارورة الحسين ×:

تقدم: أن الحسين «عليه السلام» بعد أن أخبرته أم سلمة بالقارورة والتربة التي أعطاها إياها الرسول «صلى الله عليه وآله». وبما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» لها عن قتله «عليه السلام» بالعراق، في كربلاء، أقدم «عليه السلام» على أمرين:

أحدهما: أنه أشار إلى جهة كربلاء، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه، ومدفنه، وموضع عسكره، وموقفه ومشهده، ليكون هذا التصرف الإعجازي هو الدليل المقنع لها بصحة ما يخبرها به مما يجري عليه، وليكون ذلك من دلائل إمامته، وإن له ما لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من التصرفات.

الثاني: إنه أودع عندها تربته في قارورة لكي ترى معجزة أخرى له، من حيث دلالتها على ساعة قتله، حين تفيض دماً في تلك اللحظة.

وهذه المعجزة الأخرى من شأنها: أن تؤكد لأم سلمة، وسواها دلالة المعجزة الأولى ومعناها ومغزاها، لكي يمنع عنها الوسوسات والخيالات الشيطانية الباطلة، التي قد تثير الشك والشبهة في أن يكون

ما جرى لها من رؤية أرض كربلاء، وغير ذلك كان بسبب الإيحاء والتأثير النفسي عليها، ولم يكن أمراً واقعياً، ولا حقيقياً.

فوجود التربة في القارورة عندها يمنع من تسرب أمثال هذه الخيالات إلى الأذهان، فإذا فاضت دماً في الساعة المعهودة والمقررة قطع الشك باليقين، وهو المطلوب.

الحسين × وابن الحنفية:

وقالوا:

إنه في وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمد ابن الحنفية، فلما جاء قال: يا أخي فدتك نفسي! أنت أحب الناس إلي، وأعزهم علي، ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق وليس أحد أحق بها منك، لأنك كنفسي وروحي، وكبير أهل بيتي، ومن عليه اعتمادي، وطاعته في عنقي، لأن الله تبارك وتعالى قد شرفك، وجعلك من سادات أهل الجنة. وإني أريد أن أشير عليك برأيي فاقبله مني.

فقال له الحسين «عليه السلام»: قل ما بدا لك!

فقال: أشير عليك أن تنجو بنفسك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار ما استطعت، وأن تبعث رسلك إلى الناس وتدعوهم إلى بيعتك، فإني إن بايعك الناس وتابعوك حمدت الله على ذلك، وقمت فيهم بما يقوم فيهم النبي «صلى الله عليه وآله»، والخلفاء الراشدون المهديون من بعده حتى يتوفاك الله، وهو عنك راض، والمؤمنون كذلك، كما رضوا عن أبيك وأخيك، وإن أجمع الناس على غيرك

حمدت الله على ذلك.

(وفي الطبري، وابن الأثير: لم ينتقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك).

وإني خائف عليك أن تدخل مصراً من الأمصار، أو تأتي جماعة من الناس فيقتتلون، فتكون طائفة منهم معك، وطائفة عليك، فتقتل منهم.

فقال له الحسين «عليه السلام»: يا أخي! إلى أين أذهب؟!

قال: أخرج إلى مكة، فإن اطمأنت بك الدار، فذاك الذي تحب وأحب، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأخيك وأبيك، وهم أرأف الناس، وأرقهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن اطمأنت بك أرض اليمن وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد، لتنظر ـ (وفي الطبري، وابن الأثير: حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس. وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأياً، وأحزمه عملاً، حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون عليك الأمور أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً) ـ ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.

فقال الحسين «عليه السلام»: يا أخي! والله ! لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية أبداً.

وقد قال «صلى الله عليه وآله»: اللهم لا تبارك في يزيد.

فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى الحسين «عليه السلام»

معه ساعة، ثم قال: جزاك الله يا أخي عني خيراً! لقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفقا مسدداً، وإني قد عزمت على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي، وبنو إخوتي، وشيعتي، وأمرهم أمري، ورأيهم رأيي.

وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخف علي شيئاً من أمورهم(١).

ونقول:

ملاحظات يسيرة:

١ ـ إن أول ما يطالعنا في هذا الحوار هو هذا التوهج العاطفي لدى محمد ابن الحنفية، تجاه أخيه الإمام الحسين «عليه السلام»، وخضوعه الظاهر لإمامته، فلاحظ قوله: «من عليه اعتمادي، وطاعته في عنقي».

٢ ـ ما أشار به ابن الحنفية ينضح بالعقل، والدراية، والحكمة. وهو يدل على معرفته العميقة بأخلاق الناس، وميولهم، وأحوالهم.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٠ و ٢١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٧ و ١٨٨ وقريب منه في: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ و ١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٢٦ وراجع: روضة الواعظين ص١٩٠ وأعلام الورى ج١ ص٤٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٨.

٣ - إن الحسين «عليه السلام» قد أثنى على مشورة أخيه، ووصفها بما يلي:

ألف: إنها مشورة صائبة، وصحيحة.

ب: إنها من ناصح صادق..

ج: هي رأي موفق ومسدد..

الحسين × يقبل وصية أخيه:

يبدو: أنه «عليه السلام» لم يخالف وصية أخيه المتقدمة، بل سار في نفس الإتجاه، حيث لم يكن هناك خيار أفضل منه يحفظ المسار نحو الأهداف النهائية، ويحقق النتائج المتوخاة. فقد ذهب إلى مكة أولاً كما قال ابن الحنفية، ثم جاءه اثنا عشر ألف كتاب من أهل العراق، وفيها كتب تحمل توقيع الإثنين، والثلاثة وأكثر من ذلك.. ولم يحتج إلى الذهاب إلى اليمن، أو إلى غيره..

وقد تفرض حركة الواقع تعذر بعض الخيارات، وصرف النظر عن بعض الخطط التي يشير بها العقلاء والحكماء.

وحين دهمه الخطر في مكة، كان اختياره العراق أمراً حتمياً.. لأن أي بلد آخر سواه كان يحمل معه أخطاراً حقيقية على الأهداف التي يتوخاها من حركته.

وسيأتي إن شاء الله توضيح ذلك حين الحديث عن تركه مكة، وتوجهه نحو العراق..

لا تناقض في كلام الحسين ×:

وقد يتوهم متوهم: أن في الكلام المتقدم للحسين «عليه السلام» قدراً من عدم الانسجام، فبينما نجده يقول لأخيه بضرس قاطع: لقد نصحت، وأشرت بالصواب.. نراه يعقب على ذلك مباشرة بقوله: وأنا أرجو أن يكون ـ إن شاء الله ـ قولك موفقاً مسدداً..».

فالحكم بأنه الرأي الصواب ـ لا يتلاءم مع رجاء كونه رأياً موفقاً ومسدداً، فإن هذا يحمل في طياته احتمال أن لا يكون كذلك..

ونجيب:

بأن الرأي الصواب في نفسه قد لا تتوفر له ظروف التحقق والنجاح.. بل يحتاج إلى توفيق وتسديد. وهما مما لا ربط لهما بصوابية الرأي وعدمه، بل لهما ارتباط بمصالح العباد، وباستحقاق العامل بالرأي للطف الإلهي، وأهليته لتسديده تعالى.

ولا شك في أن الإمام الحسين مسدد ومؤيد من الله تعالى، ولكن من الذي قال: إن مصلحة العباد تقضي بضرورة التدخل الإلهي لتحقيق جميع تفاصيل الرأي الصواب. فقد لا يصح التدخل الإلهي فيها، لأنها من أفعال العباد التي جعل الله لهم الخيار فيها، أو لعل هناك خياراً آخر أعظم أثراً في تحقيق مصالح العباد، وما إلى ذلك.

سيرة الخلفاء الراشدين المهديين:

وقد قال ابن الحنفية لأخيه «عليه السلام»: «وقمت فيهم (أي في الناس) بما يقوم فيهم النبي «صلى الله عليه وآله»، والخلفاء

الراشدون المهديون من بعده حتى يتوفاك الله، وهو عنك راض».

فقد يشكك البعض في صحة هذه الفقرة عن الخلفاء، ويقول: هي مقحمة من قبل أصحاب الأهواء لحاجة في أنفسهم. وربما يستدل على قوله هذا.

أولاً: إن هذه الفقرة لم تذكر في طائفة من المصادر(١)، بل ذكرها ابن أعثم، وربما وردت لدى بعض آخر أيضاً(٢).. وعدم ذكرها في أكثر المصادر يصبح قرينة على الإقحام المتعمد الذي أشرنا إليه.

ثانياً: إن سيرة الخلفاء بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ باستثناء علي «عليه السلام» ـ لم تكن موضع تأييد من علي «عليه السلام»، وأبنائه الطاهرين، وسائر بني هاشم، ومن تابعهم، بل هي موضع نقد ورفض منهم.

ثالثاً: إن إطلاق مصطلح «الخلفاء الراشدين» على الذين تولوا الحكم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي «عليه السلام» أمر حدث في وقت متأخر من الزمان..

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٧ و ١٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٨.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٦.

ونجيب بما يلي:

ألف: إنه لا شيء يدل على أن ابن الحنفية قد أراد بكلمة «والخلفاء الراشدون المهديون من بعده» هو استعمال المصطلح الذي وضعوه للدلالة على خصوص الخلفاء الأربعة، إذ إن نفس هذه العبارة لها معنى قائم بنفسه، كسائر العبارات أمثالها، فيكون المراد هو كل ما انطبق عليه عنوان خليفة راشد، عامل بالهدى، ملتزم بالضوابط الشرعية والعقلية والفطرية، وما هو وفق الحكمة والسداد، والصلاح والرشاد.

فإذا انطبق هذا الوصف على من يأتي بعد ألف سنة مثلاً، فلا مانع من أن يكون مقصوداً أيضاً.

قال بعض الإخوة الأفاضل:

١ ـ ويؤيد ذلك: ما جاء في كلام ابن الحنفية من قوله: «وقمت فيهم بما يقوم فيهم النبي الخ..» حيث جاء بالفعل المضارع، ولم يقل: بما قام، ليدل على أن المقصود القيام بما هو وظيفة، لا ما قام به فعلاً النبي ومن تقدموا، والأئمة الراشدون من بعده.

٢ ـ ويؤيده أيضاً بل يدل عليه: ما جاء في حقهم «عليهم السلام» في الزيارات، كالجامعة الكبيرة، من أنهم «الأئمة الراشدون المهديون الخ..».

ومن هذا الباب قول الإمام «عليه السلام» في وصيته الآتية لمحمد ابن الحنفية: «وأسير بسيرة جدي وأبي علي، وسيرة الخلفاء

الراشدين المهديين».

ب: قلنا: إنه لا دليل على أن الوصف بالخلفاء الراشدين مخترع في وقت متأخر، فقد روى غير الشيعة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قوله «صلى الله عليه وآله»: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي(١).

وقد ظن بعضهم: أن المراد بهذا الحديث ـ لو صح ـ هو الخلفاء الأربعة، وهذا غير دقيق، فهناك روايات أخرى دلت على المراد منه، فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله في الأرض، وخليفة رسوله(٢).

---

(١) راجع: الثقات لابن حيان ج١ ص٤ والمعجم الكبير ج١٨ ص٢٤٧ والمستدرك للحاكم ج١ ص٩٦ والسنة لابن أبي عاصم ص١٩ و ٢٠ ومسند الشاميين ج٣ ص١٧٣ ونهاية السؤول ج٣ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وسلم الوصول ج٤ ص٤١٠ وأصول السرخسي ج١ ص١١٦ وإرشاد الفحول ص٣٣ والإحكام للآمدي ج٤ ص٢٠٤ وحياة الصحابة ج١ ص٢ وكشف الغمة للشعراني ج١ ص٦ وموارد الظمآن ج١ ص٢٠٥ والعهود المحمدية للشعراني ص١٧ و ٦٣٥ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١ ص١٧٣ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٤٥ وكشف الخفاء ج٢ ص٢٠٦ وعمدة القاري ج٢٣ ص٢٦٦ والكافي لابن عبد البر ص٧٤ وجامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٩٠ والإحكام لابن حزم ج٦ ص٨٠٣ والمستصفى للغزالي ص١٦٩ والمحصول للرازي ج٤ ص١٧٥.

(٢) مستدرك الوسائل ج١٢ ص١٧٩ عن لب اللباب، والأحكام ليحيى بن

وعنه «صلى الله عليه وآله»: رحم الله خلفائي.

فقيل: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟!

قال: الذين يحيون سنتي، ويعلمونها عباد الله(١).

وفي رواية أخرى قال: الذين يأتون بعدي ويروون حديثي وسنتي(٢).

ج: ومع غض النظر عن ذلك كله، فلا شيء في الحديث يدل على أن المراد بكلمة من بعدي هو البعدية المباشرة. بل قد يكون

الحسين ج٢ ص٥٠٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٣٨٤ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٥٣ وج٧ ص١٨٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٢١٣ ومجمع البيان ج٢ ص٣٥٩ والكامل لابن عدي ج٦ ص٨٤ وميزان الإعتدال ج٣ ص٤٠٠ ولسان الميزان ج٤ ص٤٨١.

(١) بحار الأنوار ج٢ ص٢٥ وراجع ص١٤٤ و ١٤٥ ومنية المريد للشهيد الثاني ص١٠١ و ٣٧١ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٥٣ والمحجة البيضاء ج١ ص١٩ وراجع: هداية الأمة للحر العاملي ج٨ ص٣٧٨ وج١ ص٣٠ والأمالي للصدوق ص٢٤٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٤٢٠ وغوالي اللآلي ج٤ ص٥٩ و ٦٤ والرياض النضرة ج١ ص٥٧ وروضة المتقين ج٦ ص٢ والوافي ج١ ص١٤٦ ومستند الشيعة ج١٠ ص١٣٦ وج١٧ ص٢٠ والفوائد الطوسية ص١١٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص٩١ و ١٣٩ و (الإسلامية) ج١٨ ص٦٥ و ١٠١ وبحار الأنوار ج٨٦ ص٢٢١.

الخليفة الراشد هو الرابع أو الخامس، أو من سيأتي بعد عشرات السنين.

د: كما لا دليل فيه على أن مراده «صلى الله عليه وآله» هو خصوص الأربعة، بل مراده كل من كان راشداً في جميع أموره. ولو كانوا عشرة أو أكثر أو أقل، ولا يكون كذلك إلا من كان معصوماً، ومسدداً، ومؤيداً.

ويشهد لما نقول:

أن الروايات الواردة عن النبي «صلى الله عليه وآله» والتي يصف فيها علياً وسائر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» بأنهم خلفاؤه. تدل أيضاً على أن مقصوده بسنة الخلفاء الراشدين هو خصوص الأئمة «عليهم السلام»، لأنهم هم المعصومون الذين يصح جعل الحجية لسنتهم، واعتبارها مثل سنة الرسول «صلى الله عليه وآله».. وعدلاً للقرآن كما هو مقتضى حديث الثقلين.

كن لي عيناً:

وتقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لأخيه محمد ابن الحنفية: «وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عينا عليهم، ولا تخف علي شيئا من أمورهم».

ويستفاد من هذا النص أمور:

أحدها: أن على الإنسان أن يكون على علم دقيق بكل تحركات أعدائه، كما دل عليه قوله لأخيه: ولا تخف شيئاً من أمورهم، والمراد

بها الأمور التي لها ارتباط بالشأن العام، وبالقضية التي هي محور النزاع والصراع. لا الأمور الشخصية، والعائلية الخاصة جداً، والتي لا مساس لها بما هو موضع الأخذ والرد.

ومعرفة تحركات الخصوم وتدبيراتهم وخططهم، تمنحه القدرة على تحاشي المفاجأت، والتحرز من الضربات القاصمة، والوقوع في أفخاخ المؤامرات والتدابير الخفية الماكرة..

الثاني: إن هذا يدل على أن ما جرى في المدينة بين الإمام الحسين «عليه السلام»، وبين الوليد ومروان كان بمثابة إعلان حرب استباقية من أركان الحكم الأموي على الإمام الحسين «عليه السلام»، وقد سمع «عليه السلام» ورأى بأم عينيه شدة حرص مروان على سفك دمه.. ولعل مضامين رسائل يزيد للوليد الآمرة له بقتله «عليه السلام»، قد وصلت إلى مسامع الإمام أيضاً.

ومن حق من يرى أنه يتعرض لخطر القتل: أن يحذر، وأن يعمل على أن لا يكون عدوه هو المتحكم بقراره وبمصيره بصورة تامة، ومطلقة، أو أن يخضعه لإرادته، وأن يعمل على ابطال تدبيره، ورد كيده إلى نحره.

والإمام الحسين «عليه السلام» وإن كان يعلم أنه مقتول لا محالة، ولكنه يريد أن لا يكون هذا القتل سبباً في طمس معالم الدين، كما يريد يزيد وبنو أمية، بل يريد أن يجعل من شهادته سبباً في عزة الدين، وقوته، وانطلاقته في الأمة من جديد.

ولأجل ذلك كان يريد أن يكون هو الذي يختار، مكان الاستشهاد، ويهيئ ظروف الفضيحة ليزيد وسائر بني أمية، وأن لا يدع أية فرصة لهم لتشويه الحقيقة وطمسها، وأن يمنع من تأثير الشائعات الخبيثة، والاتهامات والأباطيل الرديئة، والدنيئة، التي تحاول تبرئتهم من جرائمهم، وتحسين وتلميع صورتهم بعد كل هذا الذي ارتكبوه في حق الإسلام وأهله.

الثالث: إن الأمر الذي أصدره الإمام الحسين «عليه السلام» لابن الحنفية: بأن يكون له عيناً في المدينة، يجعل ابن الحنفية مشاركاً فعلاً في حفظ أهداف كربلاء، ويعطي التفسير المعقول لسبب تخلفه عن حضور المعركة، والاستشهاد. كما سيتضح إن شاء الله تعالى..

ابن الحنفية وكربلاء:

ويلاحظ:

أولاً: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد خاطب أخاه بما يدل على أنه يرخص له بالبقاء في المدينة، لإنجاز مهمة أوكلها إليه، فقد قال له: «لا عليك أن تقيم الخ..».

ولم يقل له: أقم في المدينة، وافعل كذا، فقد تحاشى هذه الصيغة التي تفيد الحتم والجزم، وعدم الخيار، لأنه:

ألف: يريد أن يكون رفيقاً بأخيه.

ب: يريد أن ينيله ثواب الاختيار للطاعة، الذي لا تشوبه شائبة الشعور بالإلزام من قبل إمامه الذي يرى وجوب طاعته.

ج: إن هذا النص يدفع الطعن الذي يحاول البعض توجيهه إلى ابن الحنفية، بحجة تخلفه عن نصرة أخيه في كربلاء.. فإنه تخلف عنه بأمر منه «عليه السلام».. إلا أن يقال: إنه «عليه السلام» قد جعل أخاه محمداً عيناً له في المدينة، وبعد ذلك ارتفعت الحاجة إلى ذلك..

وقد يناقش فيما يدَّعى من ارتفاع الحاجة إلى ذلك، فإن (الأشدق) انتقل من مكة إلى المدينة، وجهَّز السرايا للقبض على ابن الزبير الذي كان قد خرج من مكة إلى المدينة.

ثانياً: روى المبرد: أنه قد جيء بدرع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فطلب «عليه السلام» من ولده محمد ابن الحنفية أن يقصرها، فأخذها وجمعها بكلتا يديه، وجذبها، فقطع الزائد من الموضع الذي حدَّه له أبوه، وكان ابن الزبير يحسده على قوته هذه، وإذا ذكرت عنده هذه القضية اعتراه أفكل (أي رعدة)(١).

لكن ابن طاووس نقل عن أبي مخنف: أن هذه القضية قد حصلت لابن الحنفية في درع من نسج داود أهديت لأخيه الحسين «عليه السلام»، فأصابته نظرة، فصارت أنامله تجري دماً مدة، ولهذا لم يخرج مع الحسين «عليه السلام» يوم كربلاء، لأنه ما كان يقدر أن يقبض

---

(١) الكامل في الأدب للمبرد ج٣ ص٢٦٦ والوافي بالوفيات ج٤ ص٧٦ والجوهرة في نسب علي وآله ص٥٩ والدر النظيم ص٤٣٩ وربيع الأبرار ج٣ ص٣٢٥.

قائم سيف، ولا كعب رمح(١).

قالوا: فأصابته عين بسبب ذلك، فخرج بيده خرّاج، وعطل يده(٢).

وقال ابن نما: أصابته قروح من عين نظرت إليه، فلم يتمكن من الخروج مع الحسين «عليه السلام»(٣).

وقال الحلي: نقل أنه كان مريضاً(٤).

غير أن من الواضح: أن من تعطلت يده يبقى قادراً على أن يكون عيناً للحسين «عليه السلام» على أعدائه.

ثالثاً: روي عن محمد ابن الحنفية قوله عن أصحاب الإمام الحسين «عليه السلام»: «وإن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم»(٥).

---

(١) الملهوف ص١٦٤ وكتاب حكاية المختار في أخذ الثار برواية أبي مخنف (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٣ وعن: معالي السبطين ج١ ص٢٢٩ وأسرار الشهادة ص٢٤٦ ومقتل الحسين ومصرع أهل بيته ص٦١ .

(٢) زهر الربيع (ط دار العماد) ص٤٨٩.

(٣) أخذ الثأر لابن نما ص٨١.

(٤) أجوبة المسائل المهنائية ص٣٨ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١١٠ والأنوار العلوية ص٤٣٨.

(٥) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٥٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢١١ ومدينة المعاجز ج٣ ص٥٠٣ و ٥٠٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٨٥ ومستدرك

رابعاً: روى الصفار بسنده عن حمزة بن حمران قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: يا حمزة، إني سأحدثك في هذا الحديث، ولا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا. إن الحسين لما فصل متوجهاً دعا بقرطاس وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى بني هاشم..

أما بعد، فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح. والسلام(١).

كأنه «عليه السلام» أراد أن يصرف عنان الكلام إلى ما هو أجدى، وأعظم نفعاً. فهو يقول لنا: لا فائدة من البحث عن أعذار الأشخاص الذين تخلفوا عن كربلاء، لأن الأمر يبقى محصوراً بالشخص وحالاته، ومشكلاته، ولعلنا لا نصل إلى نتيجة في كثير من

سفينة البحار ج٦ ص٢٠١ وإبصار العين في أنصار الحسين ص١٣.

(١) بصائر الدرجات ج١ ص٤٨١ و (ط الأعلمي سنة ١٤٠٤هـ) ص٥٠١ و ٥٠٢ ومختصر بصائر الدرجات ص٦ ودلائل الإمامة ص١٨٧ و ١٨٨ ونوادر المعجزات ص١٠٩ و ١١٠ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٦١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣١٨ والدر النظيم ص٥٣٢ والملهوف ص٤٠ و ٤١ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٨١ وج٤٥ ص٨٤ و ٨٥. وراجع: مثير الأحزان ص٢٧ والخرائج والجرائح ج٢ ص٧٧١ و ٧٧٢ وذوب النضار ص٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤٦.

الأمور، لأسباب مختلفة. ولكننا نعلم علم اليقين: أن من تخلف عن الحسين «عليه السلام» يكون قد حرم من فوز عظيم، وشرف لا يضاهى، وهو شرف شهادة لا تضاهيها شهادة لمن مضى ومن غبر. فلماذا نشغل أنفسنا فيما لا طائل تحته، وفائدة؟!

هذا الجواب هو من أجل إفهامنا: أن علينا أن نملك المعايير التي تمكننا من تحديد أولوياتنا. كما أن صرف الحديث إلى هذا الجانب يظهر عظمة أصحاب الحسين «عليه السلام»، ويزيد من ارتباط الناس بهم، ومحبتهم لهم، والسعي للتأسي بهم.

خامساً: روي عن علي «عليه السلام» قوله: إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عز وجل.

قلت: ومن المحامدة؟!

قال: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين(١).

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٧٠ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة ١٤٠٤ هـ) ج١ ص٢٨٦ (١٢٥) ومنتهى المقال ج٥ ص٢٩٣ ونقد الرجال للتفرشي ج٤ ص٩٧ وجامع الرواة للأردبيلي ج٢ ص٤٥ ومستدركات علم رجال الحديث للنمازي ج٦ ص٣٧٤ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٥ ص٢٤٧ وقاموس الرجال للتستري ج٩ ص١٩ و ١٥٨ و ٢٤٣ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢٤٢ وج٣٤ ص٢٨٢ والغارات للثقفي ج٢ ص٧٥٢.

وهذه شهادة جميلة وجليلة، وهي تكفي للدلالة على أن ابن الحنفية لو كان قادراً على نصر أخيه بأكثر مما طلبه منه «عليه السلام»، لم يتوان عن ذلك.

وما دمنا قد أشرنا إلى تخلف عمر بن علي عن كربلاء، وإلى سبب تخلف ابن الحنفية عن كربلاء، فإننا نشير إلى تخلف ابن عباس وعبد الله بن جعفر عنها، فإن ثمة من يسأل عن ذلك أيضاً، فنقول:

ابن عباس وكربلاء:

هناك من يتساءل عن سبب عدم حضور ابن عباس في كربلاء، ويعتبر ذلك من أسباب الطعن عليه، ومن موجبات الريب في ولائه لأهل البيت «عليهم السلام».

ويمكن أن يجاب:

أولاً: بأننا لم نجد في تاريخ ابن عباس إلا التسليم، والتعظيم، والتكريم لعلي والحسن والحسين «عليهم السلام»، والدفاع عن مواقفهم، وسياساتهم وقضاياهم.

وقد قال للإمام الحسين «عليه السلام» في أحدى محاوراته: «إن نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى»(١).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٣ ـ ٢٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص ٢٧٨ ـ ٢٨١.

ثانياً: روي: أن الحسين «عليه السلام» قال لابن عباس في أحدى محاوراته معه: «فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه، ولا تخف علي شيء من أخبارك، فإني مستوطن هذا الحرم، ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم»(١).

وهذا إذن صريح منه لابن عباس بالبقاء بالمدينة، مع إيكال مهمة رقابته إليه.

ثالثاً: لقد كف بصر ابن عباس في أواخر عمره،

ويشهد لذلك، بل يدل عليه:

ألف: إنه يقال: إن معاوية عيره بذلك، فقال: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم.

فقال له ابن عباس: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم(٢).

وإنما قال له معاوية ذلك، لأن ثلاثة منهم أصيبوا بالعمى، وهم في نسق واحد، وهم: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فيكون فقده بصره

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص٣٢٥ و (ط٢ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م) ص٥٨٩ والمستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي ص٢٤٧ وربيع الأبرار ج٥ ص٣٧ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٢٢٩ وراجع: إعجاز القرآن للباقلاني ص٨٤ وتفسير السمعاني ج٣ ص٤٤٥ ولسان العرب ج٤ ص٦٥ وتاج العروس ج٦ ص٩١ وعن محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ج٢ ص٢٩٠.

هو الذي منعه من المشاركة في كربلاء، كما يفهم من كلام ابن كثير في البداية والنهاية.

ب: يشهد لذلك أيضاً: أن سعيد بن جبير كان يقوده بعدما كف بصره(١). وقد ذكر مسروق: أن ابن عباس قد كف بصره في آخر عمره(٢)، ومسروق هذا مات سنة ٦٢ أو ٦٣ للهجرة(٣). أي أن بصر ابن عباس قد كف قبل ذلك بمدة كما هو ظاهر لحن الكلام.

ج: يشهد له، بل يدل عليه: ما رواه الشيخ عن ابن عباس، قال: «بينما أنا راقد في منزلي، إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي «صلى الله عليه وآله»، فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها، الرجال والنساء».

ثم ذكر أنها أخبرتهم باستشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» من

(١) تنقيح المقال ج٢ ص١٩١ وشرح الأخبار ج١ ص٤٣٩ وكشف الغمة ج١ ص١٠٧ وكشف اليقين ص٢٣٢ وراجع: فهرست منتجب الدين ص٣٥١ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٢٥ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٢٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٤٣١.

(٢) إختيار معرفة الرجال ج١ ص٢٧٢ وتنقيح المقال ج٢ ص١٩١ وراجع: الأعلام للزركلي ج٤ ص٩٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص٤٧٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٦٨ والغارات للثقفي ج٢ ص٩٠٧ وعمدة القاري ج١ ص٢٢٣ وتحفة الأحوذي ج١ ص٦٣ وقاموس الرجال ج١٠ ص٥٢.

خلال القارورة التي أودعها إياها الرسول «صلى الله عليه وآله»، والرؤيا التي رأتها في ذلك اليوم[١].

فمنزل ابن عباس كان قريباً من منزل أم سلمة حتى لقد سمع الصراخ وهو في بيته، وقد احتاج إلى قائده لكي يوصله إلى بيت أم سلمة، وهذا يؤيد ما قلناه، من أنه كان قد كف بصره..

لأنه لا يحتاج إلى قائد إلا في هذه الحالة، ولو كان ما يشتكي منه ابن عباس هو العجز لاحتاج إلى معين لا إلى قائد كما هو ظاهر.

د: ويشهد لذلك أيضاً قول المسعودي: وكان قد ذهب بصره لبكائه على علي، والحسن والحسين «عليهم السلام»[٢].

وفي بعض النصوص اقتصر على ذكر بكائه على علي «عليه السلام»[٣]، وربما شح بصره أو استمر بالضعف حتى انتهى إلى أن

---

(١) الأمالي للطوسي ص٣١٤ و ٣١٥ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٢٣٠ و ٢٢٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢١٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٥٠٨ و ٥٠٧.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص١٠٨ و (منشورات دار الهجرة سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص١٠١ وشجرة طوبى ج١ ص٤٢ وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج١ ص٢٧١.

(٣) سفينة البحار ج٦ ص١٢٨ عن مدينة الحكمة، وعن تيسير المطالب في آمالي الإمام أبي طالب ليحيى بن الحسين الهاروني (ط بيروت سنة ١٣٩٥ هـ).

يصبح كفيفاً.

عبد الله بن جعفر وكربلاء:

وهناك من يسأل أيضاً عن سبب عدم حضور عبد الله بن جعفر واقعة كربلاء.

ونجيب:

أولاً: بمثل ما تقدم حول ابن عباس، من أن مواقف عبد الله بن جعفر الدالة على إخلاصه لعلي والحسنين «عليهم السلام» كثيرة.

ثانياً: ورد في زيارة الناحية الصادرة عن الإمام العسكري سنة ٢٥٢ هجرية قوله «عليه السلام»:

«السلام على محمد بن عبد الله بن جعفر، الشاهد مكان أبيه، والتالي لأخيه، وواقيه ببدنه، لعن الله قاتله عامر بن نهشل التيمي»(١).

ثالثاً: إن التاريخ لم يكشف لنا تفاصيل حياة عبد الله بن جعفر، لنرى إن كان ما منعه عن حضور كربلاء هو:

١ ـ مرض ألم به؟! كما يقوله الشيخ جعفر النقدي «رحمه الله»

---

(١) راجع: المزار لابن المشهدي ص٤٩١ وإقبال الأعمال ج٢ ص ٨٣ و (ط مكتب الإعلام الإسلامي سنة ١٤١٦هـ) ج٣ ص٧٦ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٦٨ وج٩٨ ص٢٧١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٣٧ ومصباح الزائر ص٢٨٠.

حيث قال: «أما عدم خروجه مع الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء، فقد قيل: إنه مكفوف البصر»(١).

٢ ـ أو أن مسير زوجته السيدة زينب الكبرى «عليها السلام» وعدد من أولاده قد جعله يكتفي بهم عن الحضور بشخصه؟!

٣ ـ أو أن مسيرهم أوجد له موانع عن السفر بنفسه؟!

٤ ـ أو أن ولاة المدينة قد منعوا الهاشميين من الالتحاق بالإمام الحسين «عليه السلام»، وضيقوا عليهم. كما دل عليه محاولة منع الحسين «عليه السلام» نفسه من المسير، كما سيأتي إن شاء الله.

٥ ـ أو أن الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه قد أعفاه من ذلك.

٦ ـ أو أوكل إليه مهمة بعينها..

إن كل ذلك يبقى في دائرة الاحتمال، فلا يمكن الحكم على هذا الرجل الجليل والناصر لعلي وللحسن والحسين «عليهم السلام» بالانحراف، إذا لم نقف على الظروف التي كانت تحيط به.

---

(١) زينب الكبرى ص٨٧.

الفصل الثالث:

وصية الحسين × عند ابن الحنفية..

الوصية والأهداف:

قالوا:

ثم دعا الحسين «عليه السلام» بدواة وبياض، وكتب فيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد ابن الحنفية المعروف، ولد علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

إن الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد «صلى الله عليه وآله».

أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمد «صلى الله عليه وآله»، وسيرة أبي علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين «رضي الله عنهم».

فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، ويحكم بيني وبينهم بالحق، وهو خير الحاكمين.

هذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: ثمَّ طوى الكتاب الحسين، وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ابن الحنفية(١).

ونقول:

هناك أمور ينبغي التوقف عندها، ونذكر منها ما يلي:

لماذا خاطب أخاه فقط؟!:

إن مضمون الوصية ـ كما هو واضح ـ إنما يعني به الأمة كلها في جميع الدهور والعصور ويمس حياتها، ووجودها ومستقبلها.

وهو يتضمن إعلاناً لأهداف حركته العظمى، وليس فيها أية

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٠ ـ ٢٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٨ وذكر هذا النعماني في مصادر أخرى بعضها لم يصرح بسيرة الخلفاء الراشدين، فراجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٩ و ٣٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٩ ولواعج الأشجان ص٣٠ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤١ .

إشارة إلى أي شيء يرتبط بابن الحنفية كشخص، أو بعلاقته به كأخ، وما إلى ذلك..

فلماذا إذن خص «عليه السلام» الخطاب في الوصية بأخيه يا ترى؟!

ويمكن أن يقال في الجواب:

لعل من أسباب توجيه الخطاب إليه هو: أن يعرف الناس أن خطابه «عليه السلام» واحد لجميع الفئات، من قرب منها ومن بعد، لأنه يحمل قضية، ونهجاً، ورسالة وديناً ومسؤولية إلهية، ويراعي مقتضياتها وحاجاتها. ولا يخلط بينها وبين رغباته وحاجاته كشخص، أو لصالح فئة، أو عشيرة، أو طبقة، أو ما إلى ذلك. وما يقوله سراً هو نفسه الذي يقوله جهراً.

ولأجل ذلك جاء خطابه لأخيه صورة طبق الأصل عن الخطاب للناس كلهم.

كما أنه «عليه السلام» لا يفرق في تعامله بين ولده وأخيه وبين أي شخص آخر، مهما كان جنسه أو لونه، أو حاله، حراً كان أو مولى، عربياً أو غير عربي.. ولذا فإنه «عليه السلام» في يوم عاشوراء قبل أن يضع خده على خد ولده حين استشهد، قد وضع خده على خد مولى تركي اسمه واضح، بعد أن صرع في القتال، فاستغاث بالحسين «عليه السلام»، فجاءه وهو يجود بنفسه، ففتح عينيه فرأى الحسين «عليه السلام»، فتبسم.

وفي نص آخر: فقال: من مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي، ثم فاضت نفسه الطاهرة(١).

تأسيس الدين:

ومن جهة أخرى، فلكي نقف على بعض مرامي كلامه «عليه السلام» في هذه الوصية نحتاج إلى بيان أمور تساعدنا على ذلك، فنقول:

إن الناس بعد إسلامهم، وبعد فتح بلادهم كانوا يحبون أن يعرفوا دينهم وأحكامه، وأخلاقه وسياساته، وتاريخ نبيه «صلى الله عليه وآله»، وكل ما يرتبط به.

وكان السبيل الوحيد لهم إلى ذلك هو سؤال من عاش مع الرسول «صلى الله عليه وآله»، ورأى، وسمع، وشارك في كثير من الأمور. والمورد الأبرز والأقرب إليه «صلى الله عليه وآله»، والعارف بالدقائق والتفاصيل، هم أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» بالدرجة الأولى، ثم صحابته الذين عاشوا معه بدرجة تالية، فكانت المدينة محط أنظارهم، وموئل آمالهم. ولكن الأمور قد خرجت لتسير في منحى آخر، وباتجاهات أخرى، لا تبشر بخير، كما سنلمح إليه

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٤٥ ص٣٠ ولواعج الأشجان ص١٤٧ وأعيان الشيعة ج٣ ص٣٠٣ و ٣٠٤ والعوالم ج١٧ ص٢٧٣ وإبصار العين للسماوي ص٨٥ و (الطبعة الأولى سنة١٤١٩) ص٩٦ و ١٤٥.

فيما يلي من فقرات.

الإستيلاء على الخلافة:

من المعلوم: أنه من لحظة رحيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذه الدنيا، وقبل أن يدفن تم الإستيلاء على مقام الحكم بعده «صلى الله عليه وآله». وهذا قد أوجد ظروفاً ومناخات ليست طبيعية.

بل قد نشأت عنها كوارث حلت بالدين وأهله، وغيرت مسار الأمور باتجاهات عشوائية ومؤذية للدين وأهله، ولا تزال إلى يومنا هذا.

وأهم ما في الأمر: أن الحكام الجدد، وجدوا أنفسهم أمام متطلبات محرجة لهم، تفرض عليهم إيجاد حلول ومعالجات ومخارج لأنفسهم منها.

ومن أهمها: أن ذلك قد كرس انقساماً عميقاً، وتمايزاً تنامى وتطور، وأصبح له جذور وآثار خطيرة على مسار الإيمان والعقيدة، والفقه في الأمة، ومنهج التفكير فيها بصورة عامة.

فمثلاً: إذا كان الحاكم الجديد يقدم نفسه على أنه خليفة الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويضطلع بمهماته، ويقوم بوظائفه، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يقضي بين الناس بما أراه الله، فإن المفروض بالخليفة أن يقضي بينهم، أو أن ينصب لهم قضاة من قبله، ويبقى هو المرجع لأولئك القضاة فيما يواجههم من مشكلات، والملجأ لهم في المعضلات.

فإذا قضى هذا الحاكم بخلاف ما أنزل الله، أو بخلاف ما قضى به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن موقعه سوف يهتز، وسيتعرض للنقد، والمطالبة، والأخذ والرد، وربما انتهى الأمر إلى التجريح الذي يضطره إلى التراجع. فإذا أصر على خطئه، فإن هذا سيكون هو الأشرُّ والأضرّ، والأدهى والأمرّ.

ومن وظائف رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه يفتي الناس، ويعلمهم شرائع دينهم، ويسألونه عما خفي عنهم، فإذا أفتى المدعي للخلافة بخلاف ما أنزل الله في كتابه، أو بخلاف ما سنه النبي، أو بما يغاير ما سمعوه منه «صلى الله عليه وآله»، فإن الإعتراضات أيضاً سوف تتوالى، والإستهانة بالمدعي للخلافة وبعلمه سوف تتضاعف.

وهكذا يقال: إذا سئل هذا الحاكم عن المعارف الدينية، وطرحت عليه المسائل الصعبة، ولاسيما من أهل الملل الأخرى الذين كانوا يتوافدون على المدينة من كل اتجاه..

وإذا اتخذ قرارات سياسية، أو أساء في تربية الأمة على الأخلاق الفاضلة، فإن الأمر سوف يزداد سوءاً، والخرق اتساعاً.

وهذا كله سوف يحرج الحاكم، ويضعف ثقة الناس به، ويجرؤهم عليه، ويضعف سلطته عليهم.. وربما تفاقمت الأمور إلى حد مواجهته بما لا تحمد عقباه، كما جرى لعثمان بن عفان.

فبادر هؤلاء إلى اتخاذ إجراءات رأوا أنها تخرجهم من مأزقهم هذا. وكان لها أعظم الضرر على الدين وأهل الدين، ولم تزل آثارها

الكارثية وستبقى ماثلة للعيان عبر العصور والدهور، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إجراءات وقرارات مدمرة:

وهذه الإجراءات والقرارات المدمرة التي اتخذوها كثيرة، نذكر منها:

١ ـ المنع من رواية حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسننه، إلا بشاهدين، فلم يعد بإمكان أحد أن يحتج على المدعي للخلافة بقول أو بفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ المنع من الفتوى إلا للأمير، ومن أقوال عمر بن الخطاب المشهورة: كيف تفتي الناس، ولست بأمير؟! ولي حارها من ولي قارها.

ولكنهم سمحوا بالفتوى أيضاً لبضعة أشخاص، لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، لاطمئنانهم بأنهم لا يفتون بما يضرهم، بل هم حريصون على تأييد خطّهم، وتقويته، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

٣ ـ المنع من كتابة حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد بقي عمر بن الخطاب شهراً يجمع ما كتبه الصحابة عنه «صلى الله عليه وآله». بحجة أنه يريد أن يكتب سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سياق واحد، وكتاب فارد.

ولكن هذا المدعي للخلافة بعد أن جمع ما قدر عليه من ذلك خطب الناس، وذكر لهم أعاليل أخرى برر بها ما يريد فعله، ثم أمر بإحراق ما اجتمع لديه مما كتبه الصحابة من حديثه «صلى الله عليه

وآله»..

٤ ـ المنع من السؤال عن معاني آيات القرآن، وعقوبة من يفعل ذلك.. وقد اتخذ عمر بن الخطاب هذا الإجراء بعد ظهور فشل الخلفاء المتغلبين في الأجوبة على الأسئلة التي كانت تطرح عليهم.

٥ ـ المنع من العمل بسنة النبي «صلى الله عليه وآله»، وضرب من يفعل ذلك.

٦ ـ لقد جمع هذا الخليفة المتغلب الصحابة من الآفاق، وطالبهم بما أفشوه من حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله». ثم أمرهم بالمقام عنده، وأن لا يفارقوه ما عاش، فبقوا في المدينة إلى أن مات، وقد استمر هذا المنع من رواية الحديث وكتابته وغير ذلك مما تقدم ما يقرب من ألف شهر.

٧ ـ لقد سمحوا للقصاصين من أهل الكتاب باحتلال مساجد المسلمين وبث ترهات بني إسرائيل بين الناس، واختلقوا للناس حديثاً يقول: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج..

وصار الخلفاء المتغلبون أنفسهم يحضرون تلك المجالس.

وصاروا أيضاً يشجعون الشعراء، والنسابين. ربما ليكون ذلك ملهاة لهم عن الأمور التي يراد تكريسها.

نتائج هذه السياسات:

وكان من نتائج هذه السياسات، ما أشارت إليه النصوص التالية:

١ ـ عن الإمام علي «عليه السلام» قال: لم يكن الذي كان منافسة منّا في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك.. ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك..(١).

وهذا معناه: أن معالم الدين كانت قد طمست وذهبت، حتى في زمن أمير المؤمنين «عليه السلام»..

٢ ـ وعلي «عليه السلام» هو القائل: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُه ومِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُه»(٢).

٣ ـ روى مالك بن أنس، إمام المالكية، عن عمه أبي سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال:

«ما أعرف شيئاً مما أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلاة»(٣).

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٩٤ والمعيار والموازنة ص٢٧٧ وتحف العقول ص٢٣٩ وبحار الأنوار ج٣٤ ص١١٠ وج٧٤ ص٢٩٥ والسقيفة للمظفر ص١٥٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٨ ص٢٦٣ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٣١٠.

(٢) الكافي ج٨ ص٣٠٨ ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٨٧ و ٨٨ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٥ ص٤٢٣ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٣٢٠ .

(٣) الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج١ ص٩٣ وجامع بيان العلم ج٢ ص٢٤٤.

قال الزرقاني، والباجي:

«يريد الصحابة، وأن الأذان باق على ما كان عليه، ولم يدخله تغيير، ولا تبديل، بخلاف الصلاة، فقد أخرت عن أوقاتها، وسائر الأفعال دخلها التغيير الخ..»(١).

٤ ـ أخرج الشافعي من طريق وهب بن كيسان، قال: رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم قال:

«كل سنن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غيرت، حتى الصلاة»(٢).

٥ ـ يقول الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق، وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟!

فقال: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت»(٣).

---

(١) شرح الموطأ للزرقاني ج١ ص٢٢١ وتنوير الحوالك ج١ ص٩٣ عن الباجي.

(٢) معرفة السنن والآثار ج٣ ص٤٦ وكتاب الأم للشافعي ج١ ص٢٠٨ والغدير ج٨ ص١٦٦ عنه.

(٣) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج١ ص١٣٤ وجامع بيان العلم ج٢ ص٢٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٢٠٠ والطرائف لابن طاووس ص٣٧٨ والصراط المستقيم ج٣ ص٢٣١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٦٧ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣١ و ٣٢ وشعب الإيمان ج٣ ص١٣٤

٦ ـ وقال الحسن البصري:

«لو خرج عليكم أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما عرفوا منكم إلا قبلتكم»(١).

ونقول:

حتى القبلة قد غيرت، وجعلوها إلى بيت المقدس، حيث الصخرة قبلة اليهود، كما أوضحناه في كتاب: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج.١

٧ ـ وقال أبو الدرداء:

«والله لا أعرف فيهم من أمر محمد «صلى الله عليه وآله» شيئاً

وكشف المشكل ج٣ ص٢٧٤ وتغليق التعليق ج٢ ص٢٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٣٣٥ وتهذيب الكمال ج١٩ ص٣٦٧ والدرجات الرفيعة ص٣١ والتعديل والتجريح للباجي ج٢ ص١٠١٦ ونفس الرحمن ص٥٩٦ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص٢٤٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٩ ص١٠٦ وسؤالات الحاكم للدارقطني ص٢٩٠ ونهج الحق ص٣١٦ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٧٠ وراجع المصادر التالية: ضحى الإسلام ج١ ص٣٦٥ والزهد والرقائق ص٣١ وفي هامشه عن الطبقات الكبرى لابن سعد ترجمة أنس، وعن الترمذي، وعن البخاري ج١ ص١٤١.

(١) جامع بيان العلم ج٢ ص٢٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٢٠٠ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦٦٩ .

إلا أنهم يصلون جميعاً»[١].

٨ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه قال:

«لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية، لأتيا الناس اليوم، ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه»[٢].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» ـ وقد ذكرت هذه الأهواء عنده، فقال ـ:

«لا والله، ما هم على شيءٍ مما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا استقبال الكعبة فقط»[٣].

٩ ـ وحينما صلى عمران بن حصين خلف علي «عليه السلام» أخذ بيد مطرف بن عبد الله، وقال:

«لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد «صلى الله عليه وآله»..».

وكذلك قال أبو موسى حينما صلى خلف علي «عليه السلام»[٤].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٤٤ و (ط دار صادر) ج٦ ص٤٤٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦٧٠ .

(٢) الزهد والرقائق ص٦١.

(٣) بحار الأنوار ج٦٥ ص٩١ وج٨١ ص٥٨ وقصار الجمل ج١ ص٣٦٦ والمحاسن للبرقي ج١ ص١٥٦ ومستدرك الوسائل ج٣ ص١٦٩ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٥٧٨.

(٤) راجع: أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج٢ ص١٨٠ والسنن الكبرى للبيهقي

١٠ ـ وأخيراً، فقد ذكروا: أن الناس والهاشميين في زمن السجاد «عليه السلام» إلى أن مضت سبع سنين من إمامة الباقر «عليه

(ط دار الفكر) ج٢ ص٦٨ و ١٣٤ وصحيح البخاري ج٢ ص٢٠٩ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٩١ و ٢٠٩ وصحيح مسلم ج١ ص٢٩٥ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٨ وسنن النسائي ج١ ص١٦٤ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٢٠٤ وج٣ ص٢ وعمدة القاري ج٦ ص٥٧ و ٥٩ و ١٠٠ والمعجم الكبير ج١٧ ص٢٨٧ وج١٨ ص١١٧ و ١٢٦ ومسند أحمد ج٤ ص٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٤ و ٤٠٠ و ٤١١ و ٤١٥ و ٣٩٢ في موضعين و ٤٣٢ وسنن أبي داود ج٥ ص٨٤ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٩٢ والتمهيد لابن عبد البر ج٩ ص١٧٦ وكشف المشكل لابن الجوزي ج١ ص٤٧٤ و ٤٧٥ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص١٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص١١٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٠٣ وج٣١ ص١٤٧ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص٢٤٠ والغدير ج٩ ص٦٦ وج١٠ ص٢٠٢ ومجمع الزوائد ج٢ ص١٣١ وفتح الباري ج٢ ص٢٠٩ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٢٢٤ وعون المعبود ج٣ ص٤٥ وشرح معاني الآثار ج١ ص٢٢١ و ٢٦٧ وعلل الدارقطني ج٧ ص٢٢٣ و ٢٢٤ والمصنف للصنعاني ج٢ ص٦٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج١ ص٢٤١ و (ط دار الفكر) ج١ ص٢٧٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٩٦ وكنز العمال ج٨ ص١٤٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج٨ ص١٦٢ و ٢٢٠ وعن مسند أبي عوانة ج٢ ص١٠٥ وكشف الأستار عن مسند البزار ج١ ص٢٦٠ والبحر الزخار ج٢ ص٢٥٤.

السلام» «كانوا لا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون»(١).

فإذا كانت الصلاة التي هي عمود الدين، والركن الأعظم في الإسلام، ويؤديها كل مسلم خمس مرات يومياً، كان لا يعرف حدودها وأحكامها أقرب الناس إلى مهبط الوحي والتنزيل، الذين يفترض فيهم أن يكونوا أعرف من كل أحد بالشريعة وأحكام الدين!، فكيف تكون حالة غيرهم من أبناء الأمة، الذين هم أبعد عن مصدر العلم والمعرفة، وما هو مدى اطلاعهم على أحكام الشريعة يا ترى؟!.

وإذا كانت أوضح الواضحات قد أصبحت مجهولة إلى هذا الحد، فما هو مدى معرفة الناس، وبالأخص البعيدين منهم عن مصدر العلم والمعرفة، بالأحكام الأخرى، التي يقل الابتلاء بها، والتعرض لها، والسؤال عنها؟!

حماية الإنحراف بقرارات وضوابط:

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة ابتكار وسائل وسياسات تحمي هذا النهج الانحرافي وكان حصيلة جهدها هذا حفنة من القرارات العجيبة والغريبة.

وحيث إن الإلمام بهذه القرارات بالاعتماد على النصوص يحتاج إلى جهد ووقت، فإننا نكتفي بذكر عناوينها، وفق ما ورد في فهرس: الجزء الأول من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله

(١) كشف القناع عن حجية الإجماع ص٦٧.

عليه وآله»، وهو التالي:

عناوين من صنع السياسة:

١ ـ الصحابة كلهم عدول.

٢ ـ من هو الصحابي؟!

٣ ـ صحابية المرتد.

٤ ـ السكوت عما شجر بين الصحابة.

٥ ـ من ينتقد الصحابة زنديق.

٦ ـ لا يفسق الصحابي بما يفسق به غيره.

٧ ـ حتمية توبة الصحابي.

٨ ـ ذنب البدري يقع مغفوراً.

٩ ـ الصحابة مجتهدون.

١٠ ـ إجماع الأئمة المهتدين.

١١ ـ رأي الصحابي حيث لا نص.

١٢ ـ الاجتهاد في مقابل النص كرامة للصحابة.

١٣ ـ الصحابة يشرعون وفتاواهم سنة.

١٤ ـ سنة الشيخين والخلفاء وعثمان حجة.

١٥ ـ حجية سنة كل إمام عادل.

١٦ ـ حجية سنة وفتوى كل أمير.

١٧ ـ رأي الصحابي أقوى من رأي غيره.

١٨ ـ قول الصحابي يعارض الحديث الصحيح.

١٩ ـ عمل الصحابي يوجب ضعف الحديث.

٢٠ ـ مراسيل الصحابة.

٢١ ـ تصويب الصحابة وغيرهم في اجتهاد الرأي.

٢٢ ـ النبي ﷺ يجتهد ويخطئ.

٢٣ ـ سهو النبي ﷺ ونسيانه.

٢٤ ـ عصمة الأمة عن الخطأ.

٢٥ ـ دعوى أن الإجماع: نبوة بعد نبوة.

٢٦ ـ ظن المعصوم لا يخطئ.

٢٧ ـ اجتهاد الفقهاء يقدم على النص.

٢٨ ـ ادعاء حجية القياس، والرأي، والاستحسان.

٢٩ ـ ما دل عليه القياس ينسب للنبي ﷺ.

٣٠ ـ لا اجتهاد بعد اليوم.

من ترك التقليد خرج من الإسلام.

تكريس المذاهب بالأموال.

التمهيد للتقليد.

مع تبريرات وجدي.

لا اجتهاد عند الفريسيين في اليهود.

٣١ ـ التقديس الأعمى حتى للحديث المكذوب.

٣٢ ـ أصح الكتب بعد القرآن.

٣٣ ـ هذا الإجماع ظن لا يخطئ.

رواية الصحاح عن الخوارج والمبتدعة.

الرواية عن الرافضة والشيعة.

التناقض في المواقف.

ألف: الخوارج.

ب: أهل البدع.

ج: الشيعة والرافضة.

العلاج المتطور.

٣٤ ـ ردّ روايات الشيعة في المطاعن والفضائل.

٣٥ ـ الرافضة لا إسناد لهم.

٣٦ ـ رواية ما لا يضر.

٣٧ ـ حديث الداعية إلى البدعة يرد.

٣٨ ـ حجم البدعة.

٣٩ ـ من روى له الشيخان، جاز القنطرة.

٤٠ ـ الخوارج صادقون.

٤١ ـ الاعتزال، والعداء لأهل الحديث.

٤٢ ـ خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء.

٤٣ ـ أبو هريرة راوية الإسلام.

٤٤ ـ لا يعرض الحديث على القرآن.

٤٥ ـ موافقة أهل الكتاب.

حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

الحسن والقبح شرعيان لا عقليان.

٤٨ ـ صوافي الأمراء.

٤٩ ـ الفتوى لأشخاص بأعيانهم.

٥٠ ـ المنع من الحديث، من روايته، ومن كتابته.

٥١ ـ المنع من السؤال عن معاني القرآن.

ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة الجزء الأول من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

لا بد من المشاركة:

وإزاء هذا الواقع المرير، والخطير كان لا بد لحماة الدين من العض على الجراح ووضع خطة من شأنها التخفيف من حجم أضرار هذه السياسات، وكانت خطتهم «عليهم السلام» تتلخص بضرورة اقتحام الساحة، والحضور الدائم والمشاركة الفاعلة فيها..

فقد بات واضحاً: أن كل ما يقال ويمارس في فترة السنوات الخمسين، التي تبدأ بوفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وتنتهي بسنة ستين. سوف يصبح ديناً وشريعة في الأمة. سواء أكان حقاً جاء من عند الله، أو كان باطلاً شيطانياً.

فلا بد إذن من أن يكون لأهل الحق حضور وظهور، ومشاركة. ولكن قبل ذلك لا بد أيضاً من تعريف الأمة بأن ثمة عدواناً قد حصل على أهل الحق، وأن الحكم القائم هو ثمرة هذا العدوان.. وأن هذا العدوان كان قاسياً وهائلاً، هتكت فيه أعظم الحرمات، وارتكبت الموبقات..

وهذا ما حصل بالفعل، فإن السياسة التي انتهجها علي «عليه السلام» مع المعتدين في مختلف فصول عدوانهم قد أفضت إلى هذه النتيجة، وعلم القاصي والداني بما جرى. وأصبح التعامل مع الحكام الجدد تعاملاً مع حكام معتدين على أهل بيت نبيهم، مغتصبين لمقامهم..

وحين اتضح هذا الأمر وشاع وذاع بدأت مشاركة علي «عليه السلام» لهؤلاء الحكام الغاصبين، فصار يحضر مجالسهم، ويشير عليهم بما فيه مصلحة الإسلام وأهله، ويرفع عقيرته، ويجهر في النكير عليهم حين ترتكب المخالفات، وتظهر الأباطيل والجهالات..

ثم أدخل «عليه السلام» ثلة كبيرة من أصحابه في مفاصل الحكم: فكان منهم الولاة والقادة، فعمار بن ياسر مثلاً كان والياً على الكوفة، وهي قلب العراق النابض، وكان سلمان الفارسي والياً على المدائن، وتولاها أيضاً حذيفة بن اليمان. كما أن الأشتر النخعي كان يشارك في حروبهم، وقد شترت عينه في واحدة منها، فسمي الأشتر.. وخالد بن سعيد بن العاص كان من القادة أيضاً. وحذيفة بن اليمان أيضاً كان

قائداً للجيوش في الفتوحات. وكان فتح همدان، والري، والدينور على يده، ثم قاد الجيش بعد قتل النعمان بن مقرن في فتوح نهاوند، والذي هو فتح الفتوح. كما أن هاشم بن عتبة المرقال كان قائداً في فتوح الشام، ثم في فتح بلاد فارس.

فإذا كانت الفتوى والقضاء للأمراء، فأصحاب علي «عليه السلام» أمراء، وقادة يستطيع الناس أن يرجعوا إليهم، وأن يأخذوا الفتوى منهم، وأن يقضوا بينهم، وأن يستفيدوا من معارفهم وعلومهم وأخلاقهم، وما إلى ذلك..

وهذا يعني: أن يكون الحق والباطل في متناول أيدي الناس، وعلى الناس أن يختاروا، ولا عذر لهم في اختيار الباطل مع وجود الحق..

وقد تمخضت فترة الخمسين سنة الأولى عن مدرستين متمايزتين:

إحداهما: بقيادة وريادة أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومن فتح الله بهم وبهم يختم، وأحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما.

والثانية: مدرسة الحكام والسلاطين، التي هي نتاج سياساتهم وأهوائهم، ومصالحهم وقد أسهم في تكوين هذه المدرسة خليط من الناس من وعاظ السلاطين، وأصحاب الأهواء، وطلاب اللبانات..

وعلى الناس أن يختاروا، بعد أن أصبح الحق أوضح من الشمس

وأبين من الأمس..

شهوة الملك لدى يزيد:

ويبدو لنا: أن معاوية منذ توقيعه العهد مع الإمام الحسن «عليه السلام» كان عازماً على نقض شروطه.. وقد ظهرت نواياه هذه بشدة وبحدة في سنة ست وخمسين حين أجبر الناس، ولاسيما أهل الحجاز على البيعة ليزيد بولاية العهد..

ولكن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يبايع ـ كما قدمنا. فلما مات معاوية كان همّ يزيد هو أن يتخلص من الحسين «عليه السلام». قبل أن يعرف أحد من أهل المدينة والحجاز بموت معاوية.. وقد ألح على الوليد بن عتبة في هذا الأمر، فكانت كتبه تتوالى عليه بأوامره بقتله، وإرسال رأسه إليه.

وكأنه يريد أن يجعل الناس أمام أمر واقع، وأن يكون المتورط فيه هو غيره، حيث يسهل عليه أن يدعي أنه لم يكن راضياً بقتله، كما ادعى ذلك بعد واقعة كربلاء، حين رأى أن بوادر عدم الرضى بقتل الحسين قد بدأت تظهر في أهل الشام أيضاً.

فهل كان يزيد موصى من أبيه بقتل الحسين «عليه السلام» فور وفاته، حرصاً على إسقاط مدرسة الإمامة من قاموس الأمة؟! أو أن يزيد هو الذي كان يريد التخلص من خطر يراه داهماً؟! لاسيما بملاحظة ما سنذكره من أن يزيد لا يمكن أن يحلم بعيش هني، وبال رخي، ما دام الحسين «عليه السلام» حياً. مع علمه بمكانة الحسين

«عليه السلام»، وميزاته وصفاته، وبنص النبي عليه، وبتصريح أبيه في شروطه مع الحسن «عليه السلام»: أن الأمر من بعده للحسن، ثم للحسين كما سنوضحه..

فيزيد إذن هو الباغي والمتغلب الذي بادر إلى اغتصاب الأمر من صاحبه الشرعي، وإليك توضيح ذلك:

يزيد الباغي المتغلب:

قلنا آنفاً: إن يزيد كان هو الباغي، والخارج على إمام زمانه بجميع المعايير.

ونقول:

إن الحسين «عليه السلام» هو الإمام المنصوص عليه من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. إن كان المعيار هو النص. والحسين «عليه السلام» هو الأولى برعاية هذا الدين، لأنه دين جده، وقد تربى على يديه ونشأ في كنفه، وفي بيته، وعلى مبادئه وقيمه، وتخلق بأخلاقه، وأخذ من علمه. وهو أيضاً أعلم الناس بدينه وشرعه، وبكل ما جاء به.

وهو المطهر المعصوم الذي لا يعصي ولا يخطئ، ولا يجهل، ولا ينسى، والذي دل على عصمته هو الله الذي خلقه وسواه..

وهو أيضاً صاحب الحق باعتراف معاوية الذي اغتصب الأمر من الإمام الحسن.. وأقسم الأيمان المغلظة، وأعطى أعظم العهود وأشد المواثيق على الوفاء به، وكان في هذا العهد: أن لا يعهد لأحد من

بعده، لا ليزيد، ولا لغيره. وأن يكون الأمر من بعده للحسن «عليه السلام»، فإن لم يكن حياً فللحسين «عليه السلام».

وقد أعطى هذه العهود في وقت كان فيه هو الأقوى بالمال، والرجال والسلطة. وكان الحسن «عليه السلام» قد تفرق عنه جنده، وخانه أصحابه، والتحقوا بعدوه معاوية نفسه، بعدما وعدهم ومناهم، واشترى ذممهم، فنقضوا العهود، وخذلوا أهل بيت نبيهم، وباؤوا بسخط من الله.

فمعاوية يعترف بأن الإمامة والخلافة من بعده للحسين «عليه السلام»، لا ليزيد، ولا لغيره من بني أمية، وخيانة معاوية بعد استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام» لا تبطل حقاً، ولا تجعل الباطل حقاً.. لاسيما وأنه قد خان في أمر ليس الوضع والرفع فيه إليه، بل الأمر فيه إلى الله ورسوله..

ولا أثر لخيانته في تبديل هذه الحقيقة، وإنما ينحصر أثر الخيانة في تحمله وزرها، ولحوق خزيها به إلى يوم القيامة.

ويزيد فاقد لجميع المؤهلات لمقام الخلافة لرسول الله «صلى الله عليه وآله». فلا معنى لتوليته حتى لو لم يكن هناك نص على غيره، أو لم يكن أبوه قد شرط على نفسه: أن لا يعهد لأحد كما تقدم، فظهر مما قلناه.

أولاً: إن الحق بهذا المقام، وهو مقام الإمامة هو للإمام الحسين «عليه السلام» دون سواه حسبما قرره معاوية نفسه.

ثانياً: لا يوجد نص على يزيد من الله ورسوله يمنحه هذا المقام.

ثالثاً: هناك نصوص من رسول الله «صلى الله عليه وآله» تصرح بتحريم هذا المقام على آل أبي سفيان..

رابعاً: إن يزيد لا يملك العلم بشرع الله، ولا هو من أهل الاستقامة، والتقوى، ولا يملك الأخلاق الفاضلة، ولا أية صفة نبيلة أو جميلة يتوهم معها أن يكون له نصيب في هذا الأمر الجليل والخطير.

وهو فاسق، فاجر، قاتل، شارب للخمر لا يؤتمن على أتفه الأشياء، فهل يؤتمن على دين الأمة، وأخلاقها، وقيمها، ومستقبلها، وعلى الأموال والأعراض، والأنفس؟!.

الفصل الرابع:

المنطلقات والأهداف..

أهداف الحركة الحسينية المباركة:

لقد حدد الحسين «عليه السلام» في وصيته المتقدمة لأخيه محمد ابن الحنفية أهداف حركته المباركة بدقة بالغة.. وتمخض عن هذا التحديد ظهور معالم الحركات الإصلاحية، وتمايزها عن الحركات التي تخالفها في الاتجاه، ولا تنسجم ولا تتناغم معها في المنطلقات ولا الأهداف..

فقسم «عليه السلام» الحركات إلى خمسة أقسام، رفض أربعاً منها، والتزم وأكد على القسم الخامس والأخير..

والأقسام الخمسة هي:

١ ـ خروج الأشر.

٢ ـ خروج البطر.

٣ ـ خروج المفسد.

٤ ـ خروج الظالم.

وهذه كلها مرفوضة، ومدانة..

٥ ـ الخروج لطلب الإصلاح في الأمة، بهدف الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر.

وهذا هو خيار الإمام الحسين «عليه السلام» في خروجه، وهو خيار الأنبياء والأوصياء الذي تخاض لأجله اللجج، وتبذل المهج، وتقدم التضحيات بكل غال ونفيس، على مر العصور، وكر الدهور..

ولكن شرط أن لا يصاحب ذلك أي تجن، أو تعد، أو إكراه، أو عشوائية، مع البقاء في نطاق منظومة من الضوابط والإبقاء على المعايير التي بينها «عليه السلام»، وأوضح معالمها تباعاً، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى..

غير أننا نحتاج قبل ذلك إلى اختلاس الفرصة لتوضيح بعض ما يرتبط بالأقسام المتقدمة فنقول:

لا إجمال ولا لبس في الخطاب:

قد يحسب البعض: أن هذه الأقسام قد ذكرت بصورة مجملة، بل مبهمة وملتبسة، حيث اكتفى «عليه السلام» بذكر عناوينها العامة والغائمة، فلماذا اعتمد «عليه السلام» هذا الأسلوب؟!

ويجاب:

بأن الإيجاز في البيان، قد يكون مقصوداً بهدف استثارة العقول، وتنشيط الأفهام، وترشيد الفكر الإنساني، من خلال التوسع في المعارف، التي تساعد على نيل المراد من الخطاب الموجز الذي حشد مختلف الوسائل والأدوات والخصوصيات البيانية التي تحمل للمخاطب المزيد من المعاني والدقائق واللطائف بأوجز كلام، وأغنى

خطاب..

ولعل التأمل في كلمات الإمام الحسين «عليه السلام» التي ذكرت لنا هذه الأقسام يُظهر أنها لم تكن استثناء من هذا الذي قلناه.. وسنبذل هنا محاولة لبيان مراده «عليه السلام» من هذه الأقسام، مع توخي الاختصار، والاقتصار على الضروري، فنقول:

١ ـ لم أخرج أشراً:

إن أول قسم أشار إليه «عليه السلام» في كلامه، ونفاه عن نفسه، هو خروج الأشر.. فإذا رجعنا إلى كتب اللغة لتحديد معنى الأشر.. ككتاب «لسان العرب» لابن منظور مثلاً، فسنجد: أن الأشر يفسر بالمرح.

وفسر أيضاً بالبطر.

ولعل هذا التفسير الثاني غير سديد، فقد عطف الإمام الحسين «عليه السلام» البطر على الأشر، وظاهر العطف المغايرة، ويؤكد هذه المغايرة إعادة حرف النفي أيضاً..

ويقال: أشر الخشبة: شقها.

وأشر النخل: كثر شربه للماء، فكثرت فراخه.

والأشر: التحزيز والتفليج، والتحديد للأسنان.

أو هو حدة ورقة في أطراف الأسنان(١).

---

(١) راجع فيما تقدم: لسان العرب لابن منظور ج١ ص١٤٩ و ١٥٠ و (نشر

وبعدما تقدم نقول:

ألف: إذا كان المراد بالأشر المرح، فنجد في معنى المرح إشارة إلى تجاوز الحد في الفرح. وفيه تبختر واختيال، وفيه خفة.

ومعنى هذا: أن هذا الخروج سيكون ضرره كبيراً وخطيراً، وأنه لا هدف له، بل هو عشوائي، وعبثي، فكيف إذا رافقته الخفة والتسرع، والغرور، والتبختر والاختيال، الذي يمنع الحاكم من الإصغاء إلى الآخرين؟!

ب: إذا كان المراد بالأشر تحديد وترقيق أطراف الأسنان، فذلك يكون كناية عن شدة الطمع، وتجاوز الحد في الشره، والرغبة والسعي للإستئثار بكل شيء، حتى ولو أدى ذلك إلى حرمان الآخرين من حقوقهم، وسلبهم ما به قوام حياتهم، وسبب بقائهم..

وقد وصف أمير المؤمنين «عليه السلام» ما جرى في زمن عثمان بما يصلح شاهداً على ما نقول، فقال «عليه السلام»:

«..إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ، نَافِجاً حِضْنَيْهِ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ، يَخْضَمُونَ مَالَ اللهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ الخ..».

ج: وإذا فسر الأشر بالشق، فإن مناسبة هذا المعنى للخروج الهادف إلى شق عصا المسلمين، وإضعافهم بذلك، وإذهاب ريحهم،

أدب الحوزة سنة ١٤٠٥هـ) ج٤ ص٢١.

بهدف التسلط عليهم. تصبح واضحة المعالم أيضاً.

وبعدما تقدم نقول:

إن التصدي لهذا النوع من الناس، وسلبهم القدرة على التأثير في حياة المجتمع الإنساني هو مما تحتمه ضرورات الحياة، وتدركه العقول، ويتوافق مع الفطرة، ومع آمال وطموحات الأمم، بأن تعيش حياة كريمة وسليمة..

٢ ـ ولا بطراً:

ثم أشار «عليه السلام» إلى من يخرج، ويكون بطراً، وقد نفى هذا الأمر عن نفسه أيضاً، ويستفاد من كتب اللغة، ككتاب لسان العرب:

ألف: أن البطر هو الطغيان في النعمة، أو قلة احتمالها. أو هو طول النعمة، أو غمطها.

ب: إن البطر هو كراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهية.

ج: شدة المرح.

د: أن لا يرى الحق حقاً، بسبب الحيرة.

هـ: التكبر عن الحق، وعدم قبوله.

و: البطر: هو الشق[1].

---

(١) راجع فيما تقدم: لسان العرب لابن منظور (مادة بطر) ج١ ص٤٢٩ و ٤٣٠ و (نشر أدب الحوزة سنة ١٤٠٥هـ) ج٤ ص٦٨ ـ ٧٠.

وبعدما تقدم، نقول:

١ ـ فيما يرتبط بتفسير البطر بشدة المرح نقول:

قد عرفنا: أن هذا المعنى قد ذكر أيضاً في تفسير الأشر ولكن من دون توصيفه بالشدة، ولذلك نقول: إذا كان «عليه السلام» قد نفى أصل المرح بقوله: «لم أخرج أشراً»، فإن نفي حصول أدنى مراتب المرح مستلزم لنفي حصول المراتب الأشد منها..

٢ ـ إن تفسير البطر بالشق أيضاً، ـ مع أن نفس هذا التفسير قد ذكر أيضاً للأشر ـ لا يتلاءم مع العطف الظاهر في المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، ولاسيما مع إعادة النفي بلا في قوله: «ولا بطراً».

٣ ـ إن العبائر المختلفة المتقدمة في الفقرة ألف قد ذكرت ارتباط البطر بالنعمة، ولكن اختلاف العبارات هو بحسب الظاهر لأجل أنهم تارة يذكرون الملزوم واللازم معاً، وأخرى لأنهم يذكرون أحدهما دون الآخر..

وربما ذكر بعضهم حالات اللازم وخصوصياته.. وما إلى ذلك..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن طول مكث النعمة على بعض الأشخاص قد يضعف شخصيته، وتنشأ عنه سلبيات تظهر في تعامله مع الآخرين، وتؤثر سلباً على سلامته الروحية، فيحسب أنه مستحق لتلك النعمة، وأنه إنما حصل عليها بمؤهلاته ومزاياه، وبعلم تفرد به ـ كما قال قارون: **(إِنَّمَا أُوتِيتُهُ**

عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي)(١).

أو يتوهم أن الله تعالى قد أنعم عليه لعظم خطره عنده، وجليل مقامه لديه.

وهذا الشعور ينتهي به إلى غمط النعمة، الذي هو الانصراف عن شكرها، الذي هو من أسباب دوامها..

وإذا كان خروج الشخص للتصدي للشأن العام استجابة لهذا البطر، والطغيان بالنعمة، المؤدي به إلى عدم شكرها، فإن خروجه هذا سيكون مدمراً ومهلكاً له ولغيره، لأنه لن يطيق النصيحة من أحد، كما أنه لن يكون ذلك الرجل الرحيم والحليم، والحكيم. بل سيكون جباراً طاغياً، وقاسياً، ومتغطرساً.

٤ ـ إذا كان المراد بالبطر هو: كراهة الشيء من دون أن يستحق الكراهية. فذلك يعني: أنه يتعامل مع الأمور بمزاجية لا تخضع لضابطة، ولا يحكمها منطق، أو عقل، أو شرع.

٥ ـ إن كان المراد بالبطر: أن لا يرى الحق حقاً، بسبب ما هو فيه من الحيرة والضياع.

أو كان المراد: أن يتكبر على الحق، ويرفض الانصياع له، فإن تصدي هذا الشخص للشأن العام سيكون كارثياً، ويهلك الحرث والنسل، ويمحق الدين، ويبطل جهود الأنبياء والمرسلين، وتضحيات

---

(١) الآية ٧٨ من سورة القصص.

الشهداء والصالحين.

٦ ـ ولأن حق الحياة الكريمة معترف به في كل شرع وقانون، وعند كل أمة، وهو أمل كل إنسان، وهو مقتضى الفطرة، والعقل السليم، فإن إمساك هذا النوع من الناس بالشأن العام، يعطيه الفرصة للتلاعب بمصير الأمة، والتدخل في مختلف مفاصل ومفردات حياتها، وهذا يحتم على الأمة التصدي لهذا النوع المريض والفاشل من الناس..

٣ ـ ولا مفسداً:

وأشار «عليه السلام» إلى القسم الثالث الذي نفاه «عليه السلام» عن نفسه بقوله: «ولا مفسداً».

ومن المعلوم: أن من يخرج بهدف التصدي للشأن العام قد لا يكون ممن يحمل مشروعاً نافعاً للأمة، ولا يفكر، ولا يهتم لأي شيء من هذا القبيل، فخروج شخص كهذا سيكلف الأمة جهداً، وربما منيت بخسائر كبيرة وخطيرة، تجعله في موقع المدان والمؤاخذ حيث يتسبب بهدر الطاقات، وتضييع الإمكانات، وضعف الأمة، وذهاب الريح، والفشل الذريع والمريع.

أما إذا كان مشروعه هو تخريب العامر، وإفساد الصالح، فإن ضرره سيكون أكبر، وأخطر، لأن إفساده لا يكون مجرد إفساد فرد، بل يصبح إفساد أمة بأسرها حين يسخر كل ما لديها ولديه من مال ورجال، وهيبة، وسلطة، ونفوذ، ودهاء، وعلم وعلماء في سبيل

التدمير الشامل، والقاتل..

وإذا كان الأشر والبطر ـ بفتح الشين والطاء ـ ينتهيان إلى أن يصبحا من العاهات، إلا أنها تبقى عاهات قد تتلاقى أحياناً مع بعض الأعمال النافعة، وإن كان نفعها لم يكن مقصوداً، ولا مخططاً له.. كما أن الأشر والبطر قد يتعايشان مع بعض الصلاح الذي صنعه الآخرون، لا لأجل تبلور رغبة لديهم فيه، بل من جهة عدم الاكتراث لوجوده ولا لعدمه، وعدم وجود دواع شخصية، تحتم عليه مواجهته، وتقويضه، إذ لم ير فيه عقبة أمام رغباته، لكي يهتم بإزالتها.

وخلاصة الأمر:

لا بد من مقاومة المفسد، وإحباط مشروعه، ومصادرة قدراته التدميرية، والعمل على محاصرته، وإفشال مخططاته..

٤ ـ ولا ظالماً:

والقسم الرابع الذي نفاه «عليه السلام» عن نفسه بقوله: «ولا ظالماً». هو ذلك النوع من الناس الذين يتلذذون بعذاب الناس، وقهرهم، وإذلال عزيزهم. ويريد بالتسلط على الشأن العام أن يحقق هذه الأمنية. فهو بمثابة وحش كاسر، يحطم كل ما صادفه، ولا يسلم من صريف أنيابه، مؤالف أو مخالف، بل الكل هالك وتالف. فلا تجد للحرية، والكرامة، ولا للحياة معنى مع هذا النوع من الناس، بل الحياة معهم ذل، وصغار، لا قيمة فيها لصلاح، ولا ميزة فيها لعالم على جاهل، ولا لصالح على طالح، ولا لنبي أو وصي، أو ولي على

شرير ربيب شيطان، لا يعرف غير البغي والعدوان..

ولكل أحد الحق في مقاومة هذا النوع من الناس، ودفعه عن نفسه، وحريته وكرامته..

٥ ـ طلب الإصلاح في الأمة:

والقسم الخامس والأخير هو: الخروج لطلب الإصلاح. وقد قرره «عليه السلام» بقوله: «وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد «صلى الله عليه وآله»، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد «صلى الله عليه وآله»، وأبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين «رضي الله عنهم».

فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، ويحكم بيني وبينهم بالحق، وهو خير الحاكمين».

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد ضمن كلامه في هذا القسم الإشارة إلى أمور بالغة الدقة، ولتوضيح هذه الأمور نحتاج إلى إجمالها أولاً، ثم تفصيلها.

وإجمالها يكون كما يلي:

قال «عليه السلام»: إن الداعي لخروجه هو:

١ ـ طلب النجاح.

٢ ـ طلب الصلاح.

٣ ـ إنه يطلب هذين الأمرين ليكونا الحاكمين والمهيمنين على الأمة.

٤ ـ إن الأمة التي يطلب النجاح والصلاح فيها هي أمة جده محمد «صلى الله عليه وآله».

ثم حدد «عليه السلام» الأهداف التي يتوخاها من حركته وخروجه في النقاط التالية:

٥ ـ يريد أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

٦ ـ يريد أن يسير بسيرة جده محمد «صلى الله عليه وآله».

٧ ـ يريد أن يسير بسيرة أبيه علي «عليه السلام».

٨ ـ يريد أن يسير بسيرة الخلفاء الموصوفين بصفتين هما:

ألف: أنهم راشدون.

ب: وأنهم مهديون.

وهذه الأهداف تعني العودة بالأمة إلى الأصالة، وإلى الينابيع الغزيرة بالخير، والصافية الخالصة من أية شوائب..

لا يكره أحداً على قبول ما جاء به:

ثم أضاف «عليه السلام» أيضاً ما يدفع به الإتهامات الباطلة، والتجنيات الخبيثة، وهو:

١ ـ أن طلب هذه الأمور لا يعني أنه سيكره الناس على ما يريد. بل

يعني أن يطلب منهم أن يساعدوه ثم يكون لهم الخيار في اتخاذ القرار الذي يريدون.

٢ ـ إن الخيار الذي سيجد الناس أنفسهم أمامه في مثل هذه الحالات ينحصر في أحد أمرين:

أحدهما: أن يقبلوه «عليه السلام».

الثاني: أن يرفضوه.

ولا ثالث لهما، إذ لا معنى للحياد، لما سيتضح في النقطة التالية:

٣ ـ إن سبب انحصار الخيار في أحد الأمرين: أنه «عليه السلام» قد جعلهما: (أعني: القبول والرد) مرهونين، ومنطلقين من قبول الحق. وقد قال تعالى: **(فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)**؟![1]. فالحياد معناه عدم قبول الحق، والحياد والإنحياز عنه إلى الباطل.

٤ ـ ولأن الحق الحسيني إنما هو مضمون التوجيه الإلهي، وتطبيق لأحكام الشرع، فقد قرر «عليه السلام» أن ردهم عليه ما يعرضه عليهم، لا يخوله إكراه الناس على ما يدعوهم إليه. بل غاية ما لديه أن يصبر وينتظر قضاء الله بينه وبين الذين ردوه. ويرى ما ينتهي إليه مسار الأمور معهم. فإن الأمور مرهونة بأسبابها، التي أودعها الله في هذا الكون الرحيب.

وأما الحكم الإلهي بينه وبينهم فيكون في الآخرة كما سيأتي..

---

(١) الآية ٣٢ من سورة يونس.

٥ ـ ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يقل: «فمن ردني». بل قال: «من رد علي». مما يعني: أن الكلام هو عن قبول الحق الذي دعاهم إليه، وعرضه عليهم.

٦ ـ إن الحق إذا كان هو المحور، والمنطلق، فإن هذا الحق ليس من صنع الإمام الحسين «عليه السلام»، ولا هو من نتاج فكره، أو ابتكاراته. بل هو من مظاهر الفعل الإلهي **(الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)**[1].

فالمرجع والمآل في الحق، وفي تحديده وفي تحديد ما يجب على الناس تجاهه هو الله تعالى، وحركة الحسين «عليه السلام» لا تخرج عن نطاقه قيد شعرة، وبذلك يجب التعامل مع دعوته بكل مفرداتها، وتفاصيلها ودقائقها، باعتبارها تطبيقاً لشرع الله وأحكامه، وطاعة وانقياداً له تعالى..

٧ ـ ولكن ردهم عليه ما يعرضه عليهم لا يعني انتهاء الأمور عند هذا الحد، ويكون هناك ظالم ومظلوم، أو غالب ومغلوب، ثم لا شيء وراء ذلك.. بل هناك تبعات يجب البحث فيها، ومعرفة من يتحملها، لكي يسود العدل. وقد بين «عليه السلام» أن ذلك موكول إلى الآخرة، ليكون الله تعالى هو الحاكم فيها..

٨ ـ والله لا يقضي بالهوى، ولا يحابي أحداً، ولا يراعي مصالح

---

(١) الآية ٥٠ من سورة طه.

هذا أو ذاك، إذ ليس بين أحد وبين الله قرابة. فهو تعالى يحكم بالحق بين الحسين «عليه السلام»، وبين من رد عليه ما عرضه عليه، وهو تعالى خير الحاكمين.

وإذا كان لا بد من توضيح لما بقي من النقاط المتقدمة، فإننا نقول:

١ ـ طلب النجاح:

لقد بدأ «عليه السلام» إعلانه عن أهداف تصديه للشأن العام، الذي سجله في وصيته لأخيه، بقوله: «خرجت لطلب النجاح»، فلماذا بدأ بذكر النجاح قبل أي شيء آخر، مع أن النجاح هنا هو توصيف جهد بذل أو يبذل للوصول إلى غاية بعينها فيما يرتبط بإعادة إنتاج الواقع، وفق منهجية ذات طابع وخصوصيات تختلف عما كانت عليه في الواقع الذي كان قائماً؟!

كما أن هذا النجاح الذي قرره «عليه السلام» يحتمل أن يكون توصيفاً لجهده الذي يبذله هو «عليه السلام» لتغيير واقع الأمة، وقد يكون توصيفاً للواقع في الأمة.. أي أنه «عليه السلام» يريد أن يرى النجاح في الأمة ظاهراً للعيان.

وفي جميع الأحوال نقول:

لعل بدأه «عليه السلام» بذكر النجاح ليدل على أن المطلوب ليس هو المغامرة، واقتحام المجهول وتعريض الأمة في الأموال والأعراض والدماء، وتعريض مستقبلها للأخطار، من دون دراسة

إمكانات النجاح في تحقيق ما يراد تحقيقه. ومن دون تحديدٍ للمشكلات وللحاجات في عمل كهذا، ومن دون تقدير للإمكانات المتاحة التي يمكن الاستفادة منها في الوصول إلى ما يتوخاه من غايات.

فذكر النجاح أولاً بمثابة إعطاء ضمان وأمان للناس كل الناس بأن ما يقدم عليه وما يطلبه «عليه السلام» ليس فيه تسرُّع أو ارتجال، ولا هو ردة فعل، أو نتيجة انفعال. وأن الغايات قد حددت وقد درست في قيمتها، وفي أهميتها، وفيما تحتاجه من تضحيات، وما تفرضه من تكاليف.

وقد تمت أيضاً دراسة الواقع الراهن بما له من خصوصيات وحالات، وما يتطلبه من حاجات، وعرف الداء والدواء، وقدرت الأخطار بدقة وأمانة، وحددت الضرورات والأولويات..

فليس المورد قابلاً للتجربة أو المغامرة، أو الغفلة، أو العمل بالهوى، أو الاستسلام للانفعال، وما إلى ذلك.. بل هو واجب ومسؤولية، ومستقبل لا يمكن التفريط فيه ولا مساومة أو محاباة أحد عليه..

٢ ـ طلب الصلاح:

١ ـ ثم أتبع «عليه السلام» طلب النجاح بطلب الصلاح، وهذا هو العنصر الأساس والمحوري وهو المعيار الدقيق في المنهج الايماني والقرآني في مجال الخلق والتكوين وبناء الحياة في الدنيا، والآخرة على حد سواء..

٢ ـ والصلاح هو أن يحصل التوافق الواقعي التام والدقيق مع مقتضيات التكوين، وأن ينسجم مع ما تفرضه السنن التي أودعها الله تعالى في هذا الكون الرحيب، وكل ما فيه من مخلوقات وكائنات على اختلافها، وأن يتوافق مع الفطرة، والشرع، والدين، وما تجمع عليه العقول..

وكل ما لم يحصل به هذا التوافق، فهو من الفساد والإفساد بلا ريب..

٣ ـ ويلاحظ: أن هذا الصلاح قد تم اعتماده كأساس في مختلف الشؤون، والأحوال، وهو المرتكز في البيانات القرآنية، ويكفي أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الأنبياء وأولي العزم منهم، ومعهم الأوصياء، والصديقون، والشهداء، والأبرار والأتقياء من سائر الناس، قد أطلق عليهم وصف الصلاح والصالح والصالحين..

كما أن الالتزام بأحكام الله قد اعتبر صلاحاً، وكل ما أمر الله تعالى به، وما يحبه الله لعباده وبلاده قد اعتبر عملاً صالحاً أيضاً. كما يظهر من مراجعة الآيات الشريفة.

٤ ـ وبعدما تقدم نقول:

لو لم يكن هناك اختلال كبير وخطير في دائرة الصلاح لما طلب الإمام الحسين «عليه السلام» تصحيح المسار، وإعادة الأمور إلى نصابها..

٣ ـ الاختلال في الأمة كلها:

ويلاحظ: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد طلب النجاح والصلاح في الأمة كلها، ولم يحصر الأمر بفئة، أو بعشيرة، أو ببلد، أو بمصر، أو بمنطقة، فدل بذلك على أن الاختلال أصبح عاماً وشاملاً..

٤ ـ أمة محمد:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قال: إنه يطلب هذا النجاح والصلاح «في أمة جده محمد «صلى الله عليه وآله»، ولم يقل: «في هذه الأمة».

مما يعني: أن الإختلال الذي أصاب الأمة لم يقتصر على بعض الجهات دون بعض، فليس هو خاصاً بالناحية الاقتصادية، أو في دائرة الصحة والمرض الجسدي، أو النفسي، أو في الأمن أو.. أو.. بل كان قد أصاب الأمة بما هي أمة محمد «صلى الله عليه وآله».

وهذا يشير إلى أن الاختلال إنما هو في الانتماء الديني للأمة بصورة أساسية وهنا مكمن الخطر، حيث لا يقتصر الأمر على خسران الدنيا، بل يتجاوز ذلك إلى خسران الآخرة أيضاً، وهذا هو الخسران المبين.

وهذا يحدد لنا أمرين:

أحدهما: من هو المصلح، وما هي مواصفاته، وموقعه، وحالاته..

الثاني: ما هي وسائل الإصلاح، ومناهجه، وآفاقه، وما إلى ذلك..

فأولاً: إذا كان الاختلال قد نال الانتماء الديني للأمة، فذلك يعني أنه قد أصاب الحالة الاعتقادية والإيمانية، والوعي والالتزام الديني بصورة عامة، وبذلك يلامس الاختلال جميع الشؤون: الفكرية، والسياسية. والأمن، والاقتصاد، والتربية، والأخلاق، والالتزام بالأحكام في العبادات، والمعاملات، والعلاقات، وبنية المجتمع من جميع الجوانب وفي مختلف المجالات.

ثانياً: إن الإصلاح يكون بإعادة الأمور إلى نصابها وإصلاح الخلل الذي نال هذه الجوانب وسواها. وذلك بإعادة الحاكمية للشرع وللدين في جميع شؤون الحياة..

ثالثاً: إن القادر على القيام بهذه المهمة هو أعلم الناس بهذا الدين، وأشد الناس مراعاة له، والتزاماً به، وغيرة وحرصاً عليه. وهو من يكون من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، والمطهر المعصوم بنص القرآن، والذي حباه الله بمقام الإمامة، ونص عليه بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وبذلك نعرف لماذا قال «عليه السلام»: «في أمة جدي..».

تحديد المنهج والمسار:

وإذ قد عرف الداء، وعرف الطبيب العارف بالدواء، فلا بد من مباشرة العمل، وفق منهج ومسار ينتهي إلى إنقاذ حياة الدين، ومستقبل الأمة في الدنيا والآخرة..

وقد حدد «عليه السلام» المنهج والمسار في أمور أربعة كما تقدم، وهي التالية:

١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تقدم: أنه «عليه السلام» قال: «أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر». وقد قال تعالى: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)**[١]. وهذه الآية تدل على أن الذي يعيد إلى الأمة رونقها، وإلى أن تصبح خير أمة أخرجت، هو إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يحييها على الوجه الأكمل والأتم سوى الأئمة الطاهرين من أهل البيت «عليهم السلام».

ويفترض بالناس بجميع فئاتهم وطبقاتهم، ومواقعهم أن لا يتحسسوا من إحياء هذه السنة، وأن يسعدوا بعودتها، وأن يساعدوا أهل البيت «عليهم السلام» على أن تأخذ مداها في الأمة، وأن يحموها ويقووها بكل ما آتاهم الله من حول وقوة.

كما أن من يزعم أنه يأخذ موقع رسول الله، ويريد أن يحكم الناس باسمه، يفترض فيه أن يكون في طليعة المؤيدين والمساعدين، والمسرورين والمهتمين بنجاح هذه المبادرة. لا أن يكون محرجاً بها، معادياً ومحارباً لمن يتبناها!!

٢ ـ سيرة جدي محمد ﷺ:

---

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

ثم أشار «عليه السلام» إلى الأمر الثاني بقوله: «وأسير بسيرة جدي محمد «صلى الله عليه وآله»..».

فهو «عليه السلام»:

ألف: يريد أن يعيد الأمة إلى أصالتها، وإلى جذورها، ومنطلقاتها وإلى الينابيع والروافد الفكرية والإيمانية العذبة، وإلى الأسوة والقدوة، والارتباط بالوحي الإلهي. الذي يمنح الإنسان الثقة والرضا، والسكينة، من خلال الأمن من عبث الأهواء. ومن أن تتقاذفه مصالح الأشخاص والفئات، وتستبد به النزوات، والعصبيات، وما إلى ذلك..

ب: إن أعرف الناس بسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» هم أهل بيت النبوة، الذين هم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما. ولذا قال «عليه السلام»: «بسيرة جدي محمد»، ولم يقل: بسيرة محمد. ليعلم أنه بالنسبة إليه المعلم، والمربي، والكافل.

ج: إنما صرح باسم جده، لكي يعرفه القاصي والداني بهذه الخصوصية، فلعل بعض الناس البعيدين عن مصادر المعرفة، ويعيشون في الصحارى والأدغال، يدعون أنهم يجهلون ذلك، بل إن بعض الناس قد حاولوا طيلة عقود من الزمن أن يزوروا الحقائق، وأن ينكروا بنوة الحسنين لرسول الله، إنطلاقاً من المفاهيم الجاهلية، التي عبر عنها الشاعر بقوله:

بنونـــا بنـــو أبنائنـــا وبناتنـــا بنوهن أبنـاء الرجـال الأباعد[١]

٣ ـ سيرة أبي علي ×:

والأمر الثالث هو ما أشار «عليه السلام» إليه بقوله: «وسيرة أبي علي بن أبي طالب «عليه السلام»..».

فقد صرح «عليه السلام» بمقام الأبوة أولاً، وبالاسم الصريح ثانياً، وجعل سيرة علي «عليه السلام» منهجاً، ليدل على أن سيرة علي معصومة عن الخطأ، والخطل والزلل، وهي مطابقة لسنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ألفها إلى يائها..

ولعلك تقول:

إذا صح هذا، فلماذا احتاج إلى ذكرها، ولم يكتف بذكر سنة الرسول، فإنها تغني عن ذكر كل سنة مطابقة لها؟!

ونجيب:

بأن علياً «عليه السلام» وارث علم الرسول، وقد علمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ألف باب من العلم، يفتح له من كل باب ألف باب.

ونحن نعلم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد بلَّغ الدين، وسنّ للناس السنن وفق ما أراده الله سبحانه. ولكن، هل كان لديه

(١) راجع كتابنا الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» الفصل الأول.

الوقت الكافي، للتبليغ لعامة الناس؟! أو هل لدى الناس الاستعداد، والأهلية لاستيعاب جميع الدقائق والتفاصيل التي ترتبط بالمستجد من الأحداث والوقائع، والابتلاءات؟!

الجواب سيكون طبعاً بالنفي. وأكثر الوقائع المستجدة في عهود الخلفاء المتغلبين بعده والتي لم يجدوا لها جواباً لدى أحد من الصحابة، بل كانوا يجدون جوابها عند عيبة علم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

هذا عدا الوقائع الكثيرة، والابتلاءات المتنوعة التي حيَّرت علماء الأمة، وكان أئمة أهل البيت «عليهم السلام» هم الذين يتصدُّون لحل ما أشكل، وإيضاح ما أبهم منها. حتى وقعت الغيبة، فكان سفراء الإمام «عليه السلام» هم المرجع للناس في هذه الأمور، وبعد ما يقرب من سبعين سنة، وقعت الغيبة الكبرى، وانقطعت السفارة..

ولو لم يكن الإمام علي «عليه السلام» مطهراً معصوماً عن الخطأ والزلل في القول والفعل والعمل، وفي كل التفاصيل والدقائق لم يجز الأخذ بسيرته، بل كان يجب الاقتصار على سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

كما أنه لو لم يكن «عليه السلام» عالماً بكل ما شرعه الله، وما جاء به رسوله لم يجز أن يكون ذا سيرة تتبع. ولو لم يكن لديه أحكام وسنن أخذها من معدنها، وأذن له في تبليغها، أو في جعلها سنة، لم يصح أن تجعل سيرته حجة كسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

لأن ما علم عن الرسول فالحجة فيه هو الرسول، وما لم يؤخذ منه وعنه لا يصح جعله سيرة ولا جعله سنة إلا إذا أخذ من معصوم مثله..

٤ ـ سيرة الخلفاء الراشدين المهديين:

ثم ذكر «عليه السلام»: أنه يريد أن يسير بسيرة: «الخلفاء الراشدين المهديين».

وقد تحدثنا في فصل سابق عن هذه الفقرة ذاتها حين وردت في كلمات محمد ابن الحنفية مع أخيه الحسين، ولم يعترض الحسين «عليه السلام» عليها، وقد بيّنا هناك المراد من الخلفاء الراشدين المهديين.

ونقول هنا:

لا ريب في أنه «عليه السلام» لا يقصد بهذه الكلمة الخلفاء الثلاثة المتغلبين الذين استولوا على الأمور بعد رسول الله بالقوة والقهر.

ويدل على ذلك:

أولاً: أنهم في كثير من الموارد قد خالفوا سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واجتهدوا في مقابل النص.

ثانياً: إنهم في كثير من الموارد تحيروا، ولم يحكموا بشيء، فلجأوا إلى علي «عليه السلام» باب مدينة علم النبي «صلى الله عليه وآله»، فكان «عليه السلام» يحل لهم المشكلات، ويوضح المبهمات.. وقد سجل لنا التاريخ أن عمر بن الخطاب قد قال عشرات المرات:

لولا علي لهلك عمر..

ثالثاً: كان عمر بن الخطاب يقر على نفسه بالخطأ ويقول: امرأة أصابت ورجل أخطأ، فكيف يصح الأخذ بسيرة من يصدر منه إقرار كهذا؟!

وقد جمع العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني «رحمه الله» في الجزء السادس من كتابه: «الغدير في الكتاب والسنة» ـ جمع ـ طائفة كبيرة من النصوص بعنوان: «نوادر الأثر في علم عمر». وفيها من المخالفات والأخطاء الواضحة والفاضحة الشيء الكثير والخطير..

فكيف تكون سيرته حجة في عرض سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فالمقصود بالخلفاء الراشدين في كلامه «عليه السلام» هم الأئمة الطاهرون المعصومون «صلوات الله وسلامه عليهم» الذين أولهم علي «عليه السلام»، وآخرهم المهدي من أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نصب علياً «عليه السلام» يوم الغدير إماماً للناس بأمر من الله تعالى. وقد رفض الخلفاء الثلاثة المتغلبون هذا القرار الإلهي، الذي تولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تنفيذه، فكيف يكون من يرفض إمامة جعلها الرسول ويضرب ابنة النبي التي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، ـ كيف يكون ـ راشداً ومهدياً؟!

توصيف الخلفاء بالراشدين المهديين:

بل إن نفس توصيف الخلفاء بوصفي الراشدين المهديين يكفي للدلالة على أن المقصود بالخلفاء الأئمة الطاهرون «عليهم السلام»، فإنهم وحدهم الذين ينطبق عليهم الوصف بالرشاد والهداية، وقد ذكر النبي أنه سيكون بعده خلفاء له، يحيون سنته، ويعلمونها عباد الله.

وفي نص آخر: من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض وخليفة رسوله(١).

ولا أحد ينطبق عليه هذا التوصيف غيرهم «عليهم السلام»، لأن من ادعوا الخلافة، لأنفسهم كانوا كما قلنا يجهلون الأحكام، وحقائق الدين، ويقعون في الحرج والحيرة، ويكون غيرهم هو الذي يحل المشكلة لهم، ويعرف ما جهلوه، ويعيدهم إلى الصواب حين يخطئون.

وكيف يكون راشداً مهدياً من يتناقضون فيما بينهم في الفتاوى والسياسات، وغيرها من قضايا الدين؟! وكيف يكون راشداً مهدياً من يهاجم الزهراء، ويضربها، ويسقط جنينها، وتموت وهي واجدة

---

(١) مستدرك الوسائل ج١٢ ص١٧٩ عن لب اللباب، والأحكام ليحيى بن الحسين ج٢ ص٥٠٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٣٨٤ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٥٣ وج٧ ص١٨٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٢١٣ ومجمع البيان ج٢ ص٣٥٩ والكامل لابن عدي ج٦ ص٨٤ وميزان الإعتدال ج٣ ص٤٠٠ ولسان الميزان ج٤ ص٤٨١.

عليه؟!

والراشد ـ كما قيل ـ هو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد، من غير إشارة مشير، ولا تسديد مسدد. والرشد مقابل الغي وهو الهدى.

والراشد المهتدي في جميع أموره هو من بلغ أعلى الدرجات في العلم بالحلال والأحكام، وبكل ما يعرض له، في جميع لحظات حياته. كما أنه معصوم عن الخطأ، وعن الذنب، والسهو والنسيان.

وهذا لا ينطبق على الذين استولوا على الحكم بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله».

أما علي «عليه السلام» فعنده علم الكتاب كله، وهو باب مدينة علم رسول الله. وقد علمه «صلى الله عليه وآله» ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب. كما أنه هو المطهر المعصوم بنص آية التطهير، فلا يقاس به أحد. وكذلك الحال بالأئمة الاثني عشر الطاهرين من أبنائه «عليهم السلام».

قبل أن يكاتبه العراقيون:

تقدم حين الحديث عن وداعه «عليه السلام» أم سلمة «رحمها الله»: أنها عبرت له عن تخوفها من أن يكون خروجه من المدينة إلى العراق.. فأعلمها «عليه السلام» أن المقصد النهائي له هو العراق، وكربلاء بالذات، وأراها الموضع الذي يقتل فيه، وأعطاها بعضاً من ترابه في قارورة لتجعلها إلى جانب القارورة التي سلمها إياها رسول

الله «صلى الله عليه وآله»، وفيها أيضاً تراب من كربلاء، حتى إذا رأتهما قد فاضتا دماً علمت بقتله «عليه السلام».

وهذا النص إذا ضُم إلى سائر النصوص، التي منها قوله للوليد ومروان: «نحن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة..».. إلى أن قال عن يزيد: «ومثلي لا يبايع مثله»..

وقوله: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي. أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر..».

وقوله لأخيه: «والله، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية».

فإن هذه النصوص ونظائرها تدل:

أولاً: على أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان مصمماً على عدم البيعة ليزيد، لأجل امتثال فروض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ولم تكن مكاتبة أهل العراق له بعد وصوله إلى مكة أعزها الله هي السبب في تبلور هذا العزم لديه..

ثانياً: هي تدل أيضاً على أن وجهته النهائية ستكون هي العراق.

ثالثاً: تدل على أنه يعرف أنه مقتول على أيدي بني أمية.

رابعاً: إن علمه هذا قد أخذه من أبيه وجده، عن جبرئيل عن الله تعالى.

خامساً: إن علمه بأنهم سوف يقتلونه لو لم يبايع لم يؤثر في تغير

وظيفته الشرعية، ولم يبدل الوجوب الحتمي إلى رخصة، أو إلى إلزام بالمداراة لهم، والتخلي عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

والسبب في ذلك: أن مراتب الأمر بالمعروف تختلف وتتفاوت. فإن بعضها يسقط فيه هذا الواجب إذا كان يؤدي إلى ضرر عظيم، أو إلى الخطر على الحياة. كما لو كان يعلم أن نهي شارب الخمر عن شربها سيؤدي إلى قتل من ينهاه.

فيسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا المورد، لأن حياة الشخص بنظر الشارع أهم من شرب ذلك الشخص للخمر، فلو عكس الأمر، وكان عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيؤدي إلى محق الدين وصيرورة حلاله حراماً، وحرامه حلالاً، بالإضافة إلى حدوث البدع فيه، أو نحو ذلك، فلا يجوز في هذه الأحوال ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لو أدى فعله إلى قتل من يأمر وينهى. لأن حدوث البدعة في الدين، أو تغيير أحكامه، وطمس أعلامه أعظم خطراً من قتل النفس، فلا بد من التصدي حتى لو حصل القتل بسبب الفعل، إذا كان القتل سيؤدي إلى منع البدعة في الدين، وإلى حفظ حقائقه نقية، وسليمة، وبعيدة عن خطر ضعف تأثير الدين في النفوس، وعن أخطار ومساوئ هتك حرمته.

ويفهم من كلامه «عليه السلام»: أن عدم بيعته ليزيد هو من المفردات والوسائل التي تدل الناس على المنكر، وتعرفهم بالخطر

الهائل على الإسلام الذي يجسده يزيد حين تبتلى الأمة به، ويصبح راعياً لها، فقد قال «عليه السلام»: «وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد».

وبذلك يعرف أن هذا الامتناع عن البيعة، الذي سوف ينتهي بقتله، هو من مفردات الإصلاح في أمة جده محمد «صلى الله عليه وآله».

الخلفاء الراشدون في بعض المصادر:

ثم إن ذكر الخلفاء الراشدين في كلام الإمام «عليه السلام» إنما ورد في بعض المصادر، دون بعض.

ولعل سبب إهمال بعض المؤلفين لهذه الفقرة هو شكهم في صحتها، للسبب بل للأسباب التي قدمناها، وذكرنا أيضاً بعضها حين الكلام عما جرى بينه وبين محمد ابن الحنفية حين كلمه محمد في أمر مسيره، وبيّن له ما يدور بخلده حول الموضع الذي يسير إليه.. وقد بيّنا أسباب شكهم بهذه الفقرة: أنها أسباب غير وجيهة، ولا يمكن الاعتماد عليها..

الفصل الخامس:

إلــــى مكــــة..

الحسين × إلى مكة:

وبعد أن ذكر ابن أعثم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» كتب الكتاب لمحمد ابن الحنفية، وختمه بختمه، أعطاه إياه، و «ودعه وخرج في جوف الليل، يريد مكة بجميع أهله، وذلك لثلاث ليال مضين من شهر شعبان في سنة ستين، فجعل يسير ويقرأ هذه الآية: **(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**(١).

فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب: يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله»! لو عدلنا عن الطريق، وسلكنا غير الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي الرأي، فإنا نخاف أن يلحقنا الطلب!

فقال له الحسين: لا والله يا بن عمي! لا فارقت هذا الطريق أبداً، أو أنظر إلى أبيات مكة، أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى.

ثم جعل الحسين يتمثل بشعر يزيد بن المفرغ الحميري:

لا سهرت(٢) السوام في فلق الصبـ ـح مضـيئاً ولا دعيـت يـزيـدا

---

(١) الآية ٢١ من سورة القصص.

(٢) في مصادر أخرى: لا ذعرت. والسوام ـ بفتح السين ـ: هي الأبل التي

يوم أعطي من المخافة ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا[١]

قالوا: وكان مخرج ابن الزبير قبل خروج الحسين «عليه السلام» بليلة[٢]، وزاد بعضهم قوله: أو بليلتين[٣].

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

لا بد من الرحيل:

تقدم: أن يزيد «لعنه الله» كان يرسل بالكتاب تلو الكتاب يأمر فيه

ترعى. والسوام ـ بضم السين ـ : طائر.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢١ و ٢٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٩ وراجع: الملهوف ص١٠١ و (ط أخرى) ص٣٩ و ٤٠ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٦٩هـ) ص٢٦ و ٢٧ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨١ ولواعج الأشجان ص٣١ و ٣٢ ونور الثقلين (تفسير) ج٤ ص١٢٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٠ ص٥٣.

(٢) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف (ط المطبعة العلمية ـ قم) ص٧.

(٣) تذكرة الخواص ج٢ ص١٣٢.

الوليد بن عتبة بقتل الحسين «عليه السلام»، وإرسال رأسه إليه، وكان يتحفه بالوعود، ويطمعه بالمناصب. وكان مروان يصر على الوليد بهذا أيضاً. ولكن الوليد لم يستجب لهذه الضغوط، لحسابات وأمور تحدثنا عنها فيما سبق.

ولو بقي الحسين «عليه السلام» مصراً على الرفض، وبقي في المدينة أعزها الله، فإن يزيد سيعلن الحرب على الحسين «عليه السلام»، ولن يستطيع بنو هاشم، ولا جميع أهل المدينة أو مكة أن يدفعوا القتل عنه وعن أنفسهم، لأن المدينة ليس فيها ما يكفي من الرجال والمال، ولا تستطيع أن تصمد أمام الحصار الطويل، لأن إيصال المدد إليها من الأموال والرجال في غاية الصعوبة، فإن طرق إمدادها طويلة، ويمكن السيطرة عليها، وقطعها بسهولة.

وبعد أن أصبح الخطر داهماً، بات واضحاً أن الأمر سينتهي إلى عزل الوليد عن المدينة بعد تفويته الفرصة على يزيد، فلا بد من مغادرة المدينة في أسرع وقت، فإذا استطاع الحسين «عليه السلام» أن يصل إلى مكة، فإن وجوده فيها سيجعل قتله، أكثر صعوبة، إذ قد أصبح يزيد بحاجة إلى وضع خطط، وحياكة مؤامرات لاغتياله قبل أن يستحكم أمره ويجتمع الناس حوله، وقبل أن ينتقل إلى بلد آخر ـ كالعراق ـ يجد فيه المال، والرجال. ويصعب على جيش الشام السيطرة على خطوط إمداده..

وقد ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه

السلام» بعض ما يرتبط باستراتيجية الكوفة في خلافة علي «عليه السلام». وذكرنا هناك نصوصاً وشواهد تدلل على هذا الذي ذكرناه هنا، فراجع ذلك الكتاب ج٢٧ فصل: العراق ضرورة، والكوفة عاصمة.

تنظر وننظر:

وقبل أن ندخل في التفاصيل نحب أن نلمح إلى الأمر التالي:

إن الوليد كان يعلم أن أخذ البيعة من الحسين «عليه السلام»، ومن ابن الزبير أمر في غاية الصعوبة، وكان الحسين «عليه السلام» يدفع إلحاح الوليد عن نفسه مرة بعد أخرى، ثم تمكن ابن الزبير من الخروج من المدينة إلى مكة.

وقالوا: «وأما الحسين بن علي «عليه السلام» فإن الوليد تشاغل عنه بابن الزبير، وجعل كلما بعث إليه يقول: حتى تنظر وننظر، ثم جمع أهله وبنيه وركب إلخ..»(١).

وفي نص آخر: أنه لما كان آخر النهار ـ بعد خروج ابن الزبير ـ بعث الرجال إلى الحسين بن علي «عليهما السلام» ليحضر فيبايع ليزيد بن معاوية.

فقال لهم الحسين: أصبحوا، ثم ترون، ونرى.

فكفوا تِلْكَ الليلة عنه، ولم يلحوا عَلَيْهِ، فخرج من تحت ليلته.

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨.

وقريب منه ذكره الطبري وغيره(١).

والذي نلاحظه هنا ما يلي:

١ ـ إن الوليد كان يلح على الإمام بالحضور لأجل البيعة، مع أنه كان قد أقر بأن بيعة الحسين يجب أن تتم في اجتماع عام يعقد لأجل البيعة العامة.

فإلحاحه عليه بالحضور للبيعة منفرداً، وفي مجلس خاص لا يحضره العامة لا ينسجم مع ذلك الإقرار. وإنما عقد المجلس العام للبيعة بعد خروج الإمام الحسين «عليه السلام» من المدينة إلى مكة.

ولعل قول الإمام الحسين «عليه السلام» عن الوليد حينما دعاه إلى منزله لأجل البيعة: إنه غير مأمون، يحمل في طياته الإجابة الكافية والشافية، ويشي بأمر كان الوليد يدبره بليل.

٢ ـ إن كلمة الإمام «عليه السلام»: «تنظر وننظر» لا يتضمن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ والإرشاد (ط دار المفيد) ج٢ ص٣٤ وروضة الواعظين ص١٨٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧١ و ١٧٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ ولواعج الأشجان ص٢٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٠ والمجالس الفاخرة ص١٨٣ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٦.

وعداً منه بالحضور، ولا وعداً بالبيعة.. فإذا فهم منها الوليد ما لا تدل عليه، فالملامة على من أخطأ في فهمها، لا على قائلها. بل في هذه الكلمة إشعار بأن إعطاء الحسين «عليه السلام» البيعة ليزيد أمر بعيد المنال..

بل إن الحسين «عليه السلام» كان قد أعلن في منزل الوليد ـ كما تقدم ـ: أن من هو مثل الحسين «عليه السلام» لا يبايع من هو مثل يزيد. فما معنى هذا الإلحاح من الوليد عليه بالحضور للبيعة سوى التصميم على إكراهه عليها؟!

٣ ـ يلاحظ: أن الوليد حين كان يرسل إلى الإمام الحسين «عليه السلام» طالباً منه الحضور للبيعة لم يكن يرسل له رجلاً يبلغه ذلك.. بل كان يبعث إليه الرجال!! فهل كان يفعل ذلك لأجل تخويف الإمام ومن معه من بني هاشم وغيرهم؟!.

أو كان يرسلهم ليأتوا به مخفوراً، حتى لا يفكر بأنه قادر على التخلص منهم؟!.

خرج في جوف الليل:

١ ـ تقدم قول ابن أعثم: إن الإمام الحسين «عليه السلام» خرج في جوف الليل(١).

---

(١) راجع بالإضافة إلى الفتوح: الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ج٢ ص٣٤ وروضة الواعظين ص١٨٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧١ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ و

وصرح ابن طاووس: بأن ارتحاله «عليه السلام» كان في وقت السحر(١).

٢ ـ وتقدم أيضاً: «أنه «عليه السلام» خرج من المدينة وهو يقرأ قوله تعالى: **(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)**(٢)»(٣).

فدلنا بذلك: على أنه «عليه السلام» حتى لو كانت السلطة قد انشغلت عنه بفرار ابن الزبير إلى مكة، وبما جرى في سجن المدينة، فإن الحاجة إلى الحذر، من الخطر والضرر تبقى قائمة، وانشغال

---

٣٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٦ و ١٧٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ و ١٧ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٤ وراجع: الأخبار الطوال ص٢٢٨ وتذكرة الخواص ج٢ ص١٣٢ والبداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨ ومصادر كثيرة أخرى.

(١) الملهوف ص٣٩ و ٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٤ ولواعج الأشجان ص٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ وعن معالي السبطين ج١ ص٢٥١.

(٢) الآية ٢١ من سورة القصص.

(٣) الإرشاد للمفيد ص٢٢٣ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ص٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ والعوالم ج١٧ ص١٨١ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٠ ص٥٣.

السلطة عنه لا يبرر شعوره بالأمن من مكائد القوم الظالمين، الذين كانوا يتربصون به الدوائر.

على أن انشغالهم عنه قد يكون بحسب الظاهر، فلعلهم كانوا في الباطن قد وظفوا من يقوم باغتياله قبل خروجه من المدينة وسيكونون ـ لو تم لهم هذا ـ قادرين على التنصل من هذا الاغتيال، ورميه على مجهول.

ومع افتضاح أمر القاتل، فإنهم قد يدعون أن القاتل قد فعل فعلته بقرار منه، ولم يكن لهم علم بنواياه، ثم يقتلونه بدعوى القصاص.. وبذلك يضيع دمه «عليه السلام»، وتهتك به حرمة حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

بل يكون قتله من أسباب تقوية الظالمين، وفي صالحهم..

ومن المعلوم: أنه «عليه السلام» لم يكن يخاف القتل، وإنما كان يريد إفشال ما يريده قاتلوه من تضييع دمه، مع علمه بأنهم مصرون على قتله، كما دل عليه قوله لأخيه ابن الحنفية: «والله يا أخي، لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني»[١].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥ ص٩٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٢٣ وينابيع المودة ج٣ ص٦٠ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٣٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٩ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٦٧ وراجع: مدينة المعاجز ج٣ ص٤٨٥ ولواعج الأشجان ص٧٢ و ٢٥٦

وقد أخبر أم سلمة أيضاً: بأنه مقتول لا محالة، كما تقدم.

متى خرج الحسين × من المدينة؟!:

وعن تاريخ خروجه «عليه السلام» من المدينة نقول:

١ ـ قال ابن عساكر: «وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير من ليلتهما إلى مكة»(١).

وقال ابن سعد: «وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير من ليلتهما إلى مكة فأصبح الناس، فغدوا على البيعة ليزيد. وطلب الحسين «عليه السلام» وابن الزبير فلم يوجدا»(٢).

وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ و ٦٢٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٠٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٠٦.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٨ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٧ وج٣٣ ص٦٦٩.

(٢) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٦ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٤٣ وتهذيب الكمال ج٦ ص٦١٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٧ وراجع: البداية والنهاية ج٨ ص١٦٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٥ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٧ وج٣٣ ص٦٦٩ ـ ٦٧٠.

والمراد بـ «ليلتهما» ـ كما يظهر ـ: ليلة الإجتماع في دار الوليد بن عتبة.

وقال ابن طاووس: «قال رواة حديث الحسين «عليه السلام» مع الوليد بن عتبة ومروان: فلما كان الغداة توجه الحسين «عليه السلام» إلى مكة لثلاث مضين من شعبان سنة ستين»(١).

٢ ـ يقول سبط ابن الجوزي: «وخرج الحسين في الليلة الآتية بأهله وفتيانه، وقد اشتغلوا عنه بابن الزبير، فلحق بمكة»(٢).

وقال الشيخ المفيد وغيره: «فأقام الحسين «عليه السلام» في منزله تلك الليلة (أي ليلة لقائه بالوليد)، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين من الهجرة.. إلى أن قال: فكفوا تلك الليلة عنه ولم يلحوا عليه. فخرج «عليه السلام» من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، متوجهاً نحو مكة»(٣).

---

(١) الملهوف (ط سنة ١٤١٩ هـ) ص٣٩ و (ط أنوار الهدى سنة ١٤٧١هـ) ص٢١.

(٢) تذكرة الخواص ج٢ ص١٣٢.

(٣) الإرشاد للمفيد ص٢٠٢ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ج٢ ص٣٤ و ٣٥ وروضة الواعظين ص١٨٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧١ و ١٧٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٦ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٦ ولواعج الأشجان ص٢٦ و ٢٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ وراجع: البداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨

وقريب منه ما في الطبري أيضاً(١).

٣ ـ قال أبو سعيد المقري: سمعت الحسين «عليه السلام» يتمثل تلك الليلة، وهو خارج من المسجد بقول ابن المفرغ:

لا ذعـرت السـوام فـي غسـق مغيـــراً ولا دعيـــت يزيـــدا

يـوم أعطـي مخافـة المـوت والمنايـا يرصـدنني أن أحيـدا

قال: فقلت في نفسي: ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريده، فخرج بعد ليلتين إلى مكة(٢).

والمراد بقوله: «تلك الليلة»: هو ليلة لقائه الوليد كما يظهر بالمراجعة.

ونقول:

قد يقال: إن كلام ابن عساكر وابن سعد وإن كان فيه بعض الإبهام،

ص١٥٨.

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢ و ٢٥٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩ و ١٠ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٦ و ١٧ وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ .

(٢) تذكرة الخواص ج٢ ص١٣٢ وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٣ ولواعج الأشجان ص٢٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٦ وأنساب الأشراف ج٥ ص٣٠٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٧ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٢ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨١.

إلا أن كلام ابن طاووس صريح بأنه «عليه السلام» قد غادر المدينة في نفس ليلة اجتماعه بالوليد بن عتبة ومروان، وذلك حين صلاة الصبح..

فهل كان «عليه السلام» قد أعد عدة الرحيل قبل أن يلتقي بالوليد؟! وهل يتسع هذا الوقت القصير للإعداد لقافلة فيها هذا الحجم الكبير من النساء والأطفال والرجال؟! لاسيما مع ما تقدم، من أنه «عليه السلام» قد بقي ليلة عند قبر جده، ولقي أخاه ابن الحنفية في صبيحتها(١). كما أنه لقي أم سلمة، ونساء بني هاشم، وعمر الاطرف، وقد تقدم الحديث عن ذلك كله.

وكيف نجمع أيضاً بين هذا وبين النص الذي يقول: إنه خرج في اليوم التالي يستمع الأخبار، فلقي مروان بن الحكم، وجرى بينهما كلام طويل وحاد(٢). إلى غير ذلك من نصوص كثيرة تجعل من مغادرته المدينة في ليلة لقائه بالوليد، وفي الليلة التي بعدها أمراً غير مقبول.

بل قد تقدم معنا بعض ما يدل على تأخر خروج الإمام الحسين

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٨ ـ ٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٩ الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٨ وينابيع المودة ج٣ ص٥٤.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٦ و ١٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٧٥.

«عليه السلام» عن لقائه بالوليد أياماً كثيرة.. لاسيما إذا أخذنا بالنصوص التي تقول: إن معاوية مات في أول شهر رجب سنة ستين. وقد وصل الحسين «عليه السلام» إلى مكة أعزها الله، أو خرج من المدينة في الثالث من شهر شعبان.

ويؤيد ما قلناه من مرور أيام كثيرة: أن بعض النصوص قالت: «خرج حسين بن علي من منزله ذات ليلة، وأتى قبر جده، فقال: السلام عليك.. إلى أن قال: ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح»[1].

ولعله قد حصل خلط بين مسيره «عليه السلام» من المدينة، الذي كان وقت السحر، وبين مسيره من مكة، الذي كان حين صلاة الصبح، حيث إنه «عليه السلام» كان قد خطب الناس قبل ذلك، وقال: «من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»[2].

وإن كان سيأتي أن هناك من يقول: إنه «عليه السلام» قد ارتحل وقت السحر أيضاً[3]. وإذا صح هذا، فإن سبب الإعلان في مكة عن

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٧ و ٣٢٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٧ عن محمد بن أبي طالب.

(٢) الملهوف ص٥٧ و (ط أنوار الهدى سنة ١٤١٧هـ) ص٣٨ ومثير الأحزان ص٢٩ ولواعج الأشجان ص٧٠ ونزهة الناظر للحلواني ص٨٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣.

(٣) الملهوف ص٣٩ و ٤٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٤ والعوالم، الإمام

وقت مسيره هو: غلبة الظن بأن أحداً سوف لا يجرؤ على التعرض له. لكن الأمر في المدينة كان على عكس ذلك.

خرج بجميع أهله:

وتقدم قول الخوارزمي وابن أعثم: إن الحسين «عليه السلام» خرج بجميع أهله.

ونقول:

١ ـ بناءً على هذا، إن كانت أم علي الأكبر (ليلى بنت مرة) على قيد الحياة، كما يدل عليه ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، من أنها سمعت الجن تنوح على الحسين «عليه السلام». فإن هذا النص يدل على أنها قد حضرت كربلاء، لأنها من جملة أهله الذين حملهم من المدينة..

واحتمال أن يكون قد تركها في مكة بعد خروجه إليها، أو أنه أعادها إلى المدينة وتركها فيها حين سار إلى العراق، لأن طريقه تمر في المدينة..

هذا الاحتمال يحتاج إلى شاهد ودليل. والشواهد على خلافه موجودة، فإن الحسين «عليه السلام» لا يترك زوجته في بلاد الغربة من دون كافل، ومن دون سبب ظاهر. كما أن عودة الحسين «عليه

الحسين ج١٧ ص٢١٤ ولواعج الأشجان ص٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ وعن معالي السبطين ج١ ص٢٥١.

السلام» إلى المدينة تعطي الفرصة لواليها ولمروان وحزبهما لأخذه، وإجباره على البيعة.

بل هناك بعض الشواهد الدالة على حضور ليلى «رحمها الله» كربلاء، كما يدل عليه ما نقلناه عن ابن شهرآشوب وغيره، فراجع كتابنا: «كربلاء فوق الشبهات».

على أن أمر الرباب، لو كانت قد تخلفت عن المسير، ولم يصحبها «عليه السلام» معه ليس بالذي يتهاون فيه، أو يجهل، أو يتجاهل، بل سنجد المؤرخين يهتمون به، ويعملون على معرفة أسبابه.

٢ ـ ونفس هذا الكلام نقوله حول ما يقال، من أنه «عليه السلام» ترك إحدى بناته في المدينة بسبب مرضها، فإن المؤرخين والرواة سوف يهتمون لهذا الأمر، ويتداولونه، ولا يهملونه، وسيذكرون من تكفل بتلك المريضة، وماذا جرى لها. وماذا كان مصيرها في مرضها.

وسيأتي بعض الحديث حول الرواية التي ذكرت ذلك.

في سنة ستين:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد خرج من المدينة في سنة ستين في الثالث من شعبان، وهنا ملاحظتان:

أولاهما: قولهم: إن ذلك كان في سنة ستين موضع ريب شديد، فقد ذكرنا: أن هذا لا يتلاءم مع ما روي عن رسول الله «صلى الله

عليه وآله» من أنه قال: «يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري»، أو نحو ذلك.. فإن رأس السنة أولها، وليس آخرها. وهذا يقتضي أن يكون خروجه «عليه السلام» من المدينة إلى مكة في سنة تسع وخمسين.

الثانية: قوله: إنه «عليه السلام» قد خرج من المدينة في الثالث من شهر شعبان[1]. مع أن هناك من يقول: إنه دخل مكة في الثالث من شهر شعبان[2]، وأنه إنما خرج من المدينة لثلاث بقين من شهر

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٤١٣ ومثير الأحزان ص١٥ والملهوف (ط أنوارالهدى سنة ١٤١٧هـ) ص٢١ وينابيع المودة ج٣ ص٥٥ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٩.

(٢) الإرشاد ج٢ ص٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨١ ولواعج الأشجان ص٣٢ ونور الثقلين (تفسير) ج٤ ص١٢٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٠ ص٥٣ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٧١ و (ط دار التعارف سنة ١٣٩٧هـ) ج٣ ص١٦٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٨١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٨٦ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧١ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥.

رجب أو ليومين بقيا منه[١].

ولا مجال لترجيح أحد القولين على الآخر، إذ لم يتوفر لدينا ما يؤيد هذا الترجيح. فقول العلامة الأمين «رحمه الله»[٢]: إن القول الأخير هو الأصح، لم نعرف له وجهاً.

سلك الطريق الأعظم:

وتقدم: أن مسلم بن عقيل «رحمه الله» طلب من الحسين «عليه السلام»: أن يعدل عن الطريق الأعظم خوفاً من أن يدركهم الطلب، ولكن الإمام «عليه السلام» رفض ذلك بشدة وحزم، مصرحاً: بأنه لن يعدل عن الطريق الأعظم حتى يدخل مكة، بل هو يقسم على ذلك أيضاً.

والسؤال هنا هو: إذا كان «عليه السلام» قد خرج من المدينة في جوف الليل في وقت السحر ليأمن الرقباء، لكي لا تتمكن السلطة من

---

(١) روضة الواعظين ص١٨٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧١ و ١٧٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦ و ٣٣٢ والإرشاد للمفيد ص٢٠٢ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ج٢ ص٣٤ و ٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٦ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٦ ولواعج الأشجان ص٢٦ و ٢٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ وراجع: البداية والنهاية ج٨ ص١٤٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨ و ١٧١ .

(٢) لواعج الأشجان ص٢٩.

ملاحقته، ومنعه من المسير، وقد رأى حرص السلطة على ملاحقة ابن الزبير، وقد فشلت في ذلك، لأنه تنكب الطريق الأعظم.. فلماذا يصر الحسين «عليه السلام» على هذه المخاطرة بإصراره على التزام الطريق الأعظم يا ترى؟!

قد يقال في الجواب:

أولاً: لعله «عليه السلام» أراد أن يقدم دلالة واضحة لأهل بيته على علمه بأن أعداءه لن يحاولوا اللحاق به، فإن فشلهم في اللحاق بابن الزبير لتنكبه الطريق العام، قد أضعف عزيمتهم، وأوهمهم أنه هو أيضاً سوف يتنكب ذلك الطريق، ولن يتمكنوا من اللحاق به، أو لاعتقادهم بأن الوقت الذي مضى كان يكفي لابتعاده «عليه السلام» عن المدينة، وقطعه مسافات شاسعة، تجعل اللحاق به أمراً غير ميسور لهم..

ثانياً: كان «عليه السلام» يعلم: بأنه لو لم يغادر فإن الوليد سوف يبذل جهده في الضغط عليه للحصول على البيعة منه، وقد تنتهي الأمور به إلى الإقدام على الصدام معه، الذي يحاول مروان وحزبه أن يوجدوا مناخاته، ويختلقوا مبرراته. أي أنه سوف ينغمس فيما يريد له يزيد ومروان أن ينغمس فيه، وهو ما كان يتحاشاه، لا ورعاً وخوفاً من الله، بل خوفاً على نفسه، فلو شعر بالأمن لأقدم عليه، وكذا لو شعر بالخطر على نفسه لو لم يفعل ما يطلبه منه يزيد ومروان. وهذا

يفسر لنا قوله «عليه السلام» عن الوليد: بأنه غير مأمون(١).

غير أن هذين الوجهين أو الجوابين لا يبلغان بالأمر إلى حد إسقاط الاحتمالات الأخرى التي تقود إلى لزوم الاحتياط.

ولأجل ذلك نقول:

هنا جواب آخر يبدو مقبولاً ومعقولاً، وهو التالي:

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد أخبر أهله بما علمه من غيب حباه الله تعالى به، من خلال ثبوت مقام الإمامة له «عليه السلام». وهو علم قاطع للعذر، لا يختلف ولا يتخلف.

وقد أراد «عليه السلام» أن يربط على قلوب من معه، ليعيشوا السكينة، والسلام واليقين، إعداداً لهم لمواجهة الإمتحان الكبير والخطير الذي ينتظرهم.

كما أن علم الناس بما صدر منه «عليه السلام» وعقد العزم عليه، سيؤثر على نظرتهم، وعلى وضوح الأمور لديهم، وتأكيد مقام الإمام والإمامة في نفوسهم.

وسنرى أن سلوكه «عليه السلام» الطريق الأعظم قد مهد السبيل لالتحاق بعض الناس به، وقد استشهدوا معه في كربلاء.

---

(١) راجع: الإرشاد (ط دار المفيد) ج٢ ص٣٣ وروضة الواعظين ص١٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧٣ ولواعج الأشجان ص٢٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٧.

الفصل السادس:

ثلاث روايات مشبوهة..

بنت للحسين × بقيت في المدينة:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«روي في كتب المناقب القديم، عن علي بن أحمد العاصمي، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه، عن أبي عبد الله الحافظ؛ عن يحيى بن محمد العلوي، عن الحسين بن محمد العلوي، عن أبي علي الطرسوسي، عن الحسن بن علي الحلواني، عن علي بن يعمر، عن إسحاق بن عباد، عن المفضل بن عمر الجعفي، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن علي بن الحسين «عليهم السلام»، قال:

لما قتل الحسين بن علي جاء غراب، فوقع في دمه، ثم تمرغ، ثم طار، فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي «عليهما السلام» وهي الصغرى. فرفعت رأسها، فنظرت إليه فبكت بكاءً شديداً، وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت من تنعاه ويلك يا غراب
قال الإمام، فقلت: من قال: الموفق للصواب

إن الحسين بكربلا بين الأسنة والضراب
فابكي الحسين بعبرة ترجى[١] الإله مع الثواب
قلت: الحسين، فقال لي: حقا لقد سكن التراب
ثم استقل به الجنا ح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حلّ بي بعد الدعاء المستجاب

قال محمد بن علي: فنعته لأهل المدينة، فقالوا: جاءت بسحر (بني) عبد المطلب فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين «عليه السلام»[٢].

---

(١) لعل الصحيح: ترضي.

(٢) بحار الأنوار ج٤٥ ص١٧١ و ١٧٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٤٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٤٩٢ وج٢٧ ص٣٩٤ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٩٢ و ٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٤ ص١٩ و (ط دار الفكر سنة ١٤١٥هـ) ج٧٠ ص٢٤ ومختصر تاريخ دمشق ج٢٠ ص٣٥٨ وفرائد السمطين ج٢ ص١٦٣ و ١٦٤ والعوالم ج١٧ ص٤٩٠ وتاريخ إمام حسين ج٣ ص١٠٧٤ ـ ١٠٧٧ عنهم، وعن تراجم النساء ص٢٨٦ و ٢٨٧ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٤٦ و ٢٦٤٧ والدمعة الساكبة ج٤ ص٣٨٠ و ٣٨١ وأسرار الشهادة ص٤٤٥ والعيون العبرى ص١٩٠ وغير ذلك. وهناك اختلاف بين المصادر في بعض الكلمات لا نرى حاجة لذكرها.

جدتي أم سلمة!!:

وقال الدربندي، والحائري:

عن بعض كتب المقتل: وكان له بنت تسمى بفاطمة، وكانت حين خروجه من المدينة مريضة، جعلها عند أم سلمة، وكانت كل يوم تجيء خلف الباب لعلها تجد من كان له اطلاع بحال والدها.

ولما طال زمان الفراق، ولم يصل الخبر من والدها اشتغلت بالبكاء، وتراكمت عليها الأحزان، وكتبت كتاباً لوالدها بينت فيه حالها. فلما فرغت من كتابته، واشتغلت بالنوح والبكاء لفرقة والدها وغيره، فإذا أعرابي سمع بكاءها، فتأثر من بكائها، فبكى ساعة، ثم علم أن الباكية بنت الإمام، وبكاؤها لفراقه «عليه السلام». فنادى بصوت عال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، أنا رجل من البادية، أريد الرواح إلى كربلاء، فهل لكم حاجة؟!

فلما سمعته فاطمة، جاءت خلف الباب، وردت جواب سلامه وقالت: يا أعرابي! أنا بنت الحسين «عليه السلام»، فإنه لما عزم إلى كربلاء كنت مريضة، فسلمني إلى جدتي أم سلمة، زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فالآن لم تبق لي طاقة من هجرانه، وكتبت كتابة وأريد من يوصلها إليه.

فأخذها الأعرابي منها، ففي يوم عاشوراء وقت المحاربة بلغ إلى كربلاء، وسلمه إليه «عليه السلام».

فلما فتحه، واطلع على مضمونه بكى بكاءً شديداً، ثم جاء عند

أهل البيت، وقرأها لهن، فبكين بكاءً شديداً.

ولم يظهر حال الأعرابي أنه كان ملكاً، أو بشراً، وصار شهيداً، أم لا(١).

انتهى كلامه، وقد أصلحنا عدداً من كلمات هذا النص، فليلاحظ ذلك.

ونقول:

إننا نرتاب في صحة ما يذكر عن إبقاء الحسين «عليه السلام» ابنته فاطمة (التي يقال: إنها الصغرى في المدينة) وسبب هذا الريب أمور، نجملها فيما يلي:

ألف: فيما يرتبط بهذا النص الأخير نقول:

أولاً: إن هذا الذي يقول ناقله: إنه أخذ، من بعض كتب المقتل إنما ينقله عن كتاب مجهول الإسم، مجهول المؤلف.

ثانياً: إنه يقول على لسان فاطمة هذه: «فسلمني إلى جدتي أم سلمة، زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..» مع أن أم سلمة ليست من جداتها.

ثالثاً: لماذا لم تُذكر هذه الرواية إلا في كتابي الدربندي المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ.ق. وعنه أخذها المازندراني الحائري؟!

رابعاً: إن قول ابن أعثم، والخوارزمي المتقدم: إن الإمام الحسين «عليه السلام» خرج بجميع أهله، نص صريح بعدم تخلف أحد من

---

(١) راجع: أسرار الشهادة ص٤١٠ ومعالي السبطين ص٢٢٢ عنه .

أهله عنه «عليه السلام»، لا ابنته فاطمة ولا غيرها..

خامساً: إن فاطمة بنت الحسين «عليها السلام» قد حضرت كربلاء، وسبيت في من سبي إلى الشام، فإن كان للحسين «عليه السلام» بنت أخرى اسمها فاطمة، وقد خلفها «عليه السلام» في المدينة لأجل مرضها، فيفترض بالمؤرخين أن يبحثوا عن مصيرها، وعما جرى عليها، وأن يلفتوا النظر إلى تخلفها عن أبيها.

ويتأكد هذا، مع وجود حديث الغراب الذي يشير إلى وجود من اسمها فاطمة الصغرى في المدينة، حين استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام».

ب: وعن حديث الغراب نقول:

أولاً: قال ابن عساكر: «إسناد هذه الحكاية لا يثبت. وقد ذكرنا أنها كانت مع عيال الحسين بكربلاء»(١).

وعن المجلسي «رحمه الله»: إن هذا الحديث لا يخلو من غرابة، لمخالفته لغيره من الأخبار(٢).

ثانياً: قلنا آنفاً: إن فاطمة الصغرى كانت في جملة من سبي من حرم أهل البيت «عليهم السلام» وقد خطبت في أهل الكوفة حين دخلتها خطبة بليغة، فقد روى ابن طاووس عن زيد ابن الإمام موسى

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٧٤ ص١٩ و (ط دار الفكر سنة ١٤١٥هـ) ج٧٠ ص٢٤.

(٢) تاريخ إمام حسين ج١٣ ص١٠٧٧ عن جلاء العيون ص٦٩٢.

«عليه السلام» (وهو زيد النار) قال:

«حدثني أبي، عن جدي الصادق «عليه السلام»: خطبت فاطمة الصغرى، بعد أن وردت (ردت) من كربلاء، فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى الخ..»(١).

وفاطمة هذه هي زوجة الحسن المثنى..

وقد قال بعضهم: إن وصف فاطمة هذه بـ «الصغرى» إنما هو بالإضافة إلى فاطمة الزهراء «عليها السلام»، إظهاراً لكرامة السيدة الزهراء، وتأكيداً على تميزها.. لا لأجل وجود فاطمة أخرى أكبر منها.

وإذا قبلنا حديث الغراب، فإن وصف فاطمة بالصغرى لا يأبى عن هذا الذي يقال. وإن ارتبنا بالرواية المشار إليها، فإما أن نردها من رأس، أو أن نقول: إن هذه التي تعاملت مع الغراب هي امرأة من بني هاشم اسمها فاطمة، ولعلها كانت تتردد على بيت فاطمة زوجة الحسن المثنى، وتتعاهده أو تقيم فيه من أجل حفظه وصيانته.

ثالثاً: إن مجرد رؤية الغراب على جدار البيت ليس فيه أية دلالة على موت أحد أو حياته، حتى لو رأته ملطخاً بالدم، فإن ذلك لا دلالة

(١) الملهوف ص١٧٨ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٧ وبحار الأنوار ج٤٥ ص١١٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٧٩ ولواعج الأشجان ص٢٠٢ ومثير الأحزان ص٦٧.

له على أن هذا الدم هو من دم هذا أو ذاك، أو من دم إنسان أو غيره..

فما معنى أن تنعى أباها لأهل المدينة استناداً إلى مشاهدتها الغراب على الجدار؟! أليس هذا من التشاؤم المنهي عنه؟ ولا يرفع مقته عند الشارع، وتقبيحه له أن يأتي الخبر بتصديق ما خطر على بالها أو بال غيرها..

رابعاً: تقدم: أن قول الخوارزمي، وابن أعثم: خرج بجميع أهله لا يتلاءم مع إبقاء فاطمة عند أم سلمة.

رحيل ملك الحجاز!!:

ذكر الفاضل الدربندي رواية، قال: إن بعض تلامذته الشعراء والأدباء من العرب ظفر بها في مجموعة كانت تنسب إلى الفاضل الأديب المقرى. وهي التالية:

روى عبد الله بن سنان الكوفي، عن أبيه، عن جده، أنه قال: خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين «عليه السلام»، وهو يومئذ بالمدينة، فأتيته، فقرأه، وعرف معناه، فقال: أنظرني إلى ثلاثة أيام.

فبقيت في المدينة، ثم تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، فقلت في نفسي: أمضي وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب، وكيف جلالته وشأنه، فأتيت إلى باب داره، فرأيت الخيل مسرجة، والرجال واقفين، والحسين جالس على كرسي، وبنو هاشم حافين به، وهو بينهم كأنه البدر ليلة تمامه وكماله، ورأيت نحواً من أربعين

محملاً، وقد زينت المحامل بملابس الحرير والديباج.

فعند ذلك أمر الحسين بني هاشم بأن يُركبوا محارمهن على المحامل، فبينما أنا أنظر وإذا بشاب قد خرج من دار الحسين، وهو طويل القامة، وعلى خده علامة، ووجهه كالقمر الطالع، وهو يقول: تنحوا عني يا بني هاشم، وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار، وهما تجران أذيالهما على الأرض حياء من الناس، وقد حفت بهما إماؤهما، فتقدم ذلك الشاب إلى محمل من المحامل وجثى على ركبتيه، وأخذ بعضديهما وأركبهما المحمل.

فسألت بعض الناس عنهما، فقيل: أما إحداهما فزينب، والأخرى أم كلثوم، بنتا أمير المؤمنين «عليه السلام».

فقلت: ومن هذا الشاب؟!

فقيل لي: هو قمر بني هاشم، العباس بن أمير المؤمنين «عليه السلام».

ثم رأيت بنتين صغيرتين كأن الله تعالى لم يخلق مثلهما، فجعل واحدة مع زينب، والأخرى مع أم كلثوم.

فسألت بعض الناس عنهما، فقيل لي: هما سكينة وفاطمة بنتا الحسين «عليه السلام».

ثم خرج غلام آخر كأنه البدر الطالع، ومعه امرأة، على كتفها طفل صغير، وقد حفت بها إماؤها، فأركبها ذلك الغلام المحمل.

فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لي: أما الغلام فهو علي الأكبر بن

الحسين «عليه السلام»، والامرأة أمه ليلى زوجة الحسين، والطفل عبد الله الرضيع بن الحسين.

ثم خرج غلام آخر، ووجهه كفلقة القمر، ومعه امرأة، فسألت عنها؟ فقيل لي: أما الغلام فهو القاسم بن الحسن المجتبى، والإمرأة أمه.

ثم خرج شاب آخر، وهو يقول: تنحوا عني يا بني هاشم، تنحوا عن حرم الغريب أبي عبد الله. فتنحى عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعليها آثار الملوك، وهي تمشي على سكينة ووقار، وقد حفت بها إماؤها، فسألت عنها؟

فقيل لي: أما الشاب فهو زين العابدين ابن الإمام «عليه السلام».

وأما الإمرأة فهي أمه شاه زنان بنت الملك كسرى، زوجة الإمام، فأتى بها وأركبها على المحمل، ثم اركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل.

فلما تكاملوا نادى الإمام «عليه السلام»: أين أخي، أين كبش كتيبتي، أين قمر بني هاشم؟!

فأجابه العباس: لبيك، لبيك.

فقال له الإمام: قدم إلي جوادي، فأتى العباس بالجواد إليه، وقد حفت به بنو هاشم، فأخذ العباس بركاب الفرس حتى ركب الإمام «عليه السلام».

ثم ركب بنو هاشم، وركب العباس، وحمل الراية أمام الإمام.

فصاح أهل المدينة صيحةً شديدة، وعلت أصواتُ بني هاشم بالبكاء والنحيب، وقلنا: الوداع الوداع، الفراق الفراق.

فقال العبّاس: إي والله هذا يوم الفراق، والملتقى يوم القيامة، ثم ساروا قاصدين الكوفة.

فسرت معهم حتى وصلنا كربلاء، فنزلوا فيها، فما كانت إلا هنيئة حتى رحضت عليهم الجموع والكتائب، وأحاطوا بهم من كل جانب، ومنعوهم الماء، إلى أن جرى عليهم ما جرى من القتل والنهب والسبي.

فعند ذلك أمر عمر بن سعد «لعنه الله» بأن تحمل النساء على الأقتاب بلا وطاء ولا حجاب، فقدمت النياق إلى حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد أحاط القوم بهن، وقيل لهن: تعالين واركبن، فقد أمر عمر بن سعد «لعنه الله» بالرحيل.

فلمّا نظرت زينب إلى ذلك نادت وقالت: سوّد الله وجهك يا بن سعد في الدنيا والآخرة، تأمر هؤلاء القوم بأن يُرْكِبُونا، ونحن ودائع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقل لهم: يتباعدون عنا حتى يركب بعضنا بعضاً.

فتنحوا عنهن، فتقدمت زينب ومعها أم كلثوم، وجعلت تنادي كل واحدة من النساء باسمها، وتركبها على المحمل، حتى لم يبق أحد سوى زينب، فنظرت يميناً وشمالاً، فلم تر أحداً سوى زين العابدين، وهو مريض، فأتت إليه وقالت: قم يا بن أخي وأركبني الناقة.

فقال: يا عمتاه، اركبي ودعيني أنا وهؤلاء القوم.

فرجعت إلى ناقتها، لأنها لم تقدر على مخالفة الإمام «عليه السلام».

فالتفتت يميناً وشمالاً، فلم تر إلا أجساداً على الرمال، ورؤوساً على الأسنة بأيدي الرجال، فصرخت وقالت: وا غربتاه، وا أخاه، وا حسيناه، وا عباساه، وا رجالاه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله.

قال الراوي: فلمّا رأيتهم على هذه الحالة ذكرت خروجهم من الحجاز، وما كانوا عليه من العزة والعفة، والعظمة والجلالة، فبكيت على حالهم، وعلى ما جرى عليهم.

قال ـ الراوي ـ : فلمّا نظر الإمام زين العابدين «عليه السلام» إلى ذلك لم يتمالك على نفسه دون أن قام، وهو يرتعش من الضعف، فأخذ عصاه يتوكأ عليها، وأتى إلى عمته وثنى ركبتيه وقال: اركبي، لقد كسرت قلبي، وزدت كربي، فأخذ ليركبها، فارتعش من الضعف، وسقط على الأرض.

فلمّا رآه الشمر «لعنه الله» أتى إليه وبيده سوط، فضربه به وهو ينادي: وا جداه، وا محمداه، وا علياه، وا حسيناه.

فبكت زينب، وقالت: ويلك يا شمر، رفقاً بيتيم النبوة وسليل الرسالة، وحليف التقى، وتاج الخلافة. فلم تزل تقول كذا، حتى نحته عنه.

وإذا بجارية مسنة سوداء قد أقبلت إلى زينب فأركبتها.

فسألت عنها، فقالوا: هذه فضة، جارية فاطمة الزهراء.

ثم أركبوا الإمام «عليه السلام» على بعير أعجف، فلم يتمالك الركوب من شدة الضعف، فأخبروا بذلك ابن سعد «لعنه الله»، فقال: قيدوا رجليه من تحت بطن الناقة. ففعلوا ذلك وساروا بهم على تلك الحالة(١).

ونقول:

هذه الرواية لا تصح لأسباب عديدة نذكر منها:

١ ـ إن سند هذا الخبر لا يعتد به، لأنه يرويه عن مجموعة نسبها لرجل وصفه بالمقري.. لا يطمئن الباحث إلى صحة نسبتها إليه، إن أمكن تحديد هويته، وقد رواها المقري عن عدة مجاهيل.

٢ ـ عرفنا أن الإمام لم يذهب في بداية الأمر من المدينة إلى كربلاء، بل ذهب إلى مكة..

٣ ـ إن أهل الكوفة إنما كتبوا إلى الحسين «عليه السلام» حين صار في مكة، حيث عرفوا بموت معاوية، واستيلاء يزيد على الأمور، فلم يرض الحسين «عليه السلام» بالبيعة له، فترك المدينة

---

(١) راجع: أسرار الشهادة ص٣٦٧ وراجع: معالي السبطين ج١ ص٣٢٠ و ٣٢١ واللؤلؤ والمرجان للشيخ النوري ص٢١١ و ٢١٢ والمفيد في ذكرى السبط الشهيد ص١٢ وعاشوراء ونساء الشيعة، وفي هذين الكتابين زيادتان على ما ذكره الدربندي.

إلى مكة.

٤ ـ إن التعبير عن الإمام الحسين «عليه السلام» بملك الحجاز، لا مبرر له، لأنه «عليه السلام» لم يكن ملكاً، إلا إن كان المراد صرف الذهن إلى أنه «عليه السلام» كان طالب ملك، وليس طالباً للإصلاح في أمة جده.

٥ ـ قال المحدث النوري: «وبحسب ذلك الخبر المختلق الذي لا أساس له، فقد جعل للحسين «عليه السلام» زي الجبابرة، مما يباين سيرة الإمامة غاية المباينة»(١).

فقد ذكرت الرواية: بأن المحامل زينت بالحرير، والديباج.

وأنه كان لنساء بني هاشم إماء، وأن زينب وأم كلثوم خرجتا من الدار وقد حفت بهما إماؤهما. وخرجت شاه زنان أيضاً تحف بها إماؤها.

٦ ـ إذا كان العباس قد أمر بني هاشم بالتنحي عنه، حتى تخرج زينب وأم كلثوم، فلماذا لم يتنح عبد الله بن سنان، وسائر من كان حوله من الناس؟! وكان يسألهم عن الأشخاص ويجيبونه.

٧ ـ من أين عرف أولئك الناس أن تينك المرأتين هما زينب وأم كلثوم؟! هل كانتا مكشوفتي الوجه حينئذٍ؟! فإن كان الأمر كذلك، فلماذا قرعت زينب يزيد في خطبتها بالشام بأنه قد أخذ بنات رسول

(١) اللؤلؤ والمرجان ص٢١٢.

الله «صلى الله عليه وآله» سبابا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن حتى كان يتصفح وجوههن القريب والبعيد؟!

٨ ـ وهكذا يقال أيضاً بالنسبة لسكينة وفاطمة بنتي الحسين «عليه السلام»، فقد قلنا: إنهن لم تكنَّ طفلتين صغيرتين. بل كانت فاطمة في سن الزواج، وقد تقدم الحديث عن ذلك، فلا حاجة إلى الإعادة.

٩ ـ لا ندري لماذا كانت ليلى أم علي الأكبر هي التي تحمل عبد الله الرضيع، مع أن أم عبد الله هي الرباب؟!

١٠ ـ لا ندري لماذا طلب السجاد من بني هاشم التنحي حين خروج أمه لأجل الركوب في المحمل. وطلب العباس من بني هاشم التنحي عند خروج زينب وأم كلثوم، للركوب في المحمل. ولم يطلب منهم التنحي حين خروج ليلى، مع أن ليلى أيضاً هي حرم الغريب أبي عبد الله «عليه السلام»؟!

١١ ـ لماذا يخص العباس وزين العابدين «عليهما السلام» طلب التنحي ببني هاشم، ولا يطلبان من جميع الرجال التنحي؟!

أم أنه كان يجوز لسائر الناس النظر إلى نساء الحسين «عليه السلام»، ولا يجوز ذلك لبني هاشم؟!

١٢ ـ إن شاه زنان أم الإمام السجاد «صلوات الله عليه» كانت قد ماتت في أيام نفاسها بالإمام السجاد «عليه السلام»[١].

---

(١) الأنوار النعمانية ج٣ ص٨٧ ـ ٨٩ وبحار الأنوار ج٤٦ ص١١ وأعيان

١٣ ـ إن هذه الرواية تقول: إن خروج الحسين «عليه السلام» من المدينة كان بصورة علنية، وإن أهل المدينة قد صاحوا صيحة شديدة، وعلت أصوات بني هاشم بالبكاء والنحيب.

مع أن الخروج على هذا النحو من شأنه أن يلفت نظر حكام المدينة إلى هذا الأمر، وينبه بني أمية ومؤيديهم، ويدفعهم إلى التدخل لمنع الحسين «عليه السلام» من الخروج..

١٤ ـ وصف زينب الإمام السجاد «عليه السلام» في مخاطبتها للشمر بأنه «يتيم النبوة» غير مستساغ، لأن عمر السجاد كان آنئذٍ اثنتين وعشرين سنة، ولا يقال للرجل الذي بهذه السن: إنه يتيم..

١٥ ـ ما ذكرته الرواية، من أن فضة قد حضرت كربلاء، وأنها هي التي أركبت زينب على ناقتها حين أزمعوا الرحيل، هو الآخر موضع ريب وشك.

١٦ ـ إننا لم نجد هذه الرواية في المصادر التي بين أيدينا، باستثناء كتاب الدربندي ومن أخذ عنه، فلماذا أغفلها العلماء، إن كانت بمرأى ومسمع منهم؟!

وفي الرواية مواضع أخرى غير سليمة عن النقد، وفيما ذكرناه

الشيعة ج١ ص٦٢٩ والخرائج والجرائح ج٢ ص٧٥١ ومرآة العقول ج٦ شرح ص٥ وتاريخ الأئمة للكاتب البغدادي (مجموعة نفيسة) ص٢٤ والوافي ج١٤ ص١٢٤٧ و ١٢٤٨.

كفاية لمن أراد الرشد والهداية.

الفصل السابع:

لقــاءات فــي الطــريق..

أشخاص التحقوا بالحسين ×:

وذكروا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» التقى في مسيره من المدينة إلى مكة بأشخاص التحقوا به عند مروره بمنازلهم. فقد التحق به جماعة من جهينة حين مر «عليه السلام» بمياههم، منهم ثلاثة رجال بقوا معه إلى أن استشهدوا بين يديه يوم عاشوراء، وهم:

١ ـ مجمع بن زياد بن عمرو الجهني «رحمه الله».

٢ ـ عباد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجهني «رحمه الله».

٣ ـ عقبة بن الصلت الجهني «رحمه الله»(١).

وهذا من بركات وثمرات إصراره على سلوك الطريق الأعظم بين المدينة ومكة.

أفواج من الملائكة المسومين:

وروى شيخنا المفيد بإسناده إلى أبي عبد الله «عليه السلام»: أنه لما سار أبو عبد الله من المدينة [في الملهوف: ذكر المفيد في كتابه

---

(١) إبصار العين في أنصار الحسين «عليه السلام» ص٢٠١ و ٢٠٢.

(مولد النبي) بإسناده إلى الإمام الصادق «عليه السلام»، قال: لما سار أبو عبد الله الحسين «عليه السلام» من مكة ليدخل المدينة] لقيه أفواج من الملائكة المسومة في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلموا عليه، وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه، إن الله سبحانه أمدّ جدك بنا في مواطن كثيرة، وإن الله أمدك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني.

فقالوا: يا حجة الله! مرنا نسمع ونطع، فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك؟!

فقال: لا سبيل لهم علي، ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي.

أفواج مسلمي الجن:

قالوا: وأتته أفواج مسلمي الجن، فقالوا: يا سيدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك، وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك.

فجزاهم الحسين خيراً وقال لهم: أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله: **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)**(١).

---

(١) الآية ٧٨ من سورة النساء.

وقال سبحانه: **(لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)**(١).

وإذا أقمت بمكاني فبماذا يبتلى هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟!

ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء؟ وقد اختارها الله تعالى يوم دحا الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا، [أضاف في اللهوف قوله: ومحبينا، تقبل أعمالهم وصلواتهم، ويجاب دعاؤهم، وتسكن شيعتنا] ويكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة.

ولكن تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشورا [في اللهوف: وفي غير هذه الرواية يوم الجمعة] الذي في آخره أقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي، ونسبي، وإخوتي، وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد «لعنه الله».

فقالت الجن: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك، [لخالفناك و] قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك.

فقال «صلوات الله عليه» لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن **(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)**(٢).. انتهى ما نقلناه من كتاب محمد بن أبي طالب(٣).

---

(١) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

(٣) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٠ و ٣٣١ والملهوف ص٦٠ و ٦١.

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

رواية ابن طاووس موضع ريب:

نقل ابن طاووس في كتاب الملهوف عن الشيخ المفيد في كتاب (مولد النبي): أن لقاء الملائكة المسومين بالإمام الحسين «عليه السلام» كان في مسيره «عليه السلام» من مكة إلى المدينة، وهو في طريقه إلى العراق.

وهذا الكلام موضع شبهة وريب لعدة أمور، نذكر منها:

أولاً: أن مراجعة النصوص تعطي: أنه «عليه السلام» في مسيره من مكة إلى العراق لم يمر على المدينة، لأن المؤرخين قد ذكروا المنازل التي مر فيها، وهي كما يلي:

١ ـ التنعيم.

٢ ـ الصفاح.

٣ ـ بستان ابن عامر.

٤ ـ ذات عرق.

٥ ـ الحاجر.

٦ ـ بعض العيون.

٧ ـ الخزيمية.

٨ ـ زرود.

٩ ـ الثعلبية.

١٠ ـ الشقوق.

١١ ـ زبالة.

١٢ ـ بطن العقبة.

١٣ ـ ذو حسم.

١٤ ـ البيضة.

١٥ ـ العذيب.

١٦ ـ الرهيمة.

١٧ ـ عذيب الهجانات.

١٨ ـ قصر بني مقاتل.

١٩ ـ نينوى.

وهذه المنازل لا تمر على المدينة، بل هي تبعد عنها عشرات الكيلومترات.

ثانياً: لا معنى لأن يمر الإمام «عليه السلام» على المدينة، بعد أن خرج منها، ولو أنه فعل ذلك لحاول حاكم المدينة عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) أن يمنعه من مواصلة طريقه، وربما حاول أن يأخذه ويسعى لأخذ البيعة منه قهراً وجبراً، وربما ألحق به الأذى بمؤامرة غادرة منه، ثم يحاول تبرئة نفسه بقتل قاتله، حسبما ألمحنا إليه أكثر من مرة.

ثالثاً: إذا كان «عليه السلام» يريد المرور على المدينة مرة أخرى، فلماذا استقدم بني هاشم من المدينة إلى مكة كما سنرى؟!

رابعاً: تقدم: أن النص الذي ذكره في بحار الأنوار عن الشيخ المفيد «رحمه الله» بإسناده إلى الإمام الصادق «عليه السلام» يقول: «لما سار أبو عبد الله الحسين «عليه السلام» من المدينة لقيه أفواج إلخ..». وهذه الرواية هي الأقرب إلى الإعتبار، بل هي الأصوب..

قتال الجن والملائكة للإنس:

وعن قتال الملائكة والجن للإنس نقول:

لاحظ الأمور التالية:

١ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» مبعوث للإنس والجن على حد سواء، كما أن الملائكة لا يخرجون عن إرادته، ولا يخالفون ما يأمرهم به.

وعلى الجن أيضاً: أن يكونوا في موقع الطاعة والإنقياد له، وهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية.

وحال هؤلاء وأولئك مع الإمام والوصي بعد النبي كحالهم مع النبي «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ أضف إلى ذلك: أن الملائكة والجن أيضاً يرون أن من واجبهم حفظ النبي والوصي، والدفاع عنه إذا تعرض لعدوان من قبل أبناء جنسهم. ويجب عليهم نصره إن احتاج إلى نصرهم، وأذن لهم فيه..

٣ ـ إن النبي والإمام يمكنه أن يقاتل الجن وأن يفرض عليهم ما هو مصلحة لهم، وقد قاتل علي «عليه السلام» الجن كما ورد في الروايات التي يقول عنها الشيخ المفيد: إنها قد استفاضت عند الشيعة والسنة.

٤ ـ ولكن إذا تعرض النبي والإمام لعدوان من قبل الإنس، فهل له أن يستنصر بالجن وبالملائكة على أعدائه من الإنس، أم ليس له ذلك؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن على الإنس أنفسهم أن يتولوا جهاد الظالمين والمعتدين والجبارين، من الإنس. أما الإستعانة عليهم بالملائكة وبالجن، فمعناه مواجهتهم بأمر غير عادي لا سبيل لهم لمجاراته، وهو خارج عن حدود قدراتهم وإمكاناتهم، واختيارهم.

هل حارب الملائكة مع النبي ﷺ؟!:

ولعلك تقول: ألم يصرح القرآن بأن الله تعالى قد أمد المسلمين بالملائكة في بعض المواطن في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فكيف يقال: إن الملائكة والجن لا يقاتلون الإنس؟!

ونجيب:

بأن الله تعالى قد ذكر أنه أمد المسلمين بالملائكة، لكي يثبتوا الذين آمنوا بتكثيرهم، وليس في الآية ما يدل على أنهم قد قاتلوا

الإنس، أو قتلوا أحداً من الإنس.

وقوله تعالى: **(فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)**(١). خطاب للمؤمنين، وليس خطاباً للملائكة.. ولا أقل من أنه محتمل جداً في معنى الآية الشريفة.

حوار الإمام مع الملائكة:

١ ـ تقدم: أن الملائكة قالوا للحسين «عليه السلام»: إن الله تعالى أمد جدك بنا، وأمدك بنا.. وفي هذا إلماح إلى أن الإمداد في كلا الموردين على نسق واحد، فإذا كان الإمداد لجده «صلى الله عليه وآله» كان بهدف تثبيت المؤمنين، وليكون بشرى لهم، ولتطمئن به قلوبهم، فإمداد الحسين «عليه السلام» قد لا يتجاوز هذه الحدود، ولا يشذ عن هذه الأهداف..

ويلاحظ هنا: أن الملائكة حين ذكروا له «عليه السلام» إن كان يخشى عدواً، قالوا: «فنكون معك»، ولم يذكروا قتالاً ولا قتلاً..

ويمكن تأييد هذا المعنى بما تقدم: من أن محاربة الإنس وقتلهم بوسائل غير عادية، إنما هو في صورة إرادة إنزال العذاب عليهم عقوبة لهم. أما في الأحوال العادية، فإن الاستفادة من هذه الوسائل التي لا تقع تحت اختيارهم، ولا في حدود قدرات البشر، فلا مجال له.

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد تخلى عن هذا الإمداد، لأنه يريد لنفسه،

---

(١) الآية ١٢ من سورة الأنفال.

وللشهداء من أهل بيته وأصحابه أن ينالوا أعلى الدرجات بجهدهم، وصبرهم، وعظيم البلاء الذي يواجهونه.

ويكون إمداد الله تعالى إياه بالملائكة مع علمه تعالى بأن الحسين «عليه السلام» يريد ما هو أعلى وأغلى، ببذل أقصى ما لديه، يهدف إلى إظهار عظمة الإمام الحسين «عليه السلام»، وامتيازه وامتياز الشهداء معه على سائر الشهداء من الأولين والآخرين إلى يوم الدين..

٣ ـ ويبقى سؤال يقول: إذا كان «عليه السلام» لم يأذن للملائكة، ولا لمسلمي الجن بأن يكونوا معه، فما معنى ضربه موعداً لهم عند حفرته وبقعته التي يستشهد فيها في نفس يوم استشهاده؟!

ونجيب:

بأن لحظة استشهاده «عليه السلام» هي لحظة الفوز الأكبر له، ولمن يستشهد معه، وهي اللحظة التي تتحقق فيها الأهداف التي توخاها، لأنها تزيل الغواشي عن العيون، وتتساقط الحجب، ويمتاز الحق من الباطل من تلك اللحظة إلى يوم القيامة..

فيوم استشهاده «عليه السلام» بمثابة يوم عيد له وللشهداء معه، ينالون فيه الجائزة، ويتبوؤن منازل الكرامة، فحضور الملائكة ومسلمي الجن في هذه اللحظات سيكون له مغزاه ومعناه، وسيضفي على المناسبة أجواء من البهجة لا توصف..

حوار الحسين × مع مسلمي الجن:

وعن حوار الحسين «عليه السلام» مع مسلمي الجن نقول:

١ ـ يلاحظ: أن ثمة اختلافاً في مضمون الحوار مع الجن عن مضمونه مع الملائكة، فالجن قد أعلنوا له «عليه السلام»: أنهم من شيعته وأنصاره، ولم يرد ذلك في كلام الملائكة معه «عليه السلام». بل قالوا له: يا حجة الله على خلقه، فكونه حجة على الخلق لا يقتضي إلزام الملائكة بالعمل بالشريعة التي جاء بها. فالملائكة مأخوذون بحجيته، وإن كانوا بحسب طبيعة تكوينهم لا تشملهم معظم أحكام الشريعة.

أما الجن، فإنهم عباد مكلفون ومطالبون بالالتزام بالأحكام التي تناسب حالهم. ولديهم شهوات ونزوات، وفيهم المؤمن الراغب والساعي لنيل المثوبات، والكافر والعاصي الذي يستحق العقوبات.

والشريعة إنما جاءت لتعالج مشكلات، وتضبط شؤون هذا النوع من المخلوقات.

٢ ـ يلاحظ: أن مسلمي الجن قد علقوا أمر مشاركتهم في القتال على صدور الأمر منه «عليه السلام» لهم به.. أما الملائكة، فلم يشيروا إلى القتال في شيء، بل تحدثوا عن الإمداد بهم، وعن أنهم سيكونون معه، ولم يحددوا لأنفسهم وظيفة أو عملاً أكثر من ذلك من أي نوع كان.

٣ ـ وكان جواب الحسين «عليه السلام» للجن يرتكز على بيان عدم وجود مقتضٍ للسماح لهم بقتال أعدائه، لأن أمر استشهاده حتمي ومقضي، لأجل أنه هو الإكسير الذي يحيل كيد الخائنين، ومكر

الماكرين إلى سراب ويباب.. لأن قتله هذا هو الذي تختبر به الأمة، ويوقظها من سباتها، وبه يمتاز الحق عن الباطل، وتزول الشبهات. وهو الوسيلة والمناسبة لربط الناس بدينهم وبأئمتهم، وتربيتهم، وغرس خصال الخير والصلاح في نفوسم، وتثقيفهم بأحكام دينهم، وبث معارفه فيهم، وما إلى ذلك.

٤ ـ ثم أشار «عليه السلام» إلى أن قتله هذا ستبقى آثاره وبركاته تتفاعل وتتنامى على مر العصور والدهور، ويفهم ذلك من خلال ما يلي:

ألف: أن شيعة أهل البيت سيجعلون حفرته في كربلاء مزاراً لنيل البركات، وموضعاً وموئلاً للعودة إلى الينابيع العذبة.

ب: ستكون كربلاء أيضاً معقلاً للشيعة يحصنون بها أنفسهم من الأباطيل، والأضاليل، والشكوك والشبهات، ويجدون من خلالها الحجة القاطعة والبراهين الساطعة على الحق الذي هم عليه، وعلى بطلان ما يكيدهم به أعداؤهم.

ج: في كربلاء تطمئن قلوب الشيعة، وتسكن نفوسهم، وتزول منها وعنها وسوسات شياطين الإنس والجن، ويكون لهم بها الفوز والفلاح والنجاح في الآخرة.

٥ ـ وقد أوضح «عليه السلام»: أن الهدف ليس حفظ شخصه من القتل، أو مما هو دون ذلك، بل المقصود هو أن يحفظ للدين صفاءه، ونقاءه، ووضوحه وتوهجه في ضمير الأمة..

ولو كان المقصود هو حفظ الشخص، فإن الله سبحانه قد أعطى الأنبياء والأئمة من القدرات ما لو استفادوا منه لانتصروا على أعدائهم. ولكنهم لو فعلوا ذلك، لحرموا من درجات ومقامات لا ينالونها إلا بالشهادة.

فإن أرادوا نيلها، فعليهم أن يقتصروا في مقاومتهم للعدو على الإمكانات والوسائل العادية التي تتوفر لكل إنسان.. ولا يستفيدوا من قدراتهم غير العادية التي حباهم الله بها.

وهذا يفسر لنا ما أراده «عليه السلام» بقوله: «نحن ـ والله ـ أقدر عليهم منكم، ولكن (**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**)».

ابن عباس وابن عمر في طريق مكة:

قال الطبري: «..فزعم الواقدي: أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورود نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد، وأن ابن الزبير والحسين «عليه السلام» لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جائيين من مكة، فسألاهما: ما وراءكما؟!

قالا: موت معاوية وبيعة يزيد»(١).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٢٧٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٥٨ وراجع: الكامل في التاريخ

فقد يقال: إن هذه الرواية لا اعتبار لها، ولا اعتداد بها، وذلك لما يلي:

١ ـ إن الطبري وابن الأثير الراويين لهذه الرواية قد ذكرا أيضاً: أن ابن عمر كان في المدينة قبل خروج الحسين «عليه السلام» منها[(١)].

٢ ـ قالوا: إن ابن عباس كان قد خرج قبل ذلك بأيام إلى مكة[(٢)]، فمتى وصل إليها ثم رجع منها؟!

٣ ـ إن ابن الزبير قد سار إلى مكة قبل مسير الحسين «عليه السلام» إليها بليلة، أو بليلتين. فلم يكونا معاً ليلتقيا بابن عمر وابن عباس.

٤ ـ إنهما حتى لو خرجا إلى مكة في ليلة واحدة، فإن كل واحد منهما قد سلك طريقاً يختلف عن الطريق الذي سلكه الآخر. فإن الحسين «عليه السلام» قد سلك الطريق الأعظم إلى مكة، أما ابن الزبير، فقد تنكب هذا الطريق.

٥ ـ هي رواية مرسلة وضعيفة سنداً.

ج٤ ص١٤ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٠.

(١) الكامل في التاريخ ج٤ ص١٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٢٧٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٧٨.

(٢) راجع: الأخبار الطوال ص٢٢٨.

ونقول:

إن كل هذا الذي ذكروه موضع مساءلة وريب.

فأولاً: إن إرسال رواية الواقدي وضعفها سنداً، وإن كان صحيحاً في نفسه، إلا أن الروايات التي يريد المستدل معارضتها بها ليست بأفضل منها سنداً، إذ ليس من بينها ما هو صحيح سنداً أيضاً.

ثانياً: ذكرنا فيما سبق: أن الأرجح هو أن تكون هناك أيام كثيرة قد مرت بعد لقاء الحسين للوليد، قبل أن يخرج الحسين «عليه السلام» إلى مكة، لاسيما إذا كان الوليد قد كتب ليزيد: إن الحسين لا يرى لك طاعة، ولا بيعة، فر رأيك..

ثالثاً: قلنا: إن هناك من يقول: إن معاوية مات في أول شهر رجب، وإن الحسين «عليه السلام» قد خرج من المدينة لثلاث أو لليلتين بقيتا من رجب، أو في الثالث من شعبان..

وفي بعض النصوص إشارة إلى هذه الأيام الكثيرة، فهي تقول: إن الحسين «عليه السلام» خرج ذات ليلة لزيارة قبر جده..

رابعاً: أضف إلى هذا وذاك: أن جميع ما أورد به على رواية الواقدي ما هو إلا أقوال للمؤرخين والمؤلفين، أو روايات لها ما يعارضها في أقوال مؤرخين آخرين، وفي روايات أخرى.. فما الذي رجح قول هذا، أو روايته، على قول ذاك أو روايته؟!

خامساً: إن الطريق إلى مكة طويلة، فإذا كان ابن الزبير قد تنكب الطريق الأعظم إلى وسط الطريق، فلعله عاد إليه، والتقى بالحسين

«عليه السلام» في بعض المنازل، ثم بابن عمر وغيره.

سادساً: إن الحديث عن ابن عباس، ومسيره إلى مكة قبل أيام من مسير الحسين «عليه السلام» إليها لعله غير دقيق، وأن عبد الله بن عباس مصحَّف عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، كما دلت عليه رواية ابن عساكر، فإنه ذكر: أن ابن عمر، وابن عياش بن أبي ربيعة قد لقيا الحسين «عليه السلام» وابن الزبير بالأبواء، منصرفين من العمرة.

وذكر أن ابن عمر قال لهما: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما دخل فيه الناس. وتنظرا، فإن اجتمع الناس عليه لم تشذا عنهم. وإن افترق الناس عليه كان الذي تريدان.

وقال ابن عياش: أين تريد يا ابن فاطمة؟!

قال: العراق وشيعتي.

فقال: «إني لكاره لوجهك هذا، أتخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك، حتى تركهم سخطةً وملّةً منه لهم، أذكرك الله أن تغرر بنفسك»(١).

وهذه الرواية ـ كما هو ظاهر ـ هي نفس رواية الواقدي المتقدمة،

---

(١) ترجمة الإمام الحسين من تاريخ ابن عساكر ص١٩٨ ـ ٢٠١ و (ط٢ ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية سنة ١٤١٤هـ) ص٢٩٣ و ٢٩٤ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٧.

ولكنها حين ذكرت اسم والد عياش، اتضح منها: أن كلمة ابن عباس في رواية الواقدي مصحفة عن ابن عياش. فالاعتراض على رواية الواقدي: بأن ابن عباس قد سار إلى مكة قبل مسير الحسين «عليه السلام» إليها بأيام.. غير وارد من الأساس..

نصيحة ابن عمر:

ونصيحة ابن عمر لا محل لها من الإعراب، فإنه يريد أن يجعل الإمام الحسين «عليه السلام»، المنصوص على إمامته من الرسول، والمعصوم عن الخطأ والزلل، وعن الذنوب بنص القرآن ـ يريد أن يجعله ـ تابعاً للعوام والجهلة الذين يفترض فيهم أن يكونوا هم في طاعة الإمام الحسين «عليه السلام»، ورهن إشارته.

والعوام لا يعرف أكثرهم الأحكام، وينقادون للهوى، ويخضعون للترغيب والترهيب، ويميلون مع عصبياتهم، ويأتمرون بأوامر رؤساء عشائرهم.

وهل هذا النوع من الناس يدخل في أمر صالح، أم أنه يتبع الأهواء والمصالح؟!

ولماذا يريد أن يعزل الحسين «عليه السلام» عن موقع القرار؟! ولماذا لا يكون هو من يرشد الناس إلى الحق، وأية قيمة لأمر يستثنى منه الحسين «عليه السلام»؟!

ابن مطيع في طريق مكة:

قالوا:

«فبينما الحسين كذلك بين المدينة ومكة في موضع يقال له: الشريفة إذا استقبله عبد الله بن مطيع العدوي، فقال: أين تريد أبا عبد الله، جعلني الله فداك؟!

قال: أما في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك.

فقال له عبد الله بن مطيع: خار الله لك يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أني أشير عليك بمشورة، فاقبلها مني.

فقال له الحسين: وما هي يا ابن مطيع؟!

قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك، و [خذل] أخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم، فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك، والسلام.

قال: فودعه الحسين، ودعا له بخير، وسار حتى وافى مكة.

فلما نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية: **(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)**[1]»[2].

---

(١) الآية ٢٢ من سورة القصص.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٢ و ٢٣ وراجع: الأخبار الطوال ص٢٢٨ و ٢٢٩ والكامل لابن الأثير ج٤ ص١٩ و ٢٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٨٩ و ٢١٦ وراجع: تذكرة الخواص ج٢ ص٤٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٤ وتجارب الأمم ج٢

وحسب نص ابن عساكر: أن ابن مطيع سأل الحسين «عليه السلام»: أين فداك أبي وأمّي؟!.

قال: أَرَدْتُ مَكَّة.

قال: وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ شيعَتُهُ بِها، فقال له ابن مطيع: أين فداك أبي وأمّي؟! متّعنا بنفسك ولا تسر إليهم.

فأبى الحسين «عليه السلام».

فقال له ابن مطيع: إنّ بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة.

قال: هاتِ مِنْ مائِها، فأتى من مائها في الدلو، فشرب منه، ثمّ مضمض، ثمّ ردّه في البئر، فأعذب وأمهى(١).

وفي نص آخر: أن ابن مطيع قال للحسين: «..فإنك سيد العرب لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كل جانب،

ص٣٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٥ .

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٨٢ وترجمة الإمام الحسين من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص٢٢٢ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٥٩٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٣٩٣ ومختصر تاريخ دمشق ج٧ ص١٣٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص١٤٤ و ١٤٥ والعقد الفريد ج٢ ص١٣٣.

لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك»(١).

وقال أبو مخنف: «إذا دخلت مكة فلا تبرحن منها، فهي حرم الله، والأمان للناس. فأقم فيها، وتألف أهلها، وخذ البيعة على كل من دخلها من الناس، وعدهم العدل، وارفع الجور عنهم، وأقم فيها خطباء تخطب، تذكر على المنابر شرفك، وتشرح فضلك، ويخبرونهم بأن جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأباك علي بن أبي طالب، وأنك أولى بهذا الأمر من غيرك.

إياك أن تذكر الكوفة، فإنها بلد مشؤوم، قتل فيها أبوك. ولا تبرح من حرم الله تعالى، فإن معك أهل الحجاز واليمن كلها. وسيقدم إليك الناس من الآفاق، وينصرفون إلى أمصارهم. وادعهم إلى بيعتك،

____

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦١ والكامل لابن الأثير ج٢ ص١٥٣ وج٤ ص١٩ و ٢٠ وراجع: لواعج الأشجان ص٣٢ ومناقب آل أبي طالب (ط دار المفيد) ج٣ ص٢٤٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ وراجع: تذكرة الخواص ج٢ ص١٤٥ والمنتظم ج٥ ص٣٢٧ وتجارب الأمم ج٢ ص٣٨ و ٣٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٥ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٥٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٨٥ وراجع: تاريخ الإسلام ج٥ ص٨ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ص٤٤٤ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٥ والعقد الفريد ج٥ ص١٢٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٧.

فاقبل نصحيتي، وسر مسدداً، فوالله إن قبلت لترشدن.

فقال الحسين «عليه السلام»: جزاك الله عني كل خير، فإني قابل نصيحتك»(١).

ونقول:

لا بأس بالتعامل في الوقفات التالية:

ابن مطيع كان محبوساً:

وقالوا أيضاً:

إن ابن الزبير ـ كما يذكر ابن الأثير ـ قال لرسل الوليد حين دعوه إلى الحضور للبيعة: الآن آتيكم.

ثم أتى إلى داره، فكمن فيها، ثم خرج من ليلته إلى مكة، متنكباً الطريق العام، خوفاً من الطلب(٢).

فطلبه الوليد فلم يجده، فأرسل إلى كل من كان من شيعته، فأخذه وحبسه، وكان ممن حبس عبد الله بن مطيع. فوثب بنو عدي إلى السجن، فأخرجوا منه عبد الله بن مطيع وكل من كان في السجن، ولم يتعرض إليهم أحد.

---

(١) مقتل الحسين لأبي مخنف ص١٦.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص١٦ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٤٧ و (ط أخرى) ج٢ ص١٣٢ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٢.

فاغتم الوليد بن عتبة(١).

وقد حاول الأستاذ علي شيري المعلق على كتاب الفتوح لابن أعثم تضعيف رواية لقاء الحسين بابن مطيع بين مكة والمدينة بما مضمونه:

أنه إذا كان الوليد قد حبس ابن مطيع بعد خروج ابن الزبير من المدينة، ثم كتب إلى يزيد بأن بني عدي قد أخرجوه عنوة من السجن. وأن الحسين «عليه السلام» قد امتنع من البيعة، فإن رواية سجن ابن مطيع تصبح ضعيفة من وجوه، هي:

١ ـ إن الروايات متفقة على خروج الحسين من المدينة بعد خروج ابن الزبير بليلة.

٢ ـ إن كان ابن مطيع في السجن ـ حسب رواية ابن أعثم ـ فكيف لقي الحسين «عليه السلام» وهو في طريقه من المدينة إلى مكة؟!

وإن كان قد أخرج من السجن، كيف انتقل من المدينة إلى مكة ثم عاد منها، والتقى الحسين «عليه السلام» في الطريق. مع أن الحسين قد خرج بعد ابن الزبير بليلة، والذهاب إلى مكة والعودة يحتاج إلى عدة أيام؟!

قال: «..وهذا يضعف رواية ابن أعثم، ويضعف خبر رسالة

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٦.

الوليد إلى يزيد بشأن قضية السجن، وامتناع الحسين عن البيعة»(١).

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

أولاً: إن الروايات ليست متفقة على خروج الحسين «عليه السلام» بعد خروج ابن الزبير بليلة، فهناك من يقول: إنه خرج بعده بليلتين. كما أن هناك من يقول: إنهما خرجا في ليلة واحدة، ولكن ابن الزبير لم يسلك الطريق الأعظم، كما فعل الإمام الحسين «عليه السلام».

بل لقد رجحنا نحن أن يكون خروج الحسين وابن الزبير قد تأخر أياماً كثيرة عن الاجتماع العاصف الذي حصل في دار الوليد بن عتبة.. ولعل ابن مطيع قد حبس، ثم أطلق سراحه في هذه الفترة.

بل لعله حبس ثم أطلق في نفس اليوم.

ثانياً: في الرواية المتقدمة عن ابن أعثم: أن ابن مطيع استقبل الحسين «عليه السلام» في الطريق، وليس فيها أنه كان عائداً من مكة، فإن صح أن الحسين «عليه السلام» قد خرج بعد ليلتين من اجتماعه بالوليد، فلعل ابن مطيع قد سجن لمدة ساعات، ثم أخرجه قومه غضباً له، ثم خرج إلى بعض مزارعه في الطريق التي كانت بين مكة والمدينة. فلما سار الحسين «عليه السلام» إلى مكة لقيه

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ هامش ص٢٢.

هناك.

وقد قال ابن عساكر: إن الحسين «عليه السلام» حين سار من المدينة إلى مكة، مر بابن مطيع وهو يحفر بئره كما تقدم.

وبذلك يظهر: أن الوليد كان حريصاً على حمل ابن الزبير والحسين على البيعة ليزيد، فكان ابن الزبير يماطله، ويتعلل بمختلف الأعاليل، فلما لم يعد يمكنه ذلك. أرسل أخاه إلى الوليد، فطلب منه مهلة لأخيه، فأمهله، فخرج من المدينة تلك الليلة.

لقاءان بابن مطيع:

علينا أن نذكر القارئ: بأنهم قالوا: إن الإمام «عليه السلام» التقى بابن مطيع مرتين:

أولاهما: في طريقه «عليه السلام» من المدينة إلى مكة، وهو هذا اللقاء الذي نتحدث عنه. وقد حصل هذا اللقاء في موضع يقال له: الشريفة.

الثاني: لقاؤه إياه بالحاجر في بطن الرمة، حين كان «عليه السلام» في طريقه من مكة إلى العراق. وسيأتي إن شاء الله الحديث عن هذا اللقاء حينما ننتهي بالحديث إليه..

اختلاف التعامل في اللقاءين:

ويلاحظ: أن تعامل الإمام «عليه السلام» مع ابن مطيع في اللقاءين كان مختلفاً، ولهذا الاختلاف دلالاته وإيحاءاته.. حيث أظهر

أن الإمام «عليه السلام» لم يكن يثق بابن مطيع. وأنه يتعامل معه بحذر وريب.

فإنه «عليه السلام» حين لقي ابن مطيع، وهو في طريقه إلى مكة، سأله ابن مطيع عن وجهته، فأجاب: فأما الآن فإنه يريد مكة، وهذا أمر طبيعي لا يحتاج إلى كتمان، ويدل عليه سلوك الحسين الطريق الأعظم إلى مكة.. ولكنه ألحق بذلك قوله: «وأما بعدها، فإني أستخير الله». فلم يخبره عن وجهته بعد مكة.

مع أنه «عليه السلام» كان قد أخبر أم سلمة، ومحمد ابن الحنفية بأنه يقصد العراق.

أما في اللقاء في الحاجر في بطن الرمة، فسيأتي أنه «عليه السلام» أخبره بأنه يقصد العراق، وبأن أهل العراق قد كاتبوه بالمسير إليهم.. وهذا في الواقع كان ظاهر حاله أيضاً، وكان بإمكان ابن مطيع وغيره أن يعرف، أو أن يظن أن مقصده «عليه السلام» هو العراق، لأنه يسلك طريق العراق، وإن لم يصرح له بذلك.

دلالة حذر الإمام ×:

وهذا الحذر الذي أظهره «عليه السلام» مع ابن مطيع يدلنا على أن تصريحاته «عليه السلام»: بأنه سوف يستشهد هو وأهل بيته وأصحابه إنما كان يذكر ذلك لأناس مخصوصين ومأمونين، مثل: أخيه ابن الحنفية، وأم سلمة، ومسلمي الجن، والملائكة. ولم يكن يعلن هذا الأمر على الملأ العام ليقال: كيف يمكن أن يستجيب الناس لدعوة

يخبر قائدها سلفاً عن أنه مقتول هو وكل من يكون معه؟!.

ابن مطيع لا يوالي الحسين ×:

ولا شك في أن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» قد فرضوا احترامهم على العدو والصديق، ونالوا إعجاب وتقدير كل من عرفهم، قريباً كان أم بعيداً.

لكن هذا الإعجاب والتقدير لا يعني الاعتقاد بإمامتهم، ووجوب طاعتهم ونصرتهم كما يريده الله ورسوله، فإن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، فهم إن رأوا أن مصالحهم، وما تدعوهم إليه أهواؤهم، وعصبياتهم، وميولهم يتعرض للخطر، فإنهم يتنكرون لمن يظنون أنه كان سبباً في ذلك، أو كانت العلاقة به سبباً في ذلك، وربما حاربوه، وقتلوه أيضاً.

وكان ابن مطيع من هذا النوع من الناس، فإن كل همه كان منصرفاً إلى دنياه، وما يمكن أن يحصل عليه منها.

ولأجل ذلك لم يهتم للبلاء الذي كان المسلمون يواجهونه بولاية الفاسق القاتل السكّير، المرتكب لأعظم الموبقات، ولم يهتز لما أخبره به الإمام الحسين «عليه السلام»، من أنه يسير للعراق لأجل مواجهة هذا الخطر، بل حاول أن يجد لنفسه العذر في التخلف عنه، بادعاء أن أهل العراق يغدرون بالإمام، ويقتلونه كما قتلوا أباه وأخاه..

ثم نسي ذلك كله، أو تناساه، وصار بصدد أن يزيد ماء بئره، ويصبح عذباً. وهذا يدلنا على أن تعظيمه للإمام «عليه السلام» لم

يكن عن اعتقاد بإمامته. ولا عن ولاء حقيقي له.

ويدل على ذلك أيضاً: أنه حين استعمله ابن الزبير على الكوفة «جعل يطلب الشيعة، ويخيفهم»(١).

وكان يقاتل أصحاب المختار، من قبل ابن الزبير، فخطب أصحابه وقال: «إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم، قليل عددها، خبيث دينها»(٢). ومراده بالعصبة والدين الخبيث: هو الشيعة والتشيع..

وكان في جملة جيشه الذي قاتل به المختار قتلة الحسين «عليه السلام»، مثل: شبث بن ربعي، وشمر بن ذي الجوشن، وعبد الله بن أبجر، وغيرهم(٣).

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٢٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٥٠٤ والفتوح لابن أعثم ج٦ ص٢٣٧ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٨٢ و ٨٣.

(٣) الكامل في التاريخ ج٤ ص٢١٦ و ٢١٧ و ٢٢٠ و ٢٢٢ و ٢٢٤ وذوب النضار ص١٠٥ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣٦٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٦٨٨ وأصدق الأخبار ص٤٤ و ٤٩ و ٥٢ ـ ٥٤ وأنساب الأشراف ج٦ ص٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٨٩ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٤٩٦ ـ ٤٩٧ و ٥٠٠ ـ ٥٠١ و ٥٠٥ وتجارب الأمم ج٢ ص١٤٧ و ١٥٣ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٥٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢٩٣

وقد وعد أهل الكوفة بأن ينفذ أمر ابن الزبير له: بأن يسير فيهم بسيرة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان.

ولكن السائب بن مالك الأشعري، قام ورد عليه، فكان مما قال: «وألا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب «عليه السلام»، التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا، ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا، وإن كانت أهون السيرتين علينا»[1].

نصيحة ابن مطيع:

وكانت نصيحة ابن مطيع للإمام الحسين «عليه السلام» هي تحذيره من أن يستجيب لأهل العراق، لأنهم قتلوا أباه وأخاه..

مع أن الإمام «عليه السلام» لم يذكر له شيئاً عن العراق وأهله. بل أخبره بأنه يقصد مكة.

فهل دعاه إلى ذلك: أنه كان يكره أهل الكوفة لتشيعهم، وحبهم لعلي «عليه السلام»، وهو يرى ـ كما أسلفنا ـ أن التشيع دين خبيث.

و ٣٩٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٣ وتاريخ الكوفة ص٣٤٩ و ٣٥٢ و ٣٥٤ والفتوح لابن أعثم ج٦ ص٢٣١ ـ ٢٣٥ ونهاية الأرب ج٢١ ص١٩.

(١) الكامل في التاريخ ج٤ ص٢١٢ و ٢١٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٤٩٠ وأعيان الشيعة ج٧ ص١٨٢ ونهاية الأرب ج٢١ ص١٣ و ١٤ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٧٧.

وحين تولى الكوفة لابن الزبير كان يلاحق الشيعة، ويخيفهم؟!

أم أن الذي دعاه إلى ذلك: أنه كان يعلم أن العراق هو خزان الأموال والرجال، فإذا انضم إلى ذلك تشيع أهل الكوفة لعلي وأهل بيته، فإن احتمالات نجاح الإمام الحسين «عليه السلام» في نهضته المباركة، يصبح أكثر قوة. وهذا ما لا يروق لابن مطيع..

هل للحسين شيعة في مكة؟!:

وتقدم: أن رواية تاريخ ابن عساكر تقول: إن الإمام «عليه السلام» ذكر لابن مطيع أنه يريد مكة، وأنه كتب إليه شيعته بها..

ونحن أولاً: لا نرى أن للحسين «عليه السلام» في مكة شيعة لديهم من الكثرة والقوة، ما يمكّنه من تغيير الأوضاع وبلوغ الأهداف التي يتوخاها في الأمة الإسلامية كلها.. بل عن الإمام السجاد «عليه السلام»: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»(١).

قال أبو جعفر الإسكافي عن علي «عليه السلام»: «وأمّا أهل مكّة فكلّهم كانوا يبغضونه قاطبة»(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٩٧ وج٤٦ ص١٤٣ والغارات للثقفي ص٣٩٣ و (تحقيق السيد جلال الدين الحسيني) ج٢ ص٥٧٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٨ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٩٧.

فالظاهر: أن العراقيين كانوا هم الذين كاتبوا الإمام الحسين «عليه السلام» بعد بلوغهم خبر وصوله إلى مكة، وكانت كتبهم من الكثرة بحيث يقال: إنها بلغت اثني عشر ألف كتاب.

ثانياً: إن الإمام «عليه السلام» لم يخبر ابن مطيع بمسيره إلى العراق حين كان في طريقه إلى مكة.

فالظاهر: أن الأمر قد اختلط على الراوي، فإن الحديث عن الكتب إنما كان في اللقاء الثاني بابن مطيع، حيث كان «عليه السلام» في طريقه إلى العراق، فلقي ابن مطيع في الحاجر في بطن ذي الرمة، فأخبره «عليه السلام» بأنه يقصد العراق، وأن لديه حملاً من الكتب التي وصلته من العراقيين.

وقد حصل هذا الخلط بين روايتي طريق مكة وطريق العراق أيضاً في رواية ابن عبد ربه، فإنها بعد أن ذكرت أنه قال لابن مطيع: إنه يريد العراق. وحاول ابن مطيع ثنيه عما عزم عليه، تقول الرواية: «فخرج الحسين حتى قدم مكة»(١).

مع أن المفروض أن تقول: قدم الكوفة، أو العراق.

الكرامة الإلهية لا تقنع ابن مطيع:

وقد رأينا: أن ابن مطيع يطلب من الحسين «عليه السلام» أن يدعو له بالبركة في بئره، فأمره «عليه السلام» أن يأتيه بشيء من

---

(١) العقد الفريد ج٤ ص٣٥٢.

مائها، فأتاه به، فشرب منه، ثم تمضمض، ثم رده في البئر، فأعذب وأمهى، أي غزر ماؤه..

فابن مطيع يرى هذه الكرامة الإلهية للإمام الحسين «عليه السلام» رأي العين، ثم لا ينتفع بها في تحصيل اليقين بإمامته «عليه السلام» بالمعنى الدقيق للكلمة، إلا على قاعدة: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ)**(١). وكأنه ممن: **(خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ)**(٢).

النص المنقول عن أبي مخنف:

وبعد، فنحن نعلم: أن من كبار العلماء من لا يرى حرجاً في التصريح، بأن الكتاب المسمى: بمقتل أبي مخنف مختلق، ولا أساس له..

ولأجل ذلك، فنحن نكتفي بما ذكرناه، ولا نرى حاجة للتعقيب على الكلام المنقول عن مقتل أبي مخنف آنفاً. ونتابع حديثنا في مجالات ونصوص أخرى.

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

(٢) الآية ٧ من سورة البقرة.

الفـهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفهرس التفصيلي:

الباب الثاني: موت معاوية، والبيعة ليزيد ٥
الفصل الأول: معاوية يوصي ويموت.. .... ٧
مرض معاوية: ٩
كتاب العهد ليزيد:.. ١١
الوصايا الشفوية:... ١١
يزيد لم يحضر موت أبيه:.. ١٧
عبد الرحمان بن أبي بكر:.. ١٨
وقفة مع الوصايا:... ٢٣
الحسين هو الحاكم: ٢٥
فاحذر أن لا يتعرض لك:... ٢٥
ما منعك أن لا تسجد:.. ٢٦
معاوية يتوسل ويتبرك: ٣٠
الفصل الثاني: يأتمرون بك ليقتلوك.. .... ٣٣
يزيد: اقتل من لم يبايع: ٣٥
عبد الرحمان بن أبي بكر في عهد يزيد:.......................... ٣٩

من هو والي المدينة؟!:.. ٤٠
متى مات معاوية؟! ٤١
أذن الفأرة: ٤٢
إصرار يزيد على قتل الحسين ×: ٤٤
الوقت لا يسع المراسلات: ٤٩
حجج مروان لقتل الحسين ×!!:.. ٥٢
موقف الوليد بن عتبة:.. ٥٦
لماذا استثناء السبب الأخير؟!:.. ٦٢
الوليد يقر على نفسه:.. ٦٥
لا يغدر الحسين ×:... ٦٧
ابن فاطمة ÷ وابن علي ×: ٦٧
الفصل الثالث: اللقاء العاصف في منزل الوليد.. .... ٦٩
ظن يا أبا عبد الله:... ٧١
غدر والله الحسين:.. ٧٣
ليس هو الظن، بل اليقين: ٧٤
الإمام يستند إلى الرؤيا:... ٧٦
الأمر كان لي:... ٧٧
الحسين × لا يريد الصدام مع معاوية:..................................... ٧٨
الحسين × عند الوليد:.. ٨١
جاء من الأمر ما لا قوام به: ٨٨

قضاء الله ماضٍ فيَّ:... ٨٩

قضيب رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ:.. ٩٠

لا تقتلوا أحداً:.. ٩٠

أرجو أن أخرج إليكم سالماً:.. ٩٢

ثلاثون، أو تسعة عشر رجلاً: ٩٣

كان لك عم صدق:... ٩٣

هل ترحم الحسين على معاوية؟!:....................................... ٩٤

هل اجتمع الناس على يزيد؟!:... ٩٥

مثلي لا يعطي بيعته سراً: ٩٥

البيعة بحضرة الجماعة: ٩٦

أنا طوع يديك:... ٩٩

لو كان الوالي مروان:.. ١٠١

حرص مروان على قتل الحسين لماذا؟!:.......................... ١٠٣

يا ابن الزرقاء: ١٠٤

الفصل الرابع: أهل بيت النبوة: للشرح والتوضيح............ ١٠٦

ضوابط ومنطلقات:... ١٠٨

لا بد من التوضيح: ١٠٩

١ ـ أهل بيت النبوة: ١١٠

٢ ـ معدن الرسالة:... ١١١

٣ ـ مختلف الملائكة: ١١١

٤ ـ محل الرحمة: ١١٢

٥ ـ فتح الله بأهل البيت ٨: ١١٣

٦ ـ ختم الله بهم: ١١٤

٧ ـ أهل بيت الكرامة: ١١٤

٨ ـ أعلام الحق: ١١٥

تعقيب وتوطئة: ١١٥

١ ـ يزيد فاسق: ١١٦

٢ ـ شارب للخمر: ١١٧

٣ ـ قاتل النفس المحرَّمة: ١١٨

٤ ـ معلن بالفسق: ١١٨

٥ ـ تحريم الخلافة على ولد أبي سفيان: ١١٩

٦ ـ يزيد أمير المؤمنين!!: ١٢٠

الفصل الخامس: الحسين يشكو إلى الرسول ﷺ.. .... ١٢٣

على الإسلام السلام: ١٢٥

بلاء الأمة: ١٢٨

الحسين يستمع الأخبار: ١٢٩

اللعن من الرسول، والجبر الإلهي: ١٣٠

مروان الغادر: ١٣٠

شكوى الحسين إلى جده ﷺ: ١٣١

ذات ليلة: ١٣٤
ابن فاطمة: ١٣٥
الخلف الذي خلفت على أمتك: ١٣٥
فاشهد عليهم:.. ١٣٧
يا نبي الله: ١٣٨
خذلوني، وضيعوني: ١٣٩
رضى الله، والرسول، والمؤمنين: ١٤١
يقتلون ولده ويرجون شفاعته ﷺ: ١٤٣
الرؤيا هي الخيار: ١٤٤
كيف ينصرونه وهو يخبرهم بالاستشهاد؟!: ١٤٦
ليس في موقف الحسين × تناقض: ١٤٧
خذني إليك، واجعلني إلى منزلك:.................................. ١٤٩
درجة مغشاة بنور الله: ١٤٩
الفزع والذعر، والغم والبكاء: ١٤٩
إن بايع كفر، وإن أبى قتل:.. ١٥١
الفصل السادس: التوسل بالقبر ومن فيه.. .... ١٥٣
أسألك بحق القبر ومن فيه: ١٥٥
الرسول في القبر الشريف:... ١٧٥
ما كل ما يعلم يقال: ١٧٧

الباب الثالث: من المدينة إلى مكة.................................. ١٨٠
الفصل الأول: أجواء ما قبل الرحيل.. .... ١٨٢
الوليد يراقب الحسين ×:.. ١٨٤
النياحة قبل الرحيل: ١٨٤
عن أي شيء نهى النساء؟!:... ١٨٦
نوح الجن على الحسين!!: ١٩٠
لم يذكر النِّسْوة الحسن ×: ١٩٠
من هو قائل البيت الأول؟!:.. ١٩٠
حبيب الأبرار من أهل القبور:.. ١٩١
النياحة على الحسين قبل استشهاده:................................ ١٩٢
تظن أنك علمت ما لم أعلمه!!:...................................... ١٩٢
لو ناولت وبايعت: ١٩٣
هل كان الأطرف مغروراً؟!:... ١٩٤
ويزيد الطين بلة:.. ١٩٥
هل حضر الأطرف كربلاء؟!: ١٩٧
لا عذر لعمر الأطرف: ١٩٨
الحسين × وأم هاني:... ١٩٩
الحسين × يودع أم سلمة: ٢٠٣
ذخائر الإمامة عند أم سلمة:... ٢٠٥
طلب الودائع علامة الإمامة:... ٢٠٦

الحسين × يخبر عن مصيره:.. ٢٠٧

حتمية الإستشهاد: ٢١٠

الفصل الثاني: الحسين × في وداع ابن الحنفية.. .... ٢١٢

قارورة الحسين ×: ٢١٤

الحسين × وابن الحنفية: ٢١٥

ملاحظات يسيرة: ٢١٧

الحسين × يقبل وصية أخيه:...................................... ٢١٨

لا تناقض في كلام الحسين ×:.................................... ٢١٩

سيرة الخلفاء الراشدين المهديين:................................. ٢١٩

كن لي عيناً:... ٢٢٤

ابن الحنفية وكربلاء:.. ٢٢٦

ابن عباس وكربلاء:... ٢٣١

عبد الله بن جعفر وكربلاء: ٢٣٥

الفصل الثالث: وصية الحسين × عند ابن الحنفية............. ٢٣٨

الوصية والأهداف: ٢٤٠

لماذا خاطب أخاه فقط؟!: ٢٤١

تأسيس الدين: ٢٤٣

الإستيلاء على الخلافة: ٢٤٤

إجراءات وقرارات مدمرة: ٢٤٦

نتائج هذه السياسات:.. ٢٤٧
حماية الإنحراف بقرارات وضوابط:............................. ٢٥٣
عناوين من صنع السياسة: ٢٥٤
لا بد من المشاركة:.. ٢٥٧
شهوة الملك لدى يزيد: ٢٦٠
يزيد الباغي المتغلب:... ٢٦١
الفصل الرابع: المنطلقات والأهداف.. .... ٢٦٤
أهداف الحركة الحسينية المباركة:................................ ٢٦٦
لا إجمال ولا لبس في الخطاب: ٢٦٧
١ ـ لم أخرج أشراً: ٢٦٨
٢ ـ ولا بطراً: ٢٧٠
٣ ـ ولا مفسداً:.. ٢٧٣
٤ ـ ولا ظالماً: ٢٧٤
٥ ـ طلب الإصلاح في الأمة:....................................... ٢٧٥
لا يكره أحداً على قبول ما جاء به: ٢٧٦
١ ـ طلب النجاح: ٢٧٩
٢ ـ طلب الصلاح:.. ٢٨٠
٣ ـ الاختلال في الأمة كلها: ٢٨٢
٤ ـ أمة محمد:... ٢٨٢
تحديد المنهج والمسار:.. ٢٨٣

١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:........................ ٢٨٤

٢ ـ سيرة جدي محمد... ٢٨٤

٣ ـ سيرة أبي علي ×: ٢٨٦

٤ ـ سيرة الخلفاء الراشدين المهديين:............................. ٢٨٨

توصيف الخلفاء بالراشدين المهديين: ٢٩٠

قبل أن يكاتبه العراقيون: ٢٩١

الخلفاء الراشدون في بعض المصادر:............................. ٢٩٤

الفصل الخامس: إلى مكة.. ٢٩٥

الحسين × إلى مكة: ٢٩٧

لا بد من الرحيل: ٢٩٩

تنظر وننظر: ٣٠٠

خرج في جوف الليل: ٣٠٢

متى خرج الحسين × من المدينة؟!:................................ ٣٠٥

خرج بجميع أهله:.. ٣١٠

في سنة ستين: ٣١٢

سلك الطريق الأعظم:.. ٣١٣

الفصل السادس: ثلاث روايات مشبوهة.. .... ٣١٧

بنت للحسين × بقيت في المدينة:................................... ٣١٩

جدتي أم سلمة!!:... ٣٢١

رحيل ملك الحجاز!!: ٣٢٥
الفصل السابع: لقاءات في طريق مكة.. .... ٣٣٥
أشخاص التحقوا بالحسين عليه السلام:.................................... ٣٣٧
أفواج من الملائكة المسومين: ٣٣٧
أفواج مسلمي الجن: ٣٣٨
رواية ابن طاووس موضع ريب: ٣٤٠
قتال الجن والملائكة للإنس: ٣٤٢
هل حارب الملائكة مع النبي صلى الله عليه وآله؟!:............................... ٣٤٣
حوار الإمام مع الملائكة:.. ٣٤٤
حوار الحسين × مع مسلمي الجن: ٣٤٥
ابن عباس وابن عمر في طريق مكة:............................. ٣٤٨
نصيحة ابن عمر:.. ٣٥٢
ابن مطيع في طريق مكة: ٣٥٢
ابن مطيع كان محبوساً:.. ٣٥٦
لقاءان بابن مطيع: ٣٥٩
اختلاف التعامل في اللقاءين: ٣٥٩
دلالة حذر الإمام ×:.. ٣٦٠
ابن مطيع لا يوالي الحسين ×: ٣٦١
نصيحة ابن مطيع:... ٣٦٣
هل للحسين شيعة في مكة؟!: ٣٦٤

الكرامة الإلهية لا تقنع ابن مطيع:................................ ٣٦٥

النص المنقول عن أبي مخنف: ٣٦٦

الفهارس:.. ٣٦٧